الفضائل والأضداد

بقلم

السيّد محمّد بن آية الله السيّد ميرزا مهدى
آل الحجة المجدد الشيرازى قدس سره

عني بتصحيحه و طبعه

محمد الحسين آل الأعلمي الحائري

الطبعة الاولى

مطبعة الغري الحديثة : النجف

١٣٧٧ هـ = ١٩٥٧ م

الفضائل والأضداد

بقلم

السيّد محمّد بن آية الله السيّد ميرزا مهدي
آل الحجة المجدد الشيرازي قدس سره

عني بتصحيحه و طبعه

محمد الحسين الأعلمي الحائري

﴿ الطبعة الاولى ﴾

مطبعة الغري الحديثة : النجف

١٣٧٧ هـ = ١٩٥٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما هو أهله وصلى الله على محمد وآله الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم اجمعين الى يوم الدين (وبعد) فيقول محمد بن المهدي الحسيني الشيرازي هذا كتاب « الفضائل والاضداد » جمعت فيه مهام جامع السعادات ، في علم الأخلاق ولخصت الكتاب المذكور ابتغاء سهولة التناول واقتصرت على الروايات في الغالب والله اسأل ان ينفعني به وسائر الطلاب كما نفع باصله ، وهو ولي التوفيق عليه اتوكل وبه استعين .

انقسام حقيقة الانسان وحالاته بالاعتبار

اعلم ان الانسان منقسم الى سر وعلن وروح وبدن ولكل منها منافيات وملائمات وآلام ولذات ومهلكات ومنجيات ، ومنافيات البدن وآلامه هي الأمراض الجسمانية ، وملائماته هي الصحة واللذات الجسمانيـة ، والمتكفل لبيان تفاصيل هـذه الأمراض ومعالجاتها هو علم الطب . ومنافيات الروح وآلامه هي رذائل الأخلاق التي تهلكه وتشقيه ، وصحته رجوعه الى فضائلها التي تسعده وتنجيه وتوصله الى مجاورة أهل الله ومقربيه و المتكفل لبيان هذه الرذائل ومعالجتها هو علم الأخلاق .

فضائل الاخلاق ورذائلها

فضائل الأخلاق من المنجيات الموصلة الى السعادة الأبدية ورذائلها من المهلكات الموجبة للشقاوة السرمدية ، فالتخلي عن الثانية والتحلي بالاولى من أهم الواجبات والوصول الى الحياة الحقيقية بدونها من المحالات ، فيجب على كل عاقل ان يجتهد في اكتساب فضائل الأخلاق التي هي الاوساط (١) المثبتة من صاحب الشريعة والاجتناب عن رذائلها التي هي الأطراف ، ولو قصر أدركته الهلاكة الأبدية . (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا) .

ومثل من يواظب على الطاعات الظاهرة ويترك تفقد قلبه كبئر الحش ظاهرها جص

(١) اشارة الى ان الفضيلة وسط بين رذيلتين وقـد دعى الشارع الى تحصيل الوسط بقوله صلى الله عليه وآله وسلم خير الأمور اوسطها . وسيأتي شرح المعنى من الوسط والطرفين .

وباطنها نتن ، وكقبور الموتى ظاهرها مزينة وباطنها جيفة ، أو كبيت مظلم وضع السراج على ظاهره فاستنار ظاهره وباطنه مظلم ، أو كرجل زرع زرعاً فنبت معه حشيش يفسده فامر بتنقية الزرع عن الحشيش بقلعه عن أصله فاخذ يجز رأسه ويقطعه فلا يزال يقوى أصله وينبت .

الاخلاق الذميمة تحجب عن المعارف

الأخلاق المذمومة هي الحجب المانعة عن المعارف الالهية والنفحات القدسية اذ هي بمنزلة الغطاء للنفوس فما لم يرتفع عنها لم تتضح لها جلية الحال اتضاحا ، كيف والقلوب كالاواني فاذا كانت مملوءة بالماء لا يدخلها الهواء ، فالقلوب المشغولة بغير الله لا تدخلها معرفة الله وحبه وانسه ، والى ذلك اشار النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : (لولا ان الشياطين يحومون الى قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماوات والارض) ولذا قال سبحانه : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم .

ثم ما يظهر للقلب من العلوم لطهارته وصفاء جوهره هو العلم الحقيقي النوراني الذي لا يقبل الشك ، وله غاية الظهور والانجلاء لاستفادته من الانوار الالهية والالهامات الحقة الربانية ، وهو المراد بقوله عليه السلام : « انما هو نور يقذفه الله في قلب من يشاء » واليه أشار مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بقوله : « ان من أحب عباد الله اليه عبداً أعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف فزهر مصباح الهدى في قلبه » (الى ان قال) : « قد خلع سرابيل الشهوات ، وتخلى من الهموم إلا هماً واحداً انفرد به ، فخرج من صفة العمى ومشاركة أهل الهوى ، وصار من مفاتيح ابواب الهدى ، ومغاليق ابواب الردى قد ابصر طريقه ، وسلك سبيله وعرف مناره ، وقطع غماره واستمسك من العرى بأوثقها ومن الحبال بأمتنها فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس » .

وفي كلام آخر له عليه السلام « قد احيى قلبه وأمات نفسه حتى دق جليله ولطف غليظه وبرق له لامع كثير البرق فأبان له الطريق وسلك به السبيل ، وتدافعته الابواب الى باب السلامة ودار الاقامة ، وتثبت رجلاه لطمأنينة بدنه في قرار الأمن وازاحة بما استعمل قلبه وارضى ربه » .

وقال عليه السلام في وصف الراسخين من العلماء : « هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة وباشروا روح اليقين ، واستلانوا ما استوعره المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون وصحبوا الدنيا بأبدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى » .

تنبيه

الدنيا والآخرة متضادتان وكلما يقرب العبد الى احداهما يبعد عن الاخرى وبالعكس ، كما دلت عليه البراهين الحكمية والشواهد الذوقية والادلة السمعية ، فكل ملكة أو حركة أو قول أو فعل يقرب العبد الى دار الطبيعة والغرور يبعده عن عالم البهجة والسرور وبالعكس .

فاسوء الناس حالا من لم يعرف حقيقة الدنيا والآخرة وتضادهما ولم يخف سوء العاقبة ، وافنى عمره في طلب الدنيا واصلاح أمر المعاش وقصر سعيه على جر المنفعة لبدنه من نيل شهوة أو بلوغ لذة أو اكتساب ترفع ورئاسة أو جمع المال ، من غير تصور لما يصل اليه من فائدته كما هو عادة اكثر ابناء الدنيا ، ولم يعرف غير هذه الامور من المعارف الحقيقية والفضائل الخلقية والأعمال الصالحة المقربة الى عالم البقاء ، فكأنه يعلم خلوده في الدنيا ولا يرجو بعد الموت ثواب عمل ولا جزاء فعل ولا يعتقد بما يرجوه المؤمنون ويؤمله المتقون من الخير الدائم واللذات المخالفة لهذه اللذات الفانية التي يشارك فيها السباع والبهائم ، فاذا أدركه الموت مات على حسرة وندامة آيساً من رحمة الله قائلا : (ياحسرتي على ما فرطت في جنب الله) اعاذنا الله من سوء الخاتمة

ووفقنا الله لتحصيل السعادة الدائمـة ونحن الآن نذكر الرذائل والفضائل مقتصراً على القدر الواجب .

الجربزة

الجربزة هي الموجبة للخروج في الفكر عن الحد اللائق وعدم استقامة الذهن على شيء ، بل لا يزال يستخرج اموراً دقيقة غير مطابقة للواقع ويتجاوز عن الحق ولا يستقر عليه ، وربما ادى في العقليات الى الالحاد وفساد الاعتقاد بل الى نفي حقائق الاشياء رأساً كما للسوفسطائية وفي الشرعيات الى الوسواس .

وعلاجه بعد تذكر قبحه وايجابه للهلاك ان يكلف نفسه على الاستقامة على مقتضى الأدلة المعتبرة عند اولي الافهام المستقيمة ولا يتجاوز عن معتقدات أهل الحق المعروفين بالتحقيق واستقامة القريحة و لا يزال يكلف نفسه على ذلك حتى يعتاد القيام على الوسط و ربما كان للاشتغال بالتعليميات نفع في ذلك .

الجهل البسيط

وهو خلو النفس عن العـلم من دون اعتقاد بكونها عالمة ، وهو في البـداية غير مذموم لتوقف التعلم عليه اذ ما لم تعتقـد النفس جهلها بالمعارف لم تنهض لتحصيلها وأما الثبات عليه فهو من المهلكات العظيمة والطريق في ازالته امور .

الاول ان يتذكر ما يدل على قبحه و نقصه .

الثاني ان يتذكر ما ورد في الشريعة من الذم عليه مثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (ستة يدخلون في النار قبل الحساب لستة) وعد منهم اهل الرساتيق بالجهالة .

الثالث ان يتذكر ما يدل على فضيلة العلم عقلا و نقلا كما نذكره .

الجهل المركب

وهو خلو النفس عن العلم مع اعتقاد كونها عالمة ، فهو اشد الرذائل وازالته في غاية الصعوبة ولذا قال عيسى عليه السلام : اني لا اعجز عن معالجة الاكمه والابرص واعجز عن معالجة الاحمق ، والسر فيه انه مع قصور الشخص بهذا الاعتقاد الفاسد لا يتنبه على نقصانه فلا يتحرك للطلب فيبقى في الضلالة والردى ما دام باقياً في دار الدنيا .

فنقول لا ريب في ان العلم أفضل الفضائل الكمالية واشرف النعوت الجمالية عقلا وعرفا وشرعا اما الاولان فواضح واما ما يدل على شرافة العلم من الآيات والاخبار فهو اكثر من ان تحصى واليك نبذة منها قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ، وقوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، وقوله تعالى ومن يؤتى الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً ، وقوله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون .

وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم اللهم ارحم خلفائي قيل يارسول الله من خلفاؤك قال الذين يأتون من بعدي ويروون حديثي وسنتي وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : لابي ذر جلوس ساعة عند مذاكرة العلم أحب الى الله تعالى من قيام الف ليلة يصلي في كل ليلة الف ركعة وأحب اليه من الف غزوة ، ومن قراءة القرآن كله اثني عشر الف مرة ، وخير من عبادة سنة صام نهارها وقام ليلها ومن خرج من بيته ليلتمس بابا من العلم كتب الله عز وجل له بكل قدم ثواب نبي من الانبياء وثواب الف شهيد من شهداء بدر واعطاه الله بكل حرف يسمع أو يكتب مدينة في الجنة وطالب العلم يحبه الله وتحبه الملائكة والنبيون ولا يحب العلم إلا السعيد وطوبى لطالب العلم والنظر في وجه العالم خير من عتق الف رقبة ومن أحب العلم وجبت له الجنة ويصبح ويمسي في رضى الله ولا يخرج من الدنيا حتى يشرب من الكوثر ويأكل من ثمرة الجنة ولا

يأكل الدود جسده ويكون في الجنة رفيق خضر عليه السلام .

وقول امير المؤمنين عليه السلام ان كمال الدين طلب العلم والعمل به وان طلب العلم اوجب عليكم من طلب المال وان المال مقسوم مضمون لكم قد قسمه عادل بينكم وقد ضمنه وسيفي لكم والعلم مخزون عند أهله فاطلبوه .

وقوله عليه السلام اذا مات مؤمن وترك ورقة واحدة عليها علم كانت تلك الورقة ستراً بينه وبين النار واعطاه الله بكل حرف عليها مدينة أوسع من الدنيا سبع مرات .

وقول سيد الساجدين علي بن الحسين عليه السلام لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج و خوض اللجج .

وقول الباقر عليه السلام عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين الف عابد .

وقول الصادق عليه السلام لو يعلم الناس ما في فضل معرفة الله تعالى ما مدوا اعينهم الى ما متع به الاعداء من زهرة الحياة الدنيا ونعيمها وكانت دنياهم اقل عندهم مما يطؤن بارجلهم و لتنعموا بمعرفة الله وتلذذوا بها تلذذ من لم يزل في روضات الجنان مع اولياء الله ان معرفة الله تعالى انس من كل و حشة وصاحب من كل وحدة ونور من كل ظلمة و قوة من كل ضعف وشفاء من كل سقم قد كان قوم قبلكم يقتلون ويحرقون و ينشرون وتضيق عليهم الارض برحبها فما يردهم عما هم عليه شيء مما هم فيه من غير ترة و تروا من فعل ذلك بهم ولا اذى بما نقموا منهم إلا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد فاسألوا ربكم درجاتهم واصبروا على نوائب دهركم تدركوا سعيهم .

وعن الرضا عليه السلام عن ابائه عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال طلب العلم فريضة على كل مسلم فاطلبوا العلم في مظانه واقتبسوا من اهله فان تعلمه لله تعالى حسنة وطلبه عبادة والمذاكرة به تسبيح والعمل به جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة و بذله لاهله قربة الى الله لأنه معالم الحلال والحرام ومنار سبيل الجنة و المؤنس في الوحشة والصاحب في الغربة والوحدة والمحدث في الخلوة والدليل على السراء والضراء و السلاح على الاعداء والزين عند الاخلاء يرفع الله به اقواماً ويجعلهم في الخير قادة تقتبس آثارهم ويقتدى بافعالهم وينتهى الى آرائهم ترغب

الملائكة في خلتهم وباجنحتها تمسحهم و في صلاتها تبارك عليهم ويستغفر لهم كل رطب ويابس حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وانعامه ان العلم حياة القلوب من الجهل وضياء الابصار من الظلمة وقوة الابدان من الضعف يبلغ بالعبيد منازل الاخيار ومجالس الابرار والدرجات العلى في الاخرة والاولى . الذكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع الرب ويعبد وبه توصل الارحام ويعرف الحلال والحرام العلم امام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء فطوبى لمن لم يحرمه الله من حظه .

آداب التعلم والتعليم

(تنبيه) لكل من التعلم والتعليم آداب وشروط (اما اداب التعلم) فمنها ان يجتنب المتعلم عن اتباع الشهوات والهوى والاختلاط بابناء الدنيا ولقد قال بعض الاكابر : كما ان الحاسة الجليدية اذا كانت مؤفة برمد ونحوه فهي محرومة من الأشعة الفائضة عن الشمس كذلك البصيرة اذا كانت مؤفة بمتابعة الشهوات والهوى والمخالطة بابناء الدنيا فهي محرومة من ادراك الانوار القدسية ومحجوبة عن ذوق اللذات الأنسية.

ومنها ان يكون تعلمه لمجرد التقرب الى الله والفوز بالسعادات الاخروية ولم يكن باعثه شيئاً من المرآء والمجادلة والمباهات والمفاخرة والوصول الى جاه ومال أو التفوق على الأقران والأمثال .

قال الباقر عليه السلام من طلب العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس فليتبوأ مقعده من النار ان الرئاسة لا تصلح إلا لأهلها .

وقال الصادق عليه السلام طلبة العلم ثلاثة فاعرفهم باعيانهم وصفاتهم صنف يطلبه للجهل والمرآء وصنف يطلبه للاستطالة والختل وصنف يطلبه للفقه والعقل ، فصاحب الجهل والمراء موذ ممار متعرض للمقال في اندية الرجال بتذاكر العلم وصفة الحلم قد تسربل بالخشوع وتخلى من الورع فدق الله من هذا خيشومه وقطع منه حيزومه .

وصاحب الاستطالة والختل ذو خب وملق يستطيل على مثله من اشباهه ويتواضع للاغنياء من دونه فهو لحلوانهم هاضم ولدينه حاطم فاعمى الله على هذا خبره وقطع من آثار العلماء اثره ، وصاحب الفقه والعقل ذو كآبة وحزن وسهر قد تحنك في برنسه وقام الليل في حندسه يعمل ويخشى وجلا داعياً مشفقاً مقبلا على شأنه عارفاً باهل زمانه مستوحشاً من اوثق اخوانه فشد الله من هذا اركانه واعطاه يوم القيمة امانه

ومنها ان يعمل بما يعلم ويعلم فان من عمل بما يعلم ورثه الله ما لم يعلم ، قال الصادق عليه السلام العلم مقرون الى العمل من علم عمل ومن عمل علم والعلم يهتف بالعمل فان اجابه وإلا ارتحل عنه ، وعن السجاد عليه‌السلام قال مكتوب في الانجيل لا تطلبوا علم ما لا تعملون ولما تعملوا بما علمتم فان العلم اذا لم يعمل به لم يزدد صاحبه إلا كفراً ولم يزده من الله إلا بعدا ، وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أخذ العلم من اهله وعمل بعلمه نجى و من أراد به الدنيا فهي حظه ، و عنه (ص) العلماء رجلان رجل عالم اخذ بعلمه فهذا ناج ، وعالم تارك لعلمه فهذا هالك وأن اهل النار ليتأذون من ريح العالم التارك لعلمه ، وان اشد اهل النار ندامة وحسرة رجل دعا عبداً الى الله فاستجاب له وقبل منه فاطاع الله فادخله الجنة وادخل الداعي النار بترك عمله واتباعه الهوى وقال (ص) ان اخوف ما اخاف عليكم اثنان اتباع الهوى وطول الأمل أما اتباع الهوى فيصد عن الحق وطول الأمل ينسي الآخرة .

ومنها ان يحافظ على شرائط الخضوع والادب للمعلم ولا يرد عليه شيئاً بالمواجهة ويكون محبا له بقلبه و لا ينسى حقوقه لأنه والده المعنوي الروحاني وهو أعظم الآباء الثلاثة ، قال الصادق عليه السلام اطلبوا العلم و تزينوا معه بالحلم والوقار وتواضعوا لمن تعلمونه العلم وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم ، هذا وقد اشرنا سابقاً الى ان اللازم لكل متعلم ان يطهر نفسه اولا من رذائل الاخلاق وذمائم الأوصاف باسرها اذ ما لم يجر دلوح نفسه عن النقوش الردية لم تشرق عليه لمعات انوار العلم والحكمة .

وأما آداب التعليم

فمنها ان يخلص المعلم تعليمه لله سبحانه ولم يكن له فيه باعث دنيوي من طمع مال أو جاه ورئاسة أو شهرة بين الناس بل يكون الباعث مجرد التقرب الى الله تعالى والوصول الى المثوبات الأبدية فان من علم غيره علما كان شريكا في ثواب تعليم هذا الغير لآخر وفي ثواب تعليم هذا الآخر لغيره وهكـذا الى غير النهاية فيصل بتعليم واحد الى مثوبات التعاليم غير المتناهية وكفى بهذاله فضلا وشرفا .

ومنها ان يكون مشفقاً على المتعلم ناصحاً له مقتصراً في الافادة على قدر فهمه متكلما معه باللين والهشاشة لا بالغلظة والفضاضة .

ومنها ان لا يضن العلم من اهله ويمنعه عن غير اهله لأن بذل الحكمة للجهال ظلم عليها ومنعها عن اهلها ظلم عليهم كما ورد في الخبر (١)

ومنها ان يقول ما يعلم ويسكت عما لا يعلم حتى يرجع اليه ويعلمه ولا يخبر المتعلمين ببيان خلاف الواقع وهذا الشرط لا يختص بالمعلمين بل يعم كل من تصدر عنه المسائل العلمية ، كالمفتي والقاضي وامثالها ، قال الباقر عليه السلام حق الله على العباد ان يقولوا ما يعلمون ويقفوا عند ما لا يعلمون ، وقال الصادق عليه السلام ان الله تعالى خص عباده بآيتين من كتابه : الا يقولوا حتى يعلموا ولا يردوا ما لم يعلموا فقال ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله إلا الحق ، وقال بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ، وعنه عليه السلام اذا سئل الرجل منكم عما لا يعلم فليقل لا أدري ولا يقل الله أعلم فيوقع في قلب صاحبه شكا واذا قال المسؤل لا أدري فلا يتهمه السائل ، وعنه عليه السلام اياك وخصلتين ففيهما هلك من هلك اياك

(١) عن الصادق (ع) قال قام عيسى بن مريم خطيباً في بني اسرائيل فقال يابني اسرائيل لا تحدثوا الجهال بالحكمة فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم .

ان تفتي برأيك أو تدين بما لا تعلم ، وعن الباقر عليه السلام من افتى الناس بغير علم ولا هدى لعنته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ولحقه وزر من عمل بفتياه ، ولكل من المعلم والمتعلم آداب اخر ذكرها كثرها الشهيد الثاني (ره) في منية المريد .

الشك والحيرة

وهو عجز النفس عن تحقيق الحق وابطال الباطل في المطالب الخفية والغالب حصوله من تعارض الادلة ولا ريب انه مما يهلك النفس ويفسدها اذ الشك ينافي اليقين الذي لا يتحقق الايمان بدونه ، قال اميرالمؤمنين عليه السلام في بعض خطبه لا ترتابوا فتشكوا ولا تشكوا فتكفروا ، وكان الارتياب في كلامه عليه السلام مبدء الشك ، وقال الباقر عليه السلام لا ينفع مع الشك والجحود شيء ، وقال الصادق عليه السلام ان الشك والمعصية في النار ليس منا ولا الينا .

وسئل عليه السلام عن قول الله تعالى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قال بشك ، وقال عليه السلام من شك في الله تعالى بعد مولده علي الفطرة لم يفيء الى خير ابداً ، وقال عليه السلام من شك أوظن فاقام علي احدهما احبط الله عمله ان حجة الله هي الحجة الواضحة ، وقال عليه السلام من شك في الله تعالى وفي رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فهو كافر ، وبمضمونه وردت اخبار اخر .

وغير خفي ان المراد بالشك ما يضعف الاعتقاد ويزيل اليقين لا مجرد الوسوسة وحديث النفس بل الظاهر من بعض الاخبار أن ايجاب الشك للكفر اذا انجر الى الجحود كما روى ان ابا بصير سئل الصادق عليه السلام ما تقول فيمن شك في الله تعالى ؟ قال : كافر قال فشك في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قال : كافر ثم التفت الى زرارة فقال انما يكفر اذا جحد .

ضد الحيرة والشك

ضد الحيرة والشك هو اليقين واول مراتبه اعتقاد ثابت جازم مطابق للواقع غير زائل بشبهة وان قويت ، وهو اشرف الفضائل الخلقية واهمها وافضل الكمالات النفسية واعظمها ، ومن وصل اليه فاز بالرتبة القصوى والسعادة العظمى ، قال سيد الرسل صلى الله عليه وآله وسلم : اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اوتي حظه منهما لم يبال ما فاته من صيام النهار وقيام الليل . وقال صلى الله عليه وآله وسلم اليقين الايمان كله ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما آدمي الا وله ذنوب ولكن من كانت غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لأنه كلما اذنب ذنباً تاب واستغفر وندم فتكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة .

وقال الصادق عليه السلام ان العمل الدائم القليل على اليقين افضل عند الله تعالى من العمل الكثير على غير يقين ، وعنه عليه السلام ان الله تعالى بعدله وقسطه جعل الروح والراحة في اليقين والرضا وجعل الهم والحزن في الشك والسخط .

وفي وصية لقمان لابنه يابني لا يستطاع العمل إلا باليقين ولا يعمل المرء إلا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه .

الشرك

وهو ان يرى في الوجود مؤثراً غير الله سبحانه فان عبد هذا الغير سواء كان صنما أو كوكباً أو انساناً أوشيطاناً كان شرك عبادة وان لم يعبده ولكن لاعتقاده كونه منشأ أثرا طاعه فيما لا يرضى الله فهو شرك طاعة والاول يسمى بالشرك الجلي

والثاني يسمى بالشرك الخفي واليه الاشارة بقوله تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله إلا وهم مشركون ، وكون الشرك اعظم الكبائر الموبقة وموجباً لخلود النار مما لاريب فيه وقد انعقد عليه اجماع الامة والآيات والاخبار الواردة به خارجة عن حد الاحصاء .

الخواطر النفسانية والوساوس الشيطانية

اعلم ان الخاطر ما يعرض في القلب من الافكار فان كان مذموما داعياً الى الشر سمي وسوسة ، وان كان محموداً داعياً الى الخير سمي الهاماً.

ثم لما كان الخاطر امراً حادثاً فلابد له من سبب فان كان سببه شيطاناً فهو الوسوسة وان كان ملكا فهو الالهام وما يستعد به القلب لقبول الوسوسة يسمى اغواء وخذلاناً وما يتهيأ به لقبول الالهام يسمى لطفاً وتوفيقاً والى ذلك اشار سيد الرسل صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : في القلب لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق ولمة من الشيطان ايعاد بالشر وتكذيب بالحق وبقوله صلى الله عليه وآله وسلم قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن .

ثم اعلم ان مجرد الخواطر وحديث النفس ومايتولد عنه بلا اختيار كالميل و هيجان الرغبة لا مؤاخذة عليها والدليل على عدم المؤاخذة على مجرد الخاطر ما روي في الكافي انه جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يارسول الله هلكت فقال له هل اتاك الخبيث فقال لك من خلقك ؟ فقلت لله تعالى ، فقال لك الله من خلقه ؟ فقال له أي والذي بعثك بالحق لكان كذا فقال رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم ذاك والله محض الايمان ومثله ما روى ان رجلا اتى رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم فقال يارسول الله نافقت فقال و الله ما نافقت ولو نافقت ما اتيتني تعلمني ما الذي رابك اظن ان العدو الحاضر اتاك فقال من خلقك فقلت الله تعالى خلقني فقال لك من خلق الله فقال اي والذي بعثك بالحق لكان كذا فقال ان الشيطان اتاكم من قبل الاعمال

فلم يقو عليكم فاتاكم من هذا الوجه لكي يستزلكم فاذا كان كذلك فليذكر احدكم الله وحده وقريب منه ما روى ان رجلا كتب الى ابي جعفر عليه السلام يشكو اليه لمـا يخطر على باله فاجابه في بعض كلامه : ان الله تعالى ان شاء ثبتك فلا يجعل لابليس عليك طريقاً . قد شكى قوم الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمماً يعرض لهم لأن تهوى بهم الريح أو يقطعوا احب اليهم من ان يتكلموا به فقال رسول الله اتجدون ذلك؟ قالوا نعم قال والذي نفسي بيده ان ذلك لصريح الايمان فاذا وجدتموه فقولوا آمنا بالله ورسوله ولا حول ولا قوة إلا بالله ،وسئل الصادق عليه السلام عن الوسوسة وان كثرت فقـال لا شيء فيها تقول لا اله إلا الله ، وعن جميل بن دراج قال قلت للصادق عليه السلام انه يقع في قلبي امر عظيم فقال قل لا اله إلا الله قال جميـل فكلما وقع في قلبي قلت لا إله إلا الله فيذهب عني ومما يدل على عدم المؤاخذة عليه وعلى الميل وهيجان الرغبـة اذا لم يكونا داخلين تحت الاختيار ، ما روى انه لما نزل قوله تعالى (ان تبدوا ما في انفسكم اوتخفوه يحاسبكم به الله) جاء ناس من الصحابة الى رسول الله (ص) وقالوا كلفنا ما لا نطيق ان احدنا ليحـــدث نفسه بما لا يحب ان يثبت في قلبه ثم يحاسب بذلك فقال رسول الله (ص) لعلكم تقولون كما قال بنوا اسرائيل سمعنا و عصينا قولوا سمعنا واطعنا فقالوا سمعنا واطعنا فانزل الله الفرج بعـد سنة بقوله تعـالى (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) .

وما روي عن اميرالمؤمنين عليه السلام فيقوله سبحانه (ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله) ان هذه الآية عرضت على الانبياء والامم السابقـة فابوا ان يقبلوها من ثقلها وقبلها رسول الله (ص) وعرضها على امته فقبلوها فلما رأى الله عز وجل منهم القبول على انهم لا يطيقونها قال : أما اذا قبلت الآية بتشديدها وعظم ما فيها وقد عرضتها على الامم السابقة فابوا ان يقبلوها وقبلتها امتك فحق علي ان ارفعها عن امتك وقال عز من قائل لا يكلف الله نفساً إلا وسعها .

وما روي عن النبي (ص) انه قال وضع عن امتي تسع خصـال الخطأ والنسيان وما لا يعلمونه وما لا يطيقونه وما اضطروا اليه وما استكرهوا عليه والطيرة والوسوسة

في التفكر في الخلق والحسد ما لم يظهر بلسان أو يد .

وما روي انه سئل الصادق عليه السلام عن رجل يجيء منه الشيء على حد الغضب يؤاخذه الله تعالى فقال عليه السلام ان الله اكرم من ان يستغلق على عبده ، و المراد من الغضب فيه الغضب الذي يسلب الاختيار .

وصل الخاطر المحمود والتفكر

اعلم ان ضد الوسوسة الخاطر المحمود المستحسن شرعا وعقلا ومنه التفكر وهو سير الباطن من المبادئ الى المقاصد والمبادئ هي آيات الآفاق و الانفس ، والمقصد هو الوصول الى معرفة موجدها ومبدعها والعلم بقدرته القاهرة وعظمته الباهرة ، وهو اجنحة النفس للطيران الى وكرها القدسي ومطية الروح للمسافرة الى وطنها الاصلي وبه تنكشف ظلمة الجهل واستاره وتنجلي انوار العلم واسراره ولذا ورد عليه الحث والمدح في الآيات والاخبار كقوله سبحانه (أولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما إلا بالحق) وقوله تعالى (أو لم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء) وقوله تعالى (فاعتبروا ياأولي الابصار) وقوله تعالى (قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الله الخلق) وقوله تعالي (ان في خلق السموات والارض لآيات لأولي الالباب) وقوله تعالى (وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون) وقوله تعالي (يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض .

وقول رسول الله (ص) التفكر حياة قلب البصير ، وقوله (ص) فكرة ساعة خير من عبادة سنة ، ولا ينال منزلة التفكر إلا من خصه الله عز وجل بنور التوحيد والمعرفة ، وقوله « ص » افضل العبادة ادمان التفكر في الله وفي قدرته ، ومراده من التفكر في الله التفكر في قدرته وصنعه وفي عجائب افعاله ومخلوقاته وغرائب

افعاله ومخلوقاته وغرائب آثاره ومبدعاته لا التفكر في ذاته لكونه ممنوعا عنه في الاخبار ومعللا بانه يورث الحيرة والدهشة واضطراب العقل ، وقد ورد اياكم و التفكر في الله ، ولكن اذا اردتم ان تنظروا الى عظمته فانظروا الى عظيم خلقه ، واشتهر عن النبي (ص) انه قال تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله فانكم لن تقدروا قدره

وقول امير المؤمنين التفكر يدعو الى البر والعمل به ، وقوله عليه السلام نبه بالتفكر قلبك وجاف عن الليل جنبك واتق الله ربك .

وقول الباقر عليه السلام باجالة الفكر يستدر الرأي المعشب .

و قول الصادق عليه السلام الفكر مرآة الحسنات و كفارة السيئات وضياء للقلوب وفسحة للخلق واصابة في صلاح المعاد واطلاع على العواقب واستزادة في العلم وهي خصلة لا يعبد الله بمثلها .

وقول الرضا عليه السلام ليس العبادة كثرة الصلوة و الصوم انما العبادة التفكر في امر الله عز وجل .

نصيحة

تيقظ ياحبيبي من نوم الغفلة وتفكر في اليوم لغدك قبل ان تنشب مخالب الموت في جسدك ولا تمنعك قوتك العاقلة عن التفكر في صفاتك واحوالك ، وأعلم على سبيل القطع واليقين ان كل ما في نفسك من فضيلة أورذيلة وكل ما يصدر عنك من طاعة أو معصية يكون بازائه جزاء عند رحلتك عن هـذه الدار الفانية واسمع قول سيد

الرسل (ص) ولو كنت ذا قلب لكفاك ايقاظاً وتنبيهاً حيث قال ان روح القدس نفث في روعي احب من شئت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزى به .

ولعمري انك ان كنت مؤمناً بالمبدء والمعاد لكفاك هذا الكلام واعظا وحائلا بينك وبين الالتفات الى الدنيا واهلها .

وبالجملة ينبغي للمؤمن الا يخلو في كل يوم وليلة عن التفكر في صفاته وافعاله واذا صرف برهة من وقته فبهذا التفكر وبرهة اخرى في التفكر في عجائب قدرة ربه وصار ذلك معتاداً له حصل لنفسه كمال قوتيها العقليــة والعملية وخلصت عن الوساوس الشيطانيــة والخواطر النفسانية وفقنا الله بعظيم فضله للوصول الى ما خلقنا لاجله .

فصل - المكر والحيل

للوصول الى مقتضيات قوتي الغضب والشهوة

اعلم ان المكر والحيلة والخدعة والنكر والدهاء الفاظ مترادفة وهذه الرذيلة اخبث الرذائل واشــدها معصية ولذلك قال رسول الله (ص) ليس منا من ماكر مسلماً

وقال امير المؤمنين (ع) لولا ان المكر و الخديعة في النار لكنت امكر الناس .

وكان عليه السلام كثيراً ما يتنفس الصعداء ويقول واويلاه يمكرون بي ويعلمون اني بمكرهم عالم واعرف منهم بوجوه المكر ولكني اعلم ان المكر والخديعة في النار فاصبر على مكرهم ولا ارتكب مثل ما ارتكبوا .

التهور

وهو من طرف الافراط أي الاقدام على ما لا ينبغي والخوض فيما يمنعه العقل والشرع من المهالك والمخاوف ولا ريب انه من المهلكات في الدنيا والآخرة ، ويدل على ذمه كل ما ورد في وجوب محافظة النفس وفي المنع عن القائها في المهالك كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وغير ذلك من الآيات والاخبار .

الجبن

وهو سكون النفس عن الحركة الى الانتقام أو غيره مع كونها أولى والغضب افراط في تلك الحركة فله ضدية للغضب باعتبار ، وللتهور باعتبار آخر ، وعلى الاعتبارين هو في طرف التفريط من المهلكات العظيمة وهو يوجب الحرمان عن السعادات باسرها وتمكين الظالمين من الظلم عليه وتحمله للفضائح في نفسه واهله واستماع القبائح من الشتم والقذف وعدم مبالاته بما يوجب الفضيحة والعار وتعطيل مقاصده ومهماته ولذلك ورد في ذمه من الشريعة ما ورد ،قال رسول الله لا ينبغي للمؤمن ان يكون بخيلا ولا جباناً ، وقال (ص) اللهم اني اعوذ بك من البخل واعوذ بك من الجبن واعوذ بك ان ارد الى ارذل العمر .

وصل - الشجاعة

إن ضد هذين الجنسين هو الشجاعة ولا ريب في انها اشرف الملكات النفسية وافضل الصفات الكمالية والفاقد لها بريء عن الفحلية والرجولية وهو بالحقيقة من النسوان دون الرجال وقد وصف الله خيار الصحابة بها في قوله اشداء على الكفار وامر الله نبيه بها بقوله واغلظ عليهم اذ الشدة والغلظة من لوازمها وآثارها والاخبار مصرحة باتصاف المومن بها ، قال اميرالمؤمنين عليه‌السلام في وصف المؤمن نفسه اصلب من الصلد وقال الصادق عليه السلام المؤمن اصلب من الجبل اذ الجبل يستفل منه والمؤمن لايستفل من دينه

الخوف

وهو تالم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال مشكوك الوقوع فلو علم اوظن حصوله سمى توقعه إنتظار مكروه وكان تألمه اشد الخوف وكلامنا في كليهما .

وفرقه عن الجبن هو ان الجبن سكون النفس عما يستحسن شرعاً وعقلا من الحركة الى الانتقام اوشيء آخر وهذا السكون قد يتحقق من غير حدوث التالم الذي هو في الخوف مثلا من لا يجترىء على الدخول في السفينة او النوم في البيت

وحده اوالتعرض لدفع من يظلمه ويتعرض له يمكن اتصافه بالسكون المذكور مع عدم تألم له بالفعل فمثله جبان وليس بخائف .

ثم الخوف على نوعين احدهما مذموم بجميع اقسامه وهو الذي لم يكن من الله ولا من صفاته المقتضية للهيبة والرعب ولا من معاصي العبد وجناياته وثانيهما محمود وهو الذي يكون من الله ومن عظمته ومن خطا العبد وجناياته والخوف من الله سبحانه من افضل الفضائل والآيات والاخبار الدالة عليه اكثر من ان تحصى ، وقد جمع الله للخائفين العلم والهدى والرحمة والرضوان وهي مجامع مقامات اهل الجنان فقال : إنما يخشى الله من عباده العلماء ، وقال هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون ، وقال رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه وكثير من الآيات مصرحة بكون الخوف من لوازم الايمان كقوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وقوله و خافون ان كنتم مؤمنين ومدح الخائفين بالتذكر في قوله سيذكر من يخشى ووعدهم الجنة وجنتين بقوله واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى الماوى وقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان ، وفي الخبر القدسي وعزتي لااجمع على عبدى خوفين ولااجمع له امنين فاذا امنني في الدنيا اخفته يوم القيمة واذا خافني في الدنيا امنته يوم القيمة ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأس الحكمة مخافة الله ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم من خاف الله اخاف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله اخافه الله من كل شيء ، وقال لابن مسعود ان اردت ان تلقاني فاكثر من الخوف بعدي ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم

أعـكم عقلا اشد كم لله خوفاً .

وعن ليث بن ابي سليم قال : سمعت رجلا من الانصار يقول بينما رسول الله مستظل بظل شجرة في يوم شديد الحر اذ جاء رجل فنزع ثيابه ثم جعل يتمرغ في الرمضاء يكوى ظهره مرة وبطنه مرة ويقول يا نفس ذوقي فما عندالله أعظم مما صنعت بك ورسول الله ينظر اليه ما يصنع ثم ان الرجل لبس ثيابه ثم اقبل فاومى اليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيده ودعاه فقال له ياعبد الله رأيتك صنعت شيئا ما رأيت احداً من الناس صنعه فما حملك على ما صنعت ؟ فقال الرجل حملني على ذلك مخافة الله فقلت لنفسي يا نفس ذوقي فما عند الله أعظم مما صنعت بك فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقد خفت ربك حق مخافته وان ربك ليباهي بك اهل السماء ثم قال لاصحابه يا معشر من حضر ادنوا من صاحبكم حتى يدعولكم فدنوا منه فدعا لهم وقال : اللهم اجمع امرنا على الهدى واجعل التقوى زادنا والجنة مآبنا ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما من مؤمن يخرج من عينيه دمعة وان كانت مثل رأس الذباب من خشية الله ثم يصيب شيئاً من حر وجهه الا حرمه الله على النار ، وقال إذا إقشعر قلب المؤمن من خشية الله تحاتت عنه خطاياه كما يتحات من الشجر ورقها .

وقال لايلج النار احد بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع .

وقال سيد الساجدين في بعض ادعيتـــه سبحانك عجباً لمن عرفك كيف لايخافك . وقال الباقر عليه السلام صلى أمير المؤمنين ﴿ع﴾ بالناس الصبح با لعراق فلما إنصرف وعظهم فبكى وابكاهم من خوف الله « ثم » قال اما والله لقد عهدت اقواما

على عهد خليلي رسول الله ﴿ص﴾ وانهم ليصبحون ويمسون شعثاً غبراً خمصاً بين اعينهم كركب البعير يبيتون لربهم سجداً وقياماً يراوحون بين اقدامهم وجباههم يناجون ربهم في فكاك رقابهم من النار والله لقد رأيتهم مع هذا وهم خائفون مشفقون ، وفي رواية اخرى وكان زفير النار في اذانهم اذا ذكر الله عندهم مادوا كما تميد الشجر كانما القوم باتوا غافلين « ثم » قال عليه السلام فما رئي ﴿ع﴾ بعد ذلك ضاحكا حتى قبض .

وقال الصادق عليه السلام من عرف الله خاف ومن خاف الله سخت نفسه عن الدنيا ، وقال ﴿ع﴾ ان من العبادة شدة الخوف من الله تعالى يقول انما يخشى الله من عباده العلماء ، وقال فلا تخشوا الناس واخشوني ، وقال ومن يتق الله يجعل له مخرجاً . وقال ان حب الشرف والذكر لايكونان في قلب الخائف الراهب ، وقال عليه السلام المؤمن بين مخافتين ذنب مضى ما يدري ما صنع الله فيه وعمر قد بقي لايدري ما يكتسب فيه من المهالك فهو لايصبح الا خائفاً ولا يصلحه الا الخوف ، وقال عليه السلام خف الله كانك تراه وان كنت لاتراه فانه يراك وان كنت ترى انه لايراك فقد كفرت وان كنت تعلم انه يراك ثم برزت له بالمعصية فقد جعلته من اهون الناظرين اليك ، وقال عليه السلام لايكون المؤمن مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً ولايكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملا لما يخاف ويرجو ، وقال عليه السلام مما حفظ من خطب النبي ﴿ص﴾ انه قال ايها الناس ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم وان لكم نهاية

فانتهوا الى نهايتكم الا ان المؤمن يعمل بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه ، وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليأخذ العبد المؤمن من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الكبر وفي الحياة قبل الممات فو الذي نفس محمد بيده ما بعد الدنيا من مستعتب وما بعدها من دار الا الجنة او النار

فصل

الفرق بين الاطمئنان والامن من مكر الله

ضد الخوف المذموم هو اطمئنان القلب في الامور المذكورة ، ولا ريب في كونه فضيلة وكمالا اذ قوة القلب وعدم اضطرابه مما يحكم العقل بعدم الحذر عنه صفة كمال ونقيضه نقص ورذيلة واما الخوف الممدوح فضده الامن من مكر الله وهو من المهلكات ، وقـــد ورد به الذم في الآيات والأخبار قال الله سبحانه ولا يا من مكر الله الا القوم الخاسرون ، وقد ثبت بالتواتر ان الملائكة والانبياء كانوا خائفين من مكره كما روى انه لمـا ظهر على ابليس ما ظهر طفق جبرئيل وميكائيل يبكيان فاوحى الله اليهما ما لكما تبكيان فقالا يارب لانا من مكرك فقال الله هكـذا كونا لا تأمنا مكرى .

وروى ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجبرئيل بكيا من خوف الله تعالى فاوحى الله اليهما لم تبكيان وقد امنتكما فقالا ومن يا من مكرك وكانهما لم

يا منا ان يكون قوله قد امنتكما ابتلاء لهما وامتحانا حتي ان سكن خوفهما ظهر انهما قد آمنا المكر وما وفيا بقولهما كما ان ابراهيم ﴿ع﴾ لما وضع في المنجنيق قال حسبي الله وكان هذا القول منـــه من الدعاوي العظيمة فا متحن وعورض بجبرئيل «ع» في الهواء حتى قال الك حاجة قال اما اليك فلا وكان ذلك وفاء بمقتضى قوله فا خبر الله تعالى عنه وقال وابراهيم الذي وفى .

وبا لجملة ينبغي للمؤمن الا يامن من مكر ربه كما لم يامن منـه الملائكةو الانبياء واذا لم يامن منه كان خائفاً منه دائماً .

فصل في الرجاء

اعلم ان اسم الرجاء انما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع اسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق الا ما ليس يدخل تحت اختيـاره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات فا لاحاديث الواردة في الـترغيب على الرجاء وفي سعة عفو الله وجزيل رحمته ووفور مغفرته، انما هي مخصوصة بمن يرجو الرحمة والغفران با لعمل الخالص المعد لحصولها وترك الانهاك في المعـاصي المفوت لهذا الاستعداد، فا حذران يغرك الشيطان ويثبطك عن العمل ويقنعك بمحض الرجاء والامل وانظر الى حال الأنبياء والاولياء واجتهادهم في الطـاعات وصرفهم العمر في العبادات ليلا ونهاراً اما كانوا يرجون عفو الله ورحمته ؟ بلى والله انهم كانوا اعلم بسعة رحمة الله وارجى لها منك ومن كل احد ولكن علموا ان رجاء الرحمة من دون العمل

غرور محض وسفه بحت فصرفوا في العبادات اعمارهم وقصروا على الطاعات ليلهم ونهارهم

ونحن نشير اولا الى بعض ما ورد في الرجاء من الآيات والأخبار « ثم » نورد نبذاً مما يدل على انه لامعنى للرجاء بدون العمل ليعلم ان اطلاق الأول محمول على الثاني فنقول الظواهر الواردة في الرجاء اكثر من ان تحصى وهي على اقسام .

الأول ما ورد في النهي على القنوط واليأس من رحمة الله كقوله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ، وقول علي عليه السلام لرجل اخرجه الخوف الى القنوط لكثرة ذنوبه يا هذا يأسك من رحمة الله أعظم من ذنوبك ، وما روى انه ﴿ص﴾ لما قال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم الى الصعدات تلدمون صدوركم وتجأرون الى ربكم فهبط جبرئيل عليه السلام فقال ان ربك يقول لم تقنط عبادي فخرج عليهم ورجاهم وشوقهم ، وما ورد ان رجلا من بني اسرائيل كان يقنط الناس و يشدد عليهم فيقول الله له يوم القيمة اليوم اؤيسك من رحمتي كما كنت تقنط عبادي منها .

الثاني ما ورد في الترغيب على خصوص الرجاء وكونه سبب النجاة كما ورد في أخبار يعقوب من انه اوحى الله اليه اتدري لم فرقت بينك وبين يوسف لقولك إني أخاف ان ياكله الذئب وانتم عنه غافلون لم خفت الذئب ولم ترجني ولم نظرت إلى غفلة اخوته ولم تنظر الى حفظي ، وقول امير المؤمنين ﴿ع﴾ لرجل قال عند النزع اجدني اخاف ذنوبي وارجو رحمة ربي : ما اجتمعا في قلب عبد فيهذا الموطن الا اعطاه الله ما رجا وامنه مما يخاف ، وقول النبي ﴿ص﴾ ان الله تعالى يقول للعبد يوم القيمة ما منعك اذ رأيت المنكر ان تنكره فان لقنه الله حجة

قال رب رجوتك وخفت الناس فيقول الله قد غفرته لك .

وما روى عنه ﴿ص﴾ ان رجلا يدخل النـــار فيمكث فيها الف سنة ينادي يا حنان يا منان فيقول الله لجبرئيل اذهب فأتني بعبدي فيجيء به فيوقفه على ربه فيقول الله له كيف وجـدت مكانك فيقول شر مكان فيقول رده الى مكانه قال فيمشي ويلتفت الى ورائه فيقول الله عز وجـل الى أي شيء تلتفت فيقول لقد رجوت الا تعيدني اليها بعد ان اخرجتني منها فيقول الله تعالى اذهبوا به الى الجنة ، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعـالى لايتكل العاملون على أعمالهم التي يعملونهـا لثوابي فانهم لو إجتهدوا واتعبوا انفسهم ، أعمارهم في عبادتي كانوا مقصرين غـــير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي فيما يطلبون عندي من كرامتي والنعيم في جنـــاتي ورفيع الدرجات العلى في جواري ولكن برحمتي فليثقوا والى حسن الظن بي فليطمئنوا وفضلي فلـيرجوا فان رحمتي عند ذلك تدركهم ومني يبلغهم رضواني ومغفرتي تلبسهم عفوى فاني انا الله الرحمن الرحيم وبذلك تسميت .

وعن ابي جعفر عليه السلام قال وجدنا في كتاب علي عليه السلام ان رسول الله ﴿ص﴾ قال وهو على منبره والذي لا اله الا هو ما اعطي مؤمن قط خير الدنيا والآخرة الا بحسن ظنـه بالله ورجائه له وحسن خلقه والكف عن إغتياب المؤمنين والذي لااله الا هو لايعذب الله مؤمناً بعد التوبة والاستغفار الا بسوء ظنه بالله وتقصيره من رجائه وسوء خلقـه واغتيابه للمؤمنين والذي لااله الا هو لايحسن ظن عبد مؤمن بالله الا كان الله عند ظن عبده المؤمن

لان الله كريم بيده الخيرات يستحيي ان يكون عبده المؤمن قد أحسن به الظن ثم يخلف ظنه ورجائه فاحسنوا بالله وارغبوا اليه .

الثالث ما ورد في استغفار الملائكة والأنبياء للمؤمنين كقوله تعالى والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم حياتي خير لكم وموتي خير لكم اما حياتي فاسن لكم السنن واشرع لكم الشرائع واما موتي فان اعمالكم تعرض على فما رأيت منها سيئاً استغفرت الله لكم .

الرابع ما ورد في تأجيل المذنب الى ان يستغفر كقول الباقر عليه السلام ان العبد اذا أذنب اجل من غدوة الى الليل فان استغفر لم يكتب عليه .

وقول الصادق عليه السلام من عمل سيئة اجل فيها سبع ساعات من النهار فان قال استغفر الله الذي لااله الا هو الحي القيوم واتوب اليه ثلاث مرات لم تكتب عليه .

الخامس ما ورد في شفاعة النبي ﴿ص﴾ كقوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى ، وقد ورد في تفسيره انه لايرضى محمد وواحد من امته في النار وقوله ﴿ص﴾ إدخرت شفاعتي لاهل الكبائر من امتي وكذا ما ورد في شفاعة الائمة والمؤمنين .

السادس ما ورد من البشارات للشيعة ومن عدم خلودهم في النار ومن ان حب النبي ﴿ص﴾ والعترة الطاهرة ينجيهم من العذاب وان فعلوا ما فعلوا .

السابع ما دل على ان النار انما اعدها الله لاعدائه من الكافرين وانما

يخوف بها اوليائه كقوله تعالى لهم من فوقهم ظل ذلك يخوف الله به عباده وقوله اتقوا النار التي اعدت للكافرين وقوله لايصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى

الثامن ما ورد في سعة عفو الله ومغفرته ووفور رأفته ورحمته كقوله وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ، وما روى في تفسير قوله تعالى يوم لايخزى الله النبي والذين آمنوا معه ان الله اوحى الى نبيه انى اجعل حساب امتك اليك فقال لايارب انت خير لهم مني فقال اذن لا اخزيك فيهم ، وماروى انه صلى الله عليه وآله وسلم قال يوماً يا كريم العفو فقال جبرئيل اتدري ماتفسير يا كريم العفو هو انه يعفو عن السيئآت برحمته ثم يبد لها حسنات بكرمه ، وماورد ان العبد إذا أذنب فاستغفر يقول الله لملائكته انظروا الى عبدي اذنب فعلم انه له رباً يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب اشهدكم اني قد غفرت له ، وما ورد في الخبر القدسي انما خلقت الخلق ليربحوا على ولم اخلقهم لاربح عليهم ، وماورد من انه لو لم يذنبوا لخلق الله تعالى خلقاً يذنبون ليغفر لهم ، وقوله ﴿ص﴾ والذي نفسي بيده الله ارحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها ، وماورد من انه سبحانه ليغفرن يوم القيامة مغفرة ما خطرت قط على قلب احد حتى أن ابليس يتطاول لها رجاء ان تصيبه ، والآيات والأخبار الواردة فيهذا المعنى متجاوزة عن حد التواتر .

التاسع ما دل على ان ابتلاء المؤمن في الدنيا بالبلايا والامراض كفارة لذنوبه كقوله ﴿ص﴾ الحمى من فيح جهنم وهي حظ المؤمن من النار .

العاشر ما ورد في ان الايمان لايضر معه عمل كما ان الكفر لاينفع معه

عمل ، وفي انه قد يغفر الله عبداً ويدخله الجنة لاجل مثقال ذرة من الايمان او عمل جزئي من الاعمال الصالحة .

الحادي عشر ما ورد في الترغيب على حسن الظن بالله كقوله صلى الله عليه وآله وسلم لايموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله ، وقوله (ص) يقول الله تعالى انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ، وقول الرضا عليه السلام احسن الظن بالله فان الله عز وجل يقول انا عند ظن عبدي بي ان خيراً فخير وان شراً فشر . وقول الصادق عليه السلام حسن الظن بالله الا ترجو الا الله ولا تخاف الا ذنبك . وقد تقدم بعض اخبار اخر في هذا المعنى « ثم » إيجاب حسن الظن للرجاء وجلبه له مما لاريب فيه .

الثاني عشر ما دل على ان الكفار اوالنصاب يكونون يوم القيمة فداء للمؤمنين او الشيعة كما روى انه صلى الله عليه وآله وسلم قال امتي امة مرحومة لاعذاب عليها في الآخرة وعجل عقابها في الدنيا بالزلازل والفتن فاذا كان يوم القيمة دفع الى كل رجل من امتي رجل من اهل الكتاب فقيل هذا فداؤك من النار . وعن اهل البيت عليهم السلام ان النصاب يجعلون فداء لشيعتنا بظلامهم اياهم ووقيعتهم فيهم . وعن الصادق عليه السلام سيؤتي بالواحد من مقصري شيعتنا في اعماله بعد ان صان الولاية والتقية وحقوق اخوانه ويوقف بازائه ما بين مائة واكثر من ذلك الى مائة الف من النصاب فيقال له هؤلاء فداؤك من النار فيدخل هؤلاء المؤمنون الى الجنة واولئك النصاب الى النار وذلك ما قال الله تعالى (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) في الدنيا منقادين

للامامة ليجعل مخالفوهم من النار فداء لهم .

واما الثاني اعني ما يدل على ان رجاء المغفرة والعفو والرحمة انما هو بعد العمل فاكثر من ان يحصى كقوله تعالى ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله . وقوله فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا . وقول النبي ﴿ص﴾ الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت . والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الجنة .

وما روى عن الصادق ﴿ع﴾ انه قيل له قوم يعملون بالمعاصي ويقولون نرجوا فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم الموت . فقال هؤلاء قوم يترجحون في الاماني كذبوا ليسوا براجين ان من رجا شيئاً طلبه ومن خاف من شيء هرب منه .

وعن علي بن محمد (ع) قيل له عليه السلام ان قوماً من مواليك يلمون بالمعاصي ويقولون نرجوا فقال كذبوا ليسوا لنا بموال اولئك قوم ترجحت بهم الاماني من رجا شيئاً عمل له ومن خاف شيئاً هرب منه . وعنه (ع) قال لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً ولا يكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملا لما يخاف ويرجو .

صغر النفس

وهو ملكة العجز عن تحمل الواردات وهو من نتائج الجبن ومن خبائث

الصنمات وتلزمه الذلة والمهانة وعدم الاقتحام في معالي الامور والمسامحة في النهي عن المنكر والامر بالمعروف والاضطراب بعروض ادنى شيء من البلايا والمخاوف وقد ورد في الأخبار بان المؤمن بريء عن ذلة النفس قال الصادق عليه السلام ان الله عز وجل فوض الى المؤمن اموره كلها ولم يفوض اليه ان يكون ذليلا اماتسمع الله تعالى يقول ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فالمؤمن يكون عزيزاً ولايكون ذليلا ان المؤمن اعز من الجبل الجبل يستقل منه بالمعاول والمؤمن لا يستقل من دينه شيء . وقال عليه السلام ان الله فوض الى المؤمن كل شيء الا اذلال نفسه . وقد وردت بهذا المضمون اخبار اخر وعلاجه ماتقدم في معالجة الجبن .

وصل - كبر النفس وصلابتها

ضد صغر النفس كبر النفس وصلابتها وهي ملكة التحمل لما يرد عليه كائناً ما كان . وقد دلت الاخبار على ان المؤمن ذو صلابة وعزة ومهابة وكل ذلك فرع كبر النفس . قال الباقر عليه السلام المؤمن اصلب من الجبل . وقال ﴿ع﴾ ان الله تعالى اعطى المؤمن ثلاث خصال العز في الدنيا والآخرة والفلح في الدنيا والآخرة والمهابة في صدور الظالمين .

عدم الغيرة والحمية

وهو الاهمال في محافظة ما يلزم محافظته من الدين والعرض والاولاد والاموال وهو من نتائج صغر النفس وضعفها ومن المهلكات العظيمة وربما يؤدي الى الديانة

والقيادة قال رسول الله ﴿ص﴾ اذا لم يغر الرجل فهو منكوس القلب وقال اذا غير الرجل في اهله او بعض مناكحه من مملوكته فلم يغير بعث الله اليه طائراً يقال له القندر حتى يسقط على عارضة بابه ثم يمهله اربعين يوماً يهتف به ان الله غيور يحب كل غيور فان هو غار وغير وانكر ذلك فاكبره والاطار حتى يسقط على رأسه فيخفق بجناحيه على عينيه ثم يطير عنه فينزع الله منه بعد ذلك روح الايمان وتسميه الملائكة الديوث (وقال ـ ص ـ) كان ابراهيم غيوراً وانا اغير منه وجدع الله انف من لايغادر على المؤمنين والمسلمين . وقال امير المؤمنين ﴿ع﴾ يا اهل العراق نبئت ان نسائكم يدافعن الرجال في الطريق اما تستحيون (وقال ـ ع ـ) اما تستحيون ولا تغارون نسائكم يخرجن الى الاسواق ويزاحمن العلوج .

وصل ـ الغيرة والحمية

وضد الغيرة والحمية وهو السعي في محافظة ما يلزم محافظته وهو من نتائج الشجاعة وكبر النفس وقوتها وهي من شرائف الملكات وبها تتحقق الرجولية والفحلية والفاقد لها غير معدود من الرجال .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ان سعداً لغيور وانا اغير من سعد والله اغير مني ، وقال ﴿ص﴾ ان الله لغيور ولاجل غيرته حرم الفواحش ، وقال ان الله يغار والمؤمن يغار وغيرة الله ان يأبى الرجل المؤمن ما حرم الله عليه .

وقال الصادق ﴿ع﴾ ان الله تعالى غيور ويحب الغيرة ولغيرته حرم الفواحش ظاهرها وباطنها .

فصل

الغيرة على الدين والحريم والاولاد

مقتضى الغيرة والحمية في الدين ، ان يجتهد في حفظه عن بدع المبتدعين، وانتحال المبطلين . وقصاص المرتدين ، واهانة من يستخف به من المخالفين . ورد شبه الجاحدين . ويسعى في ترويجه ونشر احكامه ، ويبالغ في تبيين حلاله وحرامه ولا يتسامح في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ومقتضى الغيرة على الحريم ان لايتغافل عن المبادي الامور التي تخشى غوائلها فيحفظهن عن اجانب الرجال ، ويمنعهن عن الدخول في الاسواق قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لفاطمة عليها السلام اي شيء خير للمرئة (قالت) ان لاترى رجلا ولا يراها رجل فضمها اليه ، وقال ذرية بعضها من بعض وكان اصحاب النبي ﴿ص﴾ يسدون الثقب والكوى في الحيطان لئلا تطلع النساء على الرجال ، وقال ﴿ص﴾ من اطاع امرأته اكبه الله على وجهه في النار .

وما روى انه صلى الله عليه وآله وسلم اذن للنساء في حضور المساجد وقال لاتمنعوا اماء الله مساجد الله فالظاهر (١) انه كان مختصاً بنساء عصره صلى الله

(١) فيه تأمل

عليه وآله وسلم لعلمه بعدم ترتب فساد على حضورهن فيها .

والصواب اليوم ان يمنعن من حضور المساجد والذهاب الى المشاهد الا العجايز منهن للقطع بترتب الفساد والمعصية على خروج نساء هذا العصر الى اي موضع كان ، وسئل الصادق عليه السلام عن خروج النساء في العيدين فقال لا الا العجوز عليها منقلاها يعني الخفين ، وفي رواية اخرى انه عليه السلام سئل عن خروج النساء في العيدين والجماعة فقال لا الا امرئة مسنة .

ثم ينبغي ان لاتوقعه الغيرة في طرف الافراط فيبالغ في اسائة الظن والتعنت وتجسس البواطن فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يتبع عورات النساء وان يتعنت بهن ، وفي الخبر المشهور ان المرئة كالضلع ان اردت ان يقتمه كسرته فدعه تستمتع به على عوج ، وقال (ص) من الغيرة غيرة يبغضها الله ورسوله وهي في غيرة الرجل على اهله من غير ريبة ، وقال أميرالمؤمنين عليه السلام لاتكثر الغيرة على اهلك فترى بالسوء من اجلك ، وقال عليه السلام في رسالته للحسن عليه السلام إياك والتغاير في غير موضع الغيرة فان ذلك يدعو منهم الى السقم ولكن احكم امرهن فان رأيت عيباً فعجل النكير على الصغير والكبير بان تعاتب منهن البريئة فتعظم الذنب وتهون العيب وبالجملة لاينبغي المبالغة في الفحص والتفتيش اذ لاينفك ذلك عن سوء الظن الذي نهينا عنه فان بعض الظن إثم

العجلة

وهي المعنى الراتب في القلب الباعث على الامور باول خاطر من دون توقف

وإستبطاء في إتباعها والعمل بها ، وقد عرفت انه من لوازم ضعف النفس وصغرها وهو من الابواب العظيمة للشيطان قد اهلك به كثيراً من الناس ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العجلة من الشيطان والتأني من الله ، وقد خاطب الله تعالى بنبيه ﴿ص﴾ بقوله ولاتعجل با لقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه ، وقد روى انه لما ولد عيسى عليه السلام اتت الشياطين ابليس فقالت اصبحت الاصنام قد نكست رؤسها فقال هذا حادث قد حدث مكانكم فطار حتى جاء خافقي الارض فلم يجد شيئاً .

ثم وجد عيسى عليه السلام قد ولد واذا الملائكة قد حفت حوله فرجع اليهم فقال ان نبياً قد ولد البارحة ما حملت انثى قط ولاوضعت الا وانا بحضرتها الا هذا فأيئسوا ان تعبد الأصنام بعد هذه الليلة ولكن ائتوا بني آدم من قبل العجلة والخفة

وصل

الاناة والتوقف والوقار والسكينة

ضد العجلة « الاناة » وهو المعنى الراتب فى القلب الباعث على الاحتياط فى الأمور والنظر فيها والتأني في اتباعها والعمل بها « ثم » التوقف قريب من التأني والاناة والفرق بينها ان التوقف هو السكون قبل الدخول في الامور حتى تستبين له رشدها والتأني سكون وطمانينة بعد الدخول فيها حتى يؤدي لكل جزء منها حقه وضد التوقف التعسف والوقار يتناول الاناة والتوقف كليها فهو

طمانينة النفس وسكونها فى الاقوال والافعال والحركات قبل الدخول فيها وبعده وهو من نتائج قوة النفس وكبرها وما قل من الفضائل النفسانية ان يبلغ مرتبة في الشرافة ولذا يمدح به الأنبياء والأصفياء وورد فى الاخبار ان المؤمن متصف به البتة .

سوء الظن بالخالق والمخلوق

وهو من نتائج الجبن وضعف النفس اذ كل جبان ضعيف تذعن نفسه لكل فكر فاسد يدخل فى وهمه ويتبعه ، وقد يترتب عليه الخوف والغم ، وهو من المهلكات العظيمة ، وقد قال الله سبحانه ﴿ يا يها الذين آمنوا إجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظن إثم ﴾ وقال تعالى ﴿ ذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم ﴾ وقال فظننتم ظن السوء وكنتم قوماً بوراً .

وقال أميرالمؤمنين عليه السلام ضع امر اخيك على احسنه حتى يانيك ما يغلبك منه ولا تظنن بكلمة خرجت من اخيك سوءاً وانت تجد لها فى الخير محملا « ثم » لكون سوء الظن من المهلكات منع الشرع من التعرض للتهمة صيانة لنفوس الناس عنه (فقال ـ ص) اتقوا مواقع التهم (وقال ـ ع) من عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من اساء به الظن (وروى انه ص) كان يكلم زوجته صفية بنت حى بن اخطب فرى به رجل من الأنصار فدعاه رسول الله ﴿ ص ﴾ وقال يا فلان هذه زوجتي صفية فقال يا رسول الله افنظن بك الا خيراً قال ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فخشيت ان يدخل عليك .

وصل - حسن الظن

قد عرفت ان ضد سوء الظن با لخالق والمخلوق هو حسن الظن بهما ولما كان الأول من لوازم ضعف النفس وصغرها فا لثاني من نتائج قوتهـا وثباتها وفوائده اكثر من ان تحصى وقد تقدمت الظواهر الواردة في مدحه ، فينبغي لـكل مؤمن الا ييأس من روح الله ولايظن انه لايرحمه ويعذبه البتة ولا يخلصه من العقاب

فصل - الغضب

الغضب من المهلكات العظيمة وربما ادى الى الشقاوة الابدية من القتل والقطع ولذا قيل انه جنون دفعى ، قال اميرالمؤمنين عليه السـلام الحدة ضرب من الجنون لان صاحبها يندم فان لم يندم فجنونه مستحكم وربما ادى الى اختناق الحرارة ويورث الموت فجاة .

وقال بعض الحـكماء السفينة التي وقعت في اللجج الغامرة واضطربت با لرياح العاصفه وغشيتها الامواج الهائلة ارجى الي الخلاص من الغضبان الملتهب وقد ورد به الذم الشديد في الاخبار . قال رسول الله صلى عليه وآله وسلم : الغضب يفسد الايمان كما يفسد الخل العسل .

وقال الباقر عليه السلام ان هذا الغضب جمرة من الشيطان توقد في قلب ابن آدم وان احدكم إذا اغضب احمرت عيناه وانتفخت اوداجه ودخل الشيطان فيه فاذا خاف احدكم ذلك من نفسه فليلزم الارض فان رجز الشيطان ليذهب عنه عندذلك

وقال الصادق عليه السلام وكان ابي عليه السلام يقول اي شيء اشد من الغضب ان الرجل يغضب فيقتل النفس التي حرم الله ويقذف المحصنة وقال عليه السلام ان الرجل ليغضب فما يرضى ابدا حتى يدخل النار وقال «ع» الغضب مفتاح كل شر وقال عليه السلام الغضب ممحقة لقلب الحكيم ، وقال عليه السلام من لم يملك غضبه لم يملك عقله نعم الغضب لله ممدوح كما روى عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يغضب للدنيا واذا اغضبه الحق لم يصرفه احد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له .

وصل

ضد الغضب الحلم

وهو اشرف الكمالات النفسية بعد العلم بل لا ينتفع العلم بدونه اصلا ولذا كلما يمدح العلم او يسئل عنه يقارن به قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اغنني بالعلم وزيني بالحلم وقال «ص» خمس من سنن المرسلين وعد منها الحلم وقال «ص» إبتغوا الرفعة عند الله قالوا وما هي يا رسول الله قال تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتحلم عن جهل عليك وقال «ص» ان الرجل المسلم

ليدرك با لحلم درجة الصائم القائم وقال « ص » ان الله يحب الحي الحليم ويبغض الفاحش البذي وقال « ص » ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تعتدوا بشيء من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله وحلم يكف به السفيهة وخلق يعيش به السفيهة وخلق يعيش به الناس ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا جمع الخلائق يوم القيمة نادي مناد اين اهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون سراعاً الى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون انا نراكم سراعاً الى الجنة فيقولون نحن اهل الفضل فيقولون ماكان فضلكم فيقولون كنا اذا ظلمنا صبرنا واذا اسيىء الينا عفونا واذا جهل علينا حلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة فنعم اجر العاملين وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما اعز الله بجهل قط ولا اذل بحلم قط ، وقال امير المؤمنين عليه السلام : ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن ان يكثر علمك ويعظم حلمك ، وقال على ابن الحسين عليهما السلام انه ليعجبني الرجل ان يدركه حلمه عند غضبه وقال الصادق عليه السلام كفى با لحلم ناصراً وقال « ع » واذا لم تكن حليماً فتحلم . وقال عليه السلام اذا وضع بين رجلين منازعة نزل ملكان فيقولان للسفيه منهما قلت وقلت وانت اهل لما قلت وستجزي بما قلت ، ويقولان للحليم منهما صبرت وحلمت سيغفر لك ان اتممت ذلك قال عليه السلام فان رد الحليم عليه ارتفع الملكان ، وبعث عليه السلام غلاماً له في حاجة فا بطأ فخرج على اثره فوجده نائماً فجلس عند رأسه يروحه حتى انتبه فقال له يا فلان والله ماذلك لك تنام الليل والنهار لك الليل ولنا منك النهار .

وقال الأمام الرضا عليه السلام : لا يكون الرجل عابداً حتى يكون حليماً .

واما كظم الغيظ فهو وان لم يبلغ مرتبة الحلم فضيلة وشرافة لانه التحلم اي تكلف الحلم الا انه اذا واظب عليه حتى صار معتاداً تحدث بعد ذلك صفة الحلم الطبيعي بحيث لايهيج الغيظ حتى يحتاج الى كظمه ، ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم فمن لم يكن حليماً بالطبع لابد له من السعي في كظم الغيظ عند هيجانه حتى تحصل له صفة الحلم ، وقد مدح الله سبحانه كاظمي الغيظ في محكم كتابه وتواترت الاخبار على شرافته وعظم اجره

« قال » رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كظم غيظاً ولو شاء ان يمضيه امضاه ملاء الله قلبه يوم القيمة رضاً ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما جرع عبد جرعة اعظم اجراً من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله تعالى ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان لجهنم باباً لايدخله الا من شفي غيظه بمعصية الله تعالى وقال « ص » من كظم غيظاً وهو يقدر على ان ينفذه دعاه الله يوم القيمة على رؤوس الخلائق حتى يخير من اي الحور شاء ، وقال « ص » من احب السبيل الى الله تعالى جرعتان جرعة غيظ يردها بحلم وجرعة مصيبة يردها بصبر .

وقال سيد الساجدين عليه السلام وما تجرعت جرعة احب الي من جرعة غيظ لا اكافي بها صاحبها .

وقال الباقر عليه السلام من كظم غيظاً وهو يقدر على امضائه حشا الله تعالى قلبه امناً وايماناً يوم القيامة ، وقال عليه السلام لبعض ولده يا بني ما من شيء اقر لعين ابيك من جرعة غيظ عاقبتها صبر وما يسرني ان لي بذل نفسي حمر النعم .

وقال الصادق « ع » نعم الجرعة الغيظ لمن صبر عليها فان عظيم الاجر لمن عظيم البلاء وما احب الله قوماً الا ابتلاهم ، وقال « ع » ما من عبد كظم غيظاً

الا زاده الله عزوجل عزاً في الدنيا والآخرة وقد قال الله عزوجل والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين واثابه الله مكان غيظه ذلك .

وقال ابو الحسن الاول عليه السلام إصبر على اعداء النعم فانك لن تكافي من عصى الله فيك بافضل من ان تطيع الله فيه .

الانتقام

بمثل ما فعل به او بالازيد منـــه محرم ممنوع في الشريعة وهو من نتائج الغضب اذ كل انتقام ليس جايزاً فلا يجوز مقابلة الغيبة بالغيبة والفحش بالفحش والبهتان بالبهتان والسعاية الى الظلمــة بمثلها وهكذا في سائر المحرمات قال سيد الرسل ﴿ ص ﴾ إن امرء عيرك بما فيك فلا تعيره بمـا فيه ، وقال ﴿ ص ﴾ المتسابان شيطانان يتهاتران .

وصل - ضد الانتقام

« العفو » وهو اسقاط ما يستحقه من قصاص اوغرامة وفرقه عن الحلم وكظم الغيظ ظاهر والآيات والاخبار في مدحه وحسنه اكثر من ان تحصى قال الله تعالى سبحانه ﴿ خذ العفو وامر بالعرف ﴾ وقال « فليعفوا و ليصفحوا » وقال « ان تعفوا أقرب للتقوى » وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث والذي نفسي بيده

ان كنت حالفاً لحلفت عليهن ما نقصت صدقه من مال فتصدقوا ولا عفا رجل من مظلمة يبتغي بها وجه الله الا زاده الله بها عزاً يوم القيمة ولافتح رجل على نفسه باب مسئلة الا فتح الله عليه باب فقر ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم العفو لا يزيد العبد الا عزاً فاعفوا يعزكم الله ، وقال « ص » لعقبة الا اخبرك بافضل اخلاق اهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفوا عمن ظلمك ، وقال « ص » قال موسى يا رب اي عبادك اعز عليك قال الذي اذا قدر عفى .

وقال سيد الساجدين « ع » اذا كان يوم القيمة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ثم ينـــادي منادي اهل الفضل قال فيقوم عنق من الناس فتلقاهم الملائكة فيقولون وما فضلكم فيقولون كنا نصل من قطعنا ونعطى من حرمنا ونعفو عمن ظلمنا قال فيقال لهم صدقتم ادخلوا الجنة .

وقال الباقر عليه السلام الندامة على العفو افضل وايسر من الندامة على العقوبة

وقال الصادق عليه السلام ثلاث من مكارم الدنيا والآخرة تعفو عمن ظلمك الى آخر الحديث .

وقال ابو الحسن عليه السلام ما التقت فئتان قط الا نصراعظمها عفواً وكفى للعفو فضلا وشرافة انه من اجمل الصفات الالهية وقد يمدح الله تعالى به في مقام الخضوع والتذلل قال سيد الساجدين عليه السلام انت الذي سميت نفسك بالعفو فاعف عني ، وقال عليه السلام انت الذي عفوه اعلى من عقابه .

العنف

وهو الغلظة والفضاضة في الاقوال او الحركات ايضاً وهو من نتائج الغضب وضده الرفق اي اللين فيهما وهو من نتائج الحلم ولاريب في ان الغلظة في القول والفعل ينفر الطباع ويؤدي الى اختلال امر المعاش والمعاد ولذلك نهى الله سبحانه نبيه عنه في مقام الارشاد وقال ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك .

وروى عن سلمان انه قال اذا اراد الله تعالى هلاك عبد نزع منه الحياء فاذا نزع منه الحياء لم يلقه الا خائناً مخوناً واذا كان خائناً مخوناً نزعت منه الامانة فاذا نزعت منه الامانة لم يلقه الا فظا غليظاً فاذا كان فظاً غليظاً نزعت منه ربقة الإيمان فاذا نزعت منه ربقة الايمان لم يلقه الا شيطاناً ملعوناً .

وصل - فضيلة الرفق

الأخبار في فضيلة الرفق وفوائده اكثر من ان تحصى ونحن نشير الى شطر منها هنا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو كان الرفق خلقاً يرى ما كان فيما خلق الله شيء احسن منه وقال « ص » إن الرفق لم يوضع على شيء الا زانه ولاينزع من شيء الا شانه وقال صلى الله عليه وآله وسلم لكل شيء قفل وقفل الايمان الرفق .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله رفيق يحب الرفق ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف .

وقال « ص » ما اصطحب اثنان الا كان اعظمها اجراً واحبهما الى الله تعالى ارفقهما بصاحبه .

وقال « ص » الرفق يمن والخرق شؤم .

وقال « ص » من كان رفيقاً في امره نال ما يريده من الناس .

وقال « ص » اذا احب الله اهل بيت ادخل عليهم الرفق .

وقال « ص » من اعطى حظه من الرفق اعطى حظه من خير الدنيا والآخرة ومن حرم حظه من الرفق حرم حظه من خير الدنيا والآخرة .

وقال ﴿ص﴾ اذا احب الله عبداً اعطاه الرفق ومن يحرم الرفق يحرم الخير كله

وقال ﴿ص﴾ اتدرون من يحرم على النار كل هين لين سهل قريب .

وقال الكاظم عليه السلام الرفق نصف العيش ، وقال ﴿ع﴾ لمن جرى بينه وبين رجل من القوم كلام أرفق بهم فان كفر احدكم في غضبه ولاخير فيمن كان كفره في غضبه .

تكملة

المداراة قريب من الرفق معنى لانها ملائمة الناس وحسن صحبتهم واحتمال اذاهم وربما فرق بينهما باعتبار تحمل الاذى في المداراة دون الرفق ، وقد ورد في مدحها وفوائدها الدنيوية والاخروية اخبار كثيرة كقول النبي ﴿ص﴾ المداراة

نصف الايمان ، وقوله ﴿ ص ﴾ ثلاث من لم تكن فيه لم يتم له عمل ، ورع يحجزه عن معاصي الله ، وخلق يداري به الناس ، وحلم يرد به جهل الجاهل ، وقوله ﴿ ص ﴾ امرني ربي بمداراة الناس كما امرني باداء الفرائض .

وقول الباقر عليه السلام في التوراة مكتوب فيما ناجى الله عزوجل به موسى ابن عمران عليه السلام يا موسى اكتم مكتوم سري في سريرتك واظهر في علانيتك المداراة عني لعدوي وعدوك من خلقي الى آخر الحديث .

وقول الصادق ﴿ ع ﴾ جاء جبرئيل الى النبي ﴿ ص ﴾ فقال يا محمد ربك يقرئك السلام ويقول دار خلقي وقوله عليه السلام ان قوماً من الناس قلت مداراتهم للناس فنفوا من قريش وايم الله ما كان باحسابهم باس وان قوماً من غير قريش حسنت مداراتهم فالحقوا بالبيت الرفيع ثم قال من كف يده عن الناس فانما يكف عنهم يداً واحدة ويكفون عنه ايدي كثيرة .

سوء الخلق بالمعنى الاخص

وهو التضجر وانقباض الوجه وسوء الكلام وامثال ذلك وهو ايضاً من نتائج الغضب كما ان ضده اعني حسن الخلق بالمعنى الاخص وهو ان تلين جناحك وتطيب كلامك وتلقى اخاك ببشر حسن من نتائج الحلم ، واكثر ما يطلق سوء الخلق وحسنه في الأخبار يراد به هذا المعنى ولاريب في ان سوء الخلق مما يبعد صاحبه عن الخالق والخلق والتجربة شاهدة بان الطباع متنفرة عن كل سيء الخلق يكون

دائماً اضحوكة للناس ولا ينفك لحظة عن الحزن والألم ، ولذا قال الصادق عليه السلام من ساء خلقه عذب نفسه وقد يعتريه لاجله الضرر العظيم هذا كله مع سوء عاقبة في الآخرة وادائه الى العذاب الابدي ولذا ورد به الذم الشديد من الشريعة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما خلق الله الايمان قال اللهم قوني فقواه بحسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الكفر قال اللهم قوني فقواه بالبخل وســـوء الخلق ، وروى انه قيل له « ص » إن فلانه تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها قال لاخير فيها هي من اهل النـار ، وعنه « ص » ان العبد ليبلغ من سوء خلقه اسفل درك جهنم وعنـه « ص » سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل ، وعنه « ص » ابى الله لصاحب الخلق السيء بالتوبة وقيل فكيف ذاك يا رسول الله قال لانه اذا تاب من ذنب وقع في ذنب اعظم منه ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم سوء الخلق ذنب لايغفر .

وقال الامام جعفر بن محمد عليهما الســلام اذا خلق الله العبد في اصل الخلق كافراً لم يمت حتى يحبب الله اليه الشر فيقرب منه فابتلاه بالكبر والجبروت فقسى قلبه وساء خلقه وغلظ وجهه وظهر فحشه وقل حياؤه وكشف الله تعالى سره وركب المحارم ولم ينزع عنها ثم ركب معاصي الله وابغض طاعته ووثب على الناس لايشبع من الخصومات فاسئلوا الله العافيه واطلبوها منه وقال بعض الاكابر لئن يصبحني فاجر حسن الخلق احب الي من ان يصبحني عابد سيىء الخلق .

وصل - طرق اكتساب حسن الخلق

قد عرف ان ضد هذه الرذيلة حسن الخلق بالمعنى الاخص فمن معالجاتها ان

يواظب عليه حتى ترتفع اثارها بالكلية واقوى البواعث على اكتسابه والمواظبة عليه ان يتذكر ما يدل على شرافة ومدحه عقلا ونقلا اما حكم العقل على مدحه فظاهر لايحتاج الى بيان واما النقل فالاخبار التي وردت به اكثر من ان تحصى . ونحن نورد شطراً منها تذكرة لمن اراد ان يتذكر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما يوضع في ميزان امرء يوم القيامة افضل من حسن الخلق . وقال يا بني عبد المطلب انكم لن تسعوا الناس باموالكم فالقوهم بطلاقة الوجه وحسن البشر ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم الا السخاء وحسن الخلق الا فزينوا دينكم بهما ، وقال ﴿ص﴾ حسن الخلق خلق الله الأعظم ، وقيل له صلى الله عليه وآله وسلم اي المؤمنين افضلهم ايماناً قال احسنهم خلقاً . وقال ﴿ص﴾ ان احبكم الى واقربكم مني مجلساً يوم القيمة احسنكم خلقاً . وقال ﴿ص﴾ ثلاث من لم يكن فيه واحدة منهن فلا يعتد بشيء من عمله تقوى يحجزه عن معاصي الله وحلم يكف به السيئة وخلق يعيش به في الناس . وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الخلق الحسن يميث الخطيئة كما تميث الشمس الجليد . وقال « ص » ان العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة واشرف المنازل وانه يضعف العبادة ، وقال ﴿ص﴾ لام حبيبة ان حسن الخلق ذهب بخير الدنيا والآخرة وقال لها بعد ما سئلته ان المرأة يكون لها زوجان في الدنيا فتموت ويموتان ويدخلان الجنة لايهما هي انها لاحسنهما خلقاً .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان حسن الخلق يبلغ بصاحبه درجة الصائم القائم ، وقال ﴿ص﴾ اكثر ما يلج به امتي الجنة تقوى الله وحسن الخلق ، وقال ﴿ص﴾

افاضلكم احسنكم اخلاقاً الموطئون اكنافاً الذين يألفون ويؤلفون ، وقال اميرالمؤمنين عليه السلام المؤمن مألوف ولاخير فيمن لا يألف ولايؤلف ولاريب في ان سيء الخلق تتنفر عنه الطباع فلايكون مالوفا .

وقال الامام ابوجعفر الباقر عليه السلام ان اكمل المؤمنين ايماناً احسنهم خلقاً ، وقال عليه السلام اتى رجل رسول الله «ص» فقال يا رسول الله اوصني فكان فيما اوصاه ان قال الق اخاك بوجه منبسط .

وقال الصادق «ع» ما يقدم المؤمن على الله عزوجل بعمل بعد الفرائض احب الى الله تعالى من ان يسع الناس بخلقه ، وقال عليه السلام البر وحسن الخلق يعمران الديار ويزيدان في الاعمار ، وقال عليه السلام ان الله تبارك وتعالى ليعطي العبد من الثواب على حسن الخلق كما يعطي المجاهد في سبيل الله يغدو عليه ويروح ، وقال عليه السلام ثلاث من اتى الله بواحدة منهن اوجب الله له الجنة الانفاق من اقتار والبشر لجميع العالم والانصاف من نفسه . وقال عليه السلام صنايع المعروف وحسن البشر يكسبان المحبة ويدخلان الجنة، والبخل وعبوس الوجه يبعدان من الله ويدخلان النار . ولعظم شرافته بلغ رسول الله «ص» فيه ما بلغ من غايته وتمكن على ذروته ونهايته حتى قال تعالى وانك لعلى خلق عظيم .

وورد بينا رسول الله «ص» ذات يوم جالس في المسجد اذ جائت جارية لبعض الأنصار وهو قائم فاخذت بطرف ثوبه فقام لها النبي « ص » فلم تقل شيئاً ولم يقل لها النبي « ص » شيئاً حتى فعلت ذلك ثلاث مرات فقام لها النبي « ص » في الرابعة وهي خلفه فاخذت هدبة من ثوبه ثم رجعت فقال لها الناس فعل الله بك وفعل حبست رسول الله « ص » ثلاث مرات لاتقولين له شيئاً ولاهو يقول لك شيئاً

ما كانت حاجتك اليه قالت ان لنا مريضاً فا رسلني اهلي لاخذ هدبة من ثوبه يستشفى بها فلما اردت اخذها رآني فقام استحييت ان اخذها وهو يراني و اكره ان استأمره في اخذها فاخذتها .

الحقد

وهو اضمار العداوة في القلب وهو من المهلكات العظيمة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المؤمن ليس بحقود ولما كانت حقيقته عبارة عن العداوة الباطنة فجميع الأخبار الواردة في ذم المعادات تدل على ذمه كقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما كان جبرئيل «ع» ياتيني الا قال يا محمد اتق شحناء الرجال وعداوتهم . وقوله صلى الله عليه وآله وسلم ما عهد الي جبرئيل قط في شيء ما عهد الي في معادات الرجال . وقول الصادق عليه السلام من زرع العداوة حصد ما بذر .

وضد الحقد النصيحة التي هي قصد الخير وكراهة الشر .

الضرب والفحش واللعن والطعن

وهذه ناشئة غالباً عن العداوة والحقد وربما صدرت من مجرد الغضب وسوء الخلق وربما صدر الفحش من الاعتياد الحاصل من مخالطة الفساق ثم لاريب في كون

هذه الامور مذمومة محرمة في الشريعة موجبة لحبط الاعمال وخسران المال وجميع ما يدل على ذم الايذاء والاضرار يدل على ذمها . والاخبار الواردة في ذمه كثيرة وفي عدة منها ان من ضرب رجلا سوطاً لضربه الله سوطاً من النار .

واما الفحش والسب وبذائة اللسان فلاريب في كونه صادراً عن خباثة النفس.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولاالفاحش ولا البذي . وقال « ص » اياكم والفحش فان الله لايحب الفحش والتفحش . وقال « ص » الجنة حرام على فاحش ان يدخلها .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم انالفحش والتفحش ليسا من الاسلام فيشيء .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم البذاء والبيان شعبتان من شعب النفاق . وروى ان المراد بالبيان كشف ما لا يجوز كشفه .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم اربعة يؤذون اهل النار على ما بهم من الاذى وعد منهم رجلا يسيل فوه قيحا وهو من كان في الدنيا فاحشا .

وقال « ص » لا تسبوا الناس فتكسبوا العداوة منهم .

وقال « ص » ان الله حرم الجنة على كل فحاش بذي قليل الحياء لا يبالي ما قال ولا ما قيل له فانك ان فتشته لم تجده الا لغية اوشرك شيطان .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا رأيتم الرجل لايبالي ما قال ولاما قيل فيه فانه لغية اوشرك شيطان .

وقال « ص » ان الله ليبغض الفاحش البذي والسائل الملحف .

وقال « ص » ان من شرار عباد الله من تكره مجالسته لفحشه .

وقال « ص » سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر واكل لحمه معصية وحرمة

ما نه كحرمة دمه .

وقال (ص) سباب المؤمن كالمشرف على الهلكة .

وقال (ص) شر الناس عند الله تعالى يوم القيمة الذين يكرمون اتقاء شرهم

وقال (ص) المتسابان شيطانان متعاديان ومتهاتران .

وقال الصادق عليه السلام من علامات شرك الشيطان الذي لايشك فيه ان يكون فحاشاً لايبالي ما قال ولا ما قيل فيه . وقال عليه السلام البذاء من الجفاء والجفاء في النار . وقال عليه السلام من خاف الناس لسانه فهو في النار . وقال (ع) ان ابغض خلق الله تعالى عبد اتقى الناس لسانه .

وعن الكاظم عليه السلام في رجلين يتسابان فقال البادي منهما اظلم ووزره ووزر صاحبه عليه ما لم يتعد المظلوم .

واما اللعن فلا ريب في كونه مذموماً لانه عبارة عن الطرد والابعاد من الله تعالى وهذا غير جائز الا على من اتصف بصفة تبعده بنص الشريعة ، وقد ورد عليه الذم الشديد في الأخبار قال رسول الله ﴿ص﴾ المؤمن ليس بلعان ، وعن الباقر عليه السلام قال خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس فقال الا اخبركم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال الذي يمنع رفده ويضرب عبده ويتردد وحده فظنوا ان الله لم يخلق خلقاً هو شر من ذلك ثم قال الا اخبركم بمن هو شر من ذلك قالوا بلى يا رسول الله قال المتفحش اللعان الذي اذا ذكر عنده المؤمنون لعنهم واذا ذكروه لعنوه ، وقال الباقر عليه السلام ان اللعنة اذا خرجت من في صاحبها ترددت بينهما فان وجدت مساغاً والا رجعت الى صاحبها .

ثم اللعن على الأموات اشد وزراً واعظم اثماً لقول النبي صلى الله عليه وآله

وسلم لاتسبوا الاموات فانهم قد افضوا الى ما قدموا ولاينبغي ان يلعن الجماد والحيوان ايضاً لما روى انه ما لعن احد الارض الا قالت العن على اعصانا لله ، وما روى ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم انكر على امرئة لعنت ناقة وعلى رجل لعن بعيراً .

ثم الدعاء على المسلم بالشر قريب من اللعن عليه فلا ينبغي ارتكابه ولو على الظالم الا اذا اضطر اليه لشره واضراره ، وقد ورد ان المظلوم ليدعوا على الظالم حتى يكافيه ثم يبقى للظالم عنده فضيلة يوم القيمة ، وقال علي بن الحسين عليهما السلام ان الملائكة اذا سمعوا المؤمن يذكر اخاه بالسوء ويدعوا عليه قالوا بئس الاخ انت لاخيك كف ايها المستتر على ذنوبه وعورته واربع على نفسك واحمد الله الذي ستر عليك .

ثم ضد ذلك اعني الدعاء للاخ المسلم بما يحب لنفسه من احب الطاعات واقرب القربات وفوائده اكثر من ان تحصى بل عند التحقيق دعاؤك له دعاء لنفسك .

قال رسول الله ﴿ص﴾ اذا دعا الرجل لاخيه في ظهر الغيب قال الملك ولك مثل ذلك وقال ﴿ص﴾ يستجاب للرجل في اخيه ما لايستجاب له في نفسه .

وقال علي بن الحسين عليهما السلام ان الملائكة اذا سمعوا المؤمن يدعو لاخيه المؤمن بظهر الغيب او يذكره بخير قالوا نعم الاخ انت لاخيك تدعو له بالخير وهو غائب عنك وتذكره بالخير قد اعطاك الله عز وجل ماسئلت له واثنى عليك مثلي ما اثنيت عليه ولك الفضل عليه ومثله ماورد عن الباقر عليه السلام ايضاً والاخبار في فضيلة الدعاء للاخوان اكثر من ان تحصى واي كرامة اعظم لك من ان تصل منك الى المؤمن وهو تحت اطباق الثرى هدايا الاستغفار والأدعية وهل تدري كيف تسر روحه منك بهذا العمل فان اهله يقسمون ميراثه ويتنعمون بما خلف وانت

متفرد بحزنك تدعو له في ظلمة الليل ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل الميت في قبره مثل الغريق يتعلق بكلشيء ينتظر دعوة من ولد اووالد اواخ اوقريب وانه ليدخل على قبور الاموات من دعاء الاحياء من الانوار مثل الجبال وهو للاموات بمنزلة الهدايا للاحياء فيدخل الملك على الميت معه طبق من نور عليه منديل من نور فيقول هذه هدية لك من عند اخيك فلان من عند قريبك فلان فيفرح كما يفرح الحي با لهدية .

واما الطعن فهو ايضاً من ذمائم الافعال ويورث الضرر في الدنيا والعذاب في الاخرى قال الباقر عليه السلام اياكم والطعن على المؤمنين وقال عليه السلام مامن انسان يطعن في عين مؤمن الامات شر ميتة وكان قمنا الا يرجع الى خير .

العجب

وهو استعظام النفس لاجل ما يرى لها من صفة كمال سواء كانت له تلك الصفة في الواقع املا وسواء كانت صفة كمال في نفس الامر ام لا وهو من المهلكات العظيمة وارذل الملكات الذميمة .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال ﴿ص﴾ اذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً واعجاب كل ذي راى برأيه فعليك نفسك ، وقال ﴿ص﴾ لولم تذنبوا لخشيت عليكم ماهو اكبر من ذلك العجب العجب ، وقال بينما موسى «ع» جالس اذ اقبل عليه

ابليس وعليه برنس ذو الوان فلما دنى منه خلع البرنس وقام الى موسى «ع» فسلم عليه فقال له موسى من انت فقال انا ابليس قال انت فلا قرب الله دارك قال اني انما جئت لاسلم عليك لمكانك من الله فقال له موسى «ع» فما هذا البرنس قال به اختطف قلوب بني آدم فقال موسى (ع) فاخبرني بالذنب الذي اذا اذنبه ابن آدم استحوذت عليه، قال اذا اعجبته نفسه واستكثر عمله وصغر في عينيه ذنبه وقال صلى الله عليه وآله وسلم قال الله عزوجل ياداود بشر المذنبين وانذر الصديقين قال كيف ابشر المذنبين وانذر الصديقين قال بشر المذنبين اني اقبل التوبة واعفو عن الذنب وانذر الصديقين ان لا يعجبوا باعمالهم فانه ليس عبد انصبه للحساب الا هلك.

وقال الباقر (ع) دخل رجلان المسجد احدهما عابد والاخر فاسق فخرجا من المسجد والفاسق صديق والعابد فاسق وذلك انه يدخل العابد المسجد مدلا بعبادته يدل بها فتكون فكرته في ذلك وتكون فكرة الفاسق في الندم على فسقه ويستغفر الله مما صنع من الذنوب .

وقال الصادق (ع) ان الله علم ان الذنب خير للمؤمن من العجب ولولا ذلك ما ابتلى مؤمنا بذنب ابداً وقال عليه السلام من دخله العجب هلك، وقال (ع) ان الرجل ليذنب الذنب فيندم عليه ويعمل العمل فيسره ذلك فيتراخي عن حاله تلك فلان يكون على حاله تلك خير له مما دخل فيه ، وقال عليه السلام اتى عالم عابداً فقال له كيف صلاتك فقال مثلي يسئل عن صلاته وانا اعبد الله منذ كذا وكذا قال فكيف بكائك قال ابكي حتى تجري دموعي فقال له العالم فان ضحكك وانت خائف افضل من بكائك وانت مدل ان المدل لا يصعد من عمله

شيء وقال عليه السلام العجب كل العجب ممن يعجب بعلمه وهو لايدري بما يختم له فمن اعجب بنفسه وفعله فقد ضل عن نهج الرشاد وادعى ما ليس له والمدعى من غير حق كاذب وان خفي دعواه وطال دهره وان اول ما يفعل بالمعجب نزع ما اعجب به ليعلم انه عاجز حقير ويشهد على نفسه ليكون الحجة عليه اوكدا كما فعل بابليس .

والعجب نبات حبها الكفر وارضها النفاق وماؤها البغي واغصانها الجهل وورقها الضلالة وثمرها اللعنة والخلود في النار فمن اختار العجب فقد بذر الكفر وزرع النفاق ولابدان يثمر وقيل له عليه السلام الرجل يعمل العمل وهو خائف مشفق ثم يعمل شيئاً من البر فيدخله شبه من العجب به فقال هو في الحالة الاولى وهو خائف احسن حالا منه في حال عجبه ، و قال عليه السلام ان عيسى بن مريم عليهما السلام كان من شرائعه السيح في البلاد فخرج في بعض سيحه ومعه رجل من اصحابه قصير وكان كثير اللزوم لعيسى فلما انتهى عيسى « ع » الى البحر قال بسم الله بصحة يقين منه فمشى على ظهر الماء فقال الرجل القصير حين نظر الى عيسى جازه : بسم الله بصحة يقين منه فمشى على الماء ولحق بعيسى صلى الله عليه فدخله العجب بنفسه فقال هذا عيسى روح الله يمشي على الماء وانا أمشي على الماء فما فضله علي قال فرمس في الماء فاستغاث بعيسى (ع) فتناوله من الماء فاخرجه ثم قال له ما قلت ياقصير قال قلت هذا روح الله يمشي على الماء وانا امشي فدخلني من ذلك عجب فقال له عيسى لقد وضعت نفسك في غير الموضع الذي وضعك الله فمقتك الله على ما قلت الى الله عزوجل وجل مما قلت قال فتاب الرجل وعاد الى مرتبة التي وضعه الله فيها .

وصل - انكسار النفس

ضد العجب انكسار النفس واستحقارها وكونها في نظره ذليلة مهينة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مامن احد الا ومعه ملكان وعليه حكمة يمسكانه بها فان هو رفع نفسه جبذاها ثم قالا اللهم ضعه وان وضع نفسه قالا اللهم ارفعه . وروى انه اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام ان يا موسى اتدري لم اصطفيتك بكلامي دون خلقي قال يارب ولم ذلك فاوحى الله تبارك وتعالى اليه اني قلبت عبادي ظهراً لبطن فلم اجد فيهم احدا اذل نفساً لي منك يا موسى انك اذا صليت وضعت خدك على التراب . وروى انه لما اوحى الله تعالى الى الجبال اني واضع سفينة نوح عبدي على جبل منكن فتطاولت وشمخت وتواضع الجودي وهو جبل عندكم فضربت السفينة بجؤجؤها الجبل فقال نوح عند ذلك يا ماري اتقن وهو بالسريانية رب اصلح

فصل - التكبر

وهو رؤية النفس فوق الغير آفته عظيمة وغائلته هائلة وبه هلك خواص الانام فضلا عن غيرهم من العوام وهو الحجاب الأعظم للوصول الى اخلاق المؤمنين اذ فيه عز يمنع عن التواضع وكظم الغيظ وقبول النصح والدوام على الصدق وترك الغضب والحقد والحسد والغيبة والازراء بالناس وغير ذلك مما من خلق مذموم الا وصاحب

الكبر مضطر اليه ليحفظ به عزه وما من خلق محمود الا وهو عاجز عنه خوفاً من فوات عزه ، ولذا ورد في ذمه ما ورد من الآيات والاخبار قال الله سبحانه كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار ، وقال ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون . وقال والملائكة باسطوا يديهم اخرجوا انفسكم الى قوله وكنتم عن اياته تستكبرون . وقال ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ، وقال فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون ، وقال ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ، وقال ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ، وقال(ص)من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقى الله وهو عليه غضبان ، وقال ﴿ص﴾ لا ينظر الله الى رجل يجر ازاره بطراً ، وقال ﴿ص﴾ قال الله الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني في واحد منهما القيته في جهنم وقال ﴿ص﴾ لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما اصابهم من العذاب ، وقال ﴿ص﴾ يخرج من النار عنق له اذنان تسمعان وعينان تبصران ولسان ينطق يقول وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله الهاً آخر وبالمصورين .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا يدخل الجنه جبار ولا بخيل ولا سيء الملكة وقال ﴿ص﴾ ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم شيخ زان وملك جبار ومقل مختال ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسى الجبار الاعلى ، بئس العبد عبد تبختر واختال ونسى الكبير

المتعال ، بئس العبد عبد غفل وسها ونسي المقابر و البلى ، بئس العبد عبد عتى وبغى ونسي المبدء والمنتهى ، وقال ﴿ص﴾ الا اخبركم با هل النار كل عتل جواظ جعظري متكبر ، وقال ﴿ص﴾ ان ابغضكم الينا وابعدكم عنا في الآخرة الثرثارون المتشدقون المتفيهقون اي المتكبرون ، وقال ﴿ص﴾ يحشر المتكبرون يوم القيمة في مثل صور الذر تطاهم الناس ذرا في مثل صور الرجال يعلوهم كل شيء من الصغار ثم يساقون الى سجن في جهنم يقال له (بولس) تعلوهم نار شرا نيار ، يسقون من طينة الخبال . وعصارة اهل النار ، وقال ﴿ص﴾ : يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيمة في صور الذر تطاهم الناس لهوانهم على الله تعالى ، وقال : ان في جهنم واديا يقال له هبهب حق على الله ان يسكنه كل جبار ، وقال : ان في النار قصراً يجعل فيه المتكبرون ويطبق عليهم ، وقال اذا مشت امتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم سلط الله بعضهم على بعض (والمطيطاء : مشية فيها اختيال) وقال عيسى بن مريم : كما ان الزرع ينبت في السهل ولا ينبت على الصفاء كذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع ولا تعمر في قلب المتكبر ، الاترون انه من يتشمخ برأسه الى السقف شجه ومن يطاطي اظله و اكنه .

ولما حضرت نوح ﴿ص﴾ الوفاة دعا ابنيه فقال : اني آمركما باثنتين ، وانها كما عن اثنتين انها كما عن الشرك والكبر ، وآمركما بلا اله الا الله وسبحان الله وبحمده ،

وقال سليمان بن داود «ع» يوما للطير والجن والانس والبهائم اخرجوا ، فخرجوا في مأتى الف من الانس ومأتى الف من الجن ، فرفع حتى سمع زجل الملائكة بالتسبيح في السموات ثم خفض حتى مست اقدامه البحر فسمع صوتا يقول لوكان في قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لخسفت به ابعد مما رفعته .

وقال الباقر عليه السلام : الكبر رداء الله ، والمتكبر ينازع الله رداءه .

وقال ﴿ع﴾ : العز رداء الله والكبر ازاره فمن تناول شيئاً منه اكبه الله في جهنم

وقال الصادق ﴿ع﴾ : ان في جهنم لواديا للمتكبرين يقال له : سقر شكي الى الله شدة حره وسئله ان ياذن له ان يتنفس فتنفس فاحرق جهنم . وقال عليه السلام : ان المتكبرين يجعلون في صور الذر يطأهم الناس حتى يفرغ الله من الحساب

وقال ﴿ع﴾ : ما من رجل تكبر اوتجبر الا لذلة وجدها في نفسه . وقال ﴿ع﴾ ان في السماء ملكين موكلين بالعباد فمن تواضع رفعاه ومن تكبر وضعاه . وقال ﴿ع﴾ الجبار الملعون من غمص الناس وجهل الحق (قال الراوي) اما الحق فلا اجهله والغمص لا ادري ما هو قال : من حقر الناس وتجبر عليهم فذلك الجبار .

وقال عليه السلام : ما من عبد الا وفي رأسه الحكمة وملك يمسكها فاذا تكبر قال له اتضع وضعك الله فلايزال اعظم الناس في نفسه واصغر الناس في اعين الناس واذا تواضع رفعها الله عز وجل ثم قال له : انتعش نعشك الله فلايزال اصغر الناس في نفسه وارفع الناس في اعين الناس .

فصل

التكبر على الله وعلى الناس

التكبر قد يكون على الله كما كان لنمرود وفرعون وسببه الطغيان ومحض الجهل وهو افحش انواع الكبر اذ هو اعظم افراد الكفر ولذا تكررت في ذمه الآيات

كقوله تعالى : ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين . وقوله : ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعاً . وقوله تعالى : ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتياً . وقوله : فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون .

وقد يكون على الرسل من حيث تعزز النفس وترفعها عن انقيادهم كما كان لمن يقول : اهؤلاء من الله عليهم من بيننا . ولمن يقول : انؤمن لبشرين مثلنا ان أنتم الا بشر مثلنا ولئن اطعتم بشراً مثلكم انكم اذاً لخاسرون . ولمن قال : لولا انزل علينا الملائكة اونرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتواً كبيراً وهذا في الشناعة قريب من التكبر على الله وان كان دونه .

وقد يكون على العباد ، بان يستعظم نفسه ويستصغرهم وهذا وان كان دون الأولين الا انه من المهلكات العظيمة من حيث انه يؤدي الى مخالفة الله سبحانه اذ صاحبه اذا سمع الحق من عبد استنكف من قبوله واشمأز بجحده . ومن حيث ان العزة والعظمة والعلى لا يليق الا بالعلي الاعلى فمها تكبر العبد نازع الله في صفة من صفاته ولذا قال الله سبحانه : والعظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيها قصمته .

والعلاج العملي للكبر ان يتواضع لله وللخلق .

ولقد كانت سيرة رسول الله ﴿ص﴾ جامعة لجميع ما يمتحن به التواضع بريئة عن جميع ما يصدر من الكبر من الافعال والحركات فينبغي لكل مؤمن ان يقتدي به . وقد روي ابو سعيد الخدري انه صلى الله عليه وآله وسلم كان يعلف الناضح ويعقل البعير ويقم البيت ويحلب الشاة ويخصف النعل ويرقع الثوب ويأكل مع

خادمه ويطحن عنه اذا اعي ويشتري الشيء من السوق ولا يمنعه الحياء ان يعلقه بيده اويجعله في طرف ثوبه وينقلب الى اهله يصافح الغنى والفقير والصغير والكبير ويسلم مبتدءاً على كل من استقبله من صغير او كبير اسود اواحمر حر او عبد من اهل الصلوة ليست له حلة لمدخله ولا حلة لمخرجه لايستحيي من ان يجيب اذا دعى وان كان اشعث اغبر ولايحقر ما دعى اليه وان لم يجد الأحشف الرقل لايرفع غداء لعشاء ولا عشاء لغداء هين المؤنة لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طلق الوجه بساماً من غير ضحك محزوناً من غير عبوس شديداً في غير عنف متواضعاً في غير مذلة جواداً من غير سرف رحيما لكل ذي قربى قريباً من كل ذمي ومسلم رقيق القلب دائم الاطراق لم يبسم قط من شبع ولا يمد يده الى طمع .

وقال ابو الحسن عليه السلام : التواضع ان تعطي الناس ما تحب ان تعطاه وسئل عن حد التواضع الذي اذا فعله العبد كان متواضعاً فقال التواضع درجات منها ان يعرف المرء قدر نفسه فينزلها منزلتها بقلب سليم ، لايحب ان ياتي الى احد الا مثل ما يؤتي اليه ان راى سيئة درأها بالحسنة كاظم الغيظ عاف عن الناس والله يحب المحسنين .

وصل - التواضع ومدحه

قد اشير الى ان ضد الكبر التواضع : وهو انكسار للنفس يمنعها من ان يرى لذاتها مزية على الغير وتلزمه افعال و اقوال موجبة لاستعظام الغير وا كرامه . والمواظبة

عليها اقوى معالجة لازالة الكبر ولا بد من الاشارة الى الأخبار الواردة في مدح التواضع و فوائده تحريكا للطالبين الى السعي في تحصيله الموجب لازالة ضده وهذه الأخبار كثيرة خارجة عن حد الاحصاء فنكتفي بايراد بعض منها

قال رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم : ما تواضع احد لله الا رفعه الله .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم طوبى لمن تواضع في غير مسكنة وانفق مالا جمعه من غير معصية ورحم اهل الفقه والحكمة .

وروى ان الله سبحانه اوحى الى موسى ﴿ع﴾ انما اقبل صلوة من تواضع لعظمتي ولم يتعاظم على خلقي والزم قلبه خوفي وقطع نهاره بذكرى وكف نفسه عن الشهوات من اجلي .

وقال رسول الله (ص) لاصحابه مالي لا ارى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة قال :التواضع ، وقال (ص) : اذا تواضع العبد رفعه الله الى السماء السابعة ، وقال (ص) اذا هدى الله عبد الاسلام حسن صورته وجعله في موضع غير شائن له ورزقه مع ذلك تواضعاً فذلك من صفوة الله ، وقال ﴿ص﴾ : اربع لا يعطيهن الله الا من يحبه ، الصمت وهو اول العبادة ، والتوكل على الله ، والتواضع ، والزهد في الدنيا . وقال « ص » ليعجبني ان يحمل الرجل الشيء في يده يكون مهنة لاهله يدفع به الكبر عن نفسه . وقال « ص » : من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر خفضه الله و من اقتصد في معيشة رزقه الله ومن بذر حرمه الله ومن اكثر ذكر الموت احبه الله ومن اكثر ذكر الله اظله الله في جنته .

وروى انه اتى رسول الله « ص » ملك فقال ان الله تعالى يخيرك ان تكون عبداً رسولا متواضعاً اوملكا رسولا فنظر الى جبرئيل عليه السلام ، فاومى بيده

ان تواضع فقال عبداً متواضعاً رسولا فقال الرسول - يعني الملك - : مع انه لا ينقصك مما عند ربك شيئاً .

وقال عيسى بن مريم عليه السلام : طوبى للمتواضعين في الدنيا . هم اصحاب المنابر يوم القيمة طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيمة طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون الى الله تعالى يوم القيمة

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : ان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرحمكم الله .

واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام : يا داود كما ان اقرب الناس الى الله المتواضعون كذلك ابعد الناس من الله المتكبرون .

وروى : ان سليمان بن داود اذا اصبح تصفح وجوه الاغنياء والاشراف حتى يجيء الى المساكين فيقعد معهم ويقول : مسكين مع مساكين .

وروى : انه ورد على اميرالمؤمنين اخوان له مؤمنان اب وابن فقام اليهما واكرمهما واجلسهما في صدر مجلسه وجلس بين ايديهما ثم امر بطعام فاحضر فاكلا منه ثم جاء قنبر بطست وابريق خشب ومنديل وجاء ليصب على يد الرجل فوثب امير المؤمنين عليه السلام واخذ الابريق ليصب على يد الرجل فتمرغ الرجل في التراب وقال يا امير المؤمنين الله يراني وانت تصب على يدي قال : اقعد واغسل فان الله عزوجل يراك واخوك الذي لا يتميز منك ولا ينفصل عنك يخدمك يريد بذلك في خدمته في الجنة مثل عشرة اضعاف عدد اهل الدنيا فقعد الرجل وقال له علي عليه السلام اقسمت عليك بعظيم حقي الذي عرفته لما غسلت مطمئنا كما كنت تغسل لو كان الصاب عليك قنبر فعمل الرجل ذلك فلما فرغ ناول الابريق محمد بن الحنفية وقال : يابني لو كان

هذا الابن حضرني دون ابيه لصببت على يده ، ولكن الله عز وجل يابى ان يسوى بين ابن وابيه اذا جمعها مكان لكن قد صب الاب على الاب فليصب الابن على الابن فصب محمد بن الحنفية على الابن .

وقال الامام العسكري (ع) : اعرف الناس بحقوق اخوانهم ، واشدهم قضاء لهم ، اعظمهم عند الله شانا ، ومن تواضع في الدنيا لاخوانه فهو عند الله من الصديقين ومن شيعة علي بن ابي طالب (ع) حقا .

تتميم - الذلة

لما عرفت ان كل فضيلة وسط له طرفان مذمومان فا حد طرفي التواضع الكبر كما عرفت ، وهو من طرف الافراط . وآخرها الذلة والتخاسس ، وهو من طرف التفريط ، فكما ان الكبر مذموم ، فكذلك المذلة والتخاسس ثم ينبغي الا يتواضع للمتكبرين اذا الانكسار والتذلل لمن يتكبر ويتعزز مع كونه من المذلة والتخاسس المذمومين يوجب اضلال هذا المتكبر وتقريره على تكبره واذا لم يتواضع له الناس وتكبروا عليه ربما تنبه وترك التكبر ، اذ المتكبر لايرضى بتحمل المذلة والاهانة من الناس .

ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اذا رايتم المتواضعين من امتي فتواضعوا لهم ، واذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم ، فان ذلك لهم مذلة وصغار

الافتخار

اي المباهاة باللسان بما توهمه كمالا والغالب كون المباهاة بالامور الخارجة عن ذاته وهو بعض اصناف التكبر فكل ما ورد في ذمه يدل على ذمه والاسباب الباعثة عليه هي اسباب التكبر، معلوم ان شيئا منها لايصلح لان يكون منشأ للافتخار فهو ناش من محض الجهل والسفاهة، قال سيد الساجدين ﴿ع﴾ عجباً للمتكبر الفخور الذي كان بالامس نطفة ثم هو غدا جيفة . وقال الباقر عليه السلام : عجباً للمختال الفخور وانما خلق من نطفة ثم يعود جيفة وهو فيما بين ذلك لايدري ما يصنع به

وقال ﴿ع﴾ : صعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنبر يوم فتح مكة فقال ايها الناس ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتفاخرها بآبائها الا انكم من آدم وآدم من طين الا ان خير عباد الله عبد اتقاه ، وقال له عليه السلام عقبة بن بشير الاسدي : انا في الحسب الضخم عزيز في قومي فقال له : عن علينا بحسبك ان الله تعالى رفع بالايمان من كان الناس يسمونه وضيعاً اذا كان مؤمنا ووضع بالكفر من كان الناس يسمونه شريفاً اذا كان كافراً فليس لاحد فضل على احد الا بتقوى الله

وقال الصادق ﴿ع﴾ قال رسول الله ﴿ص﴾ آفة الحسب الافتخار والعجب وقال عليه السلام : اتى رسول الله صلى الله عليه وآله رجل فقال : يا رسول الله انا فلان بن فلان حتى عد تسعة . فقال رسول الله ﴿ع﴾ : اما انك عاشرهم في النار ، ونقل ان قريشا تفاخروا عند سلمان فقال لكني خلقت من نطفة قذرة ثم اعود جيفة منتنة ثم الى الميزان فان ثقل فانا كريم وان خف فانا لئيم .

ثم ضده استحقار نفسه وترجيح غيره عليها بالقول .

البغي

ويسمى البذخ ايضاً : وهو صعوبة الانقياد والتابعية لمن يجب ان ينقاد له وهو من المهلكات العظيمة ولذا ورد في ذمه ما ورد . قال رسول الله « ص » ان اعجل الشر عقوبة البغي ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم : حق على الله عز وجل الا يبغي شيء على شيء الا اذله الله ولوان جبلا بغى على جبل لهد الله الباغي منهما

وقال أميرالمؤمنين « ع » ايها الناس ان البغي يقود اصحابه الى النار (الى ان قال ـ ع) : وقد قتل الله تعالى الجبابرة على افضل احوالهم وآمن ما كانوا وقال الصادق « ع » : يقول ابليس لجنوده : القوا بينهم الحسد والبغي فانهما يعدلان عند الله الشرك . وكتب عليه السلام الى بعض اصحابه : انظر الا تكلمن بكلمة بغي ابدا وان اعجبتك نفسك وعشيرتك .

تزكية النفس

اي نفي النقائص عنها واثبات الكمالات لها وهو من نتائج العجب وقبحه اظهر من ان يخفى ولذا قال اميرالمؤمنين « ع » تزكية المرء لنفسه قبيحة .

العصبية

وهي السعي في حماية نفسه اوماله اليه نسبة من الدين والاقارب والعشائر واهل البلد قولا اوفعلا فان كان ما يحميه ويدفعه عنه السوء مما يلزم حفظه وحمايته وكانت حمايته با لحق من دون خروج من الانصاف والوقوع فيما لايجوز شرعاً فهو الغيرة الممدوحة التي هي من فضائل قوة الغضب وان كان مما لايلزم حمايته وكانت حمايته با لباطل ، بان يخرج عن الانصاف وارتكب ما يحرم شرعاً فهو التعصب المذموم وهو من ردائة قوة الغضب .

والى ذلك يشير كلام سيد الساجدين « ع » حيث سئل عن العصبية فقال : العصبية التي يأثم عليها صاحبها ، ان يرى الرجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين وليس من العصبية ان يحب الرجل قومه ولكن من العصبية ان يعين قومه على الظلم . والغالب اطلاق العصبية في الاخبار على التعصب المذموم ولذا ورد بها الذم كقول النبي « ص » : من تعصب اوتعصب له فقد خلع ربق الايمان من عنقه وقوله « ص » : من كان في قلبه حبة من خردل من عصبية بعثه الله يوم القيامة مع اعراب الجاهلية ، وقال السجاد « ع » : لم يدخل الجنة حمية غير حمية حمزة بن عبد المطلب وذلك حين اسلم عصباً للنبي « ص » « في حديث السلي الذي القي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ».

وقال الصادق « ع » ان الملائكة كانوا يحسبون ان ابليس منهم وكان في علم الله انه ليس منهم فاستخرج مافي نفسه با لحمية والعصب فقال : خلقتني من نار

وخلقته من طين .

كتمان الحق

والانحراف عنه وباعثه اما العصبية او الجبن ، فهو من نتائج واحدة منها وربما كان الباعث في بعض افراده الطمع المالي . والظواهر الدالة على ذمه مطلقاً وعلى كل واحد من الاصناف المندرجة تحته كثيرة قال الله تعالى : تكتمون الحق ، ولاحاجة الى ذكرها لاشتهارها .

وصل

الانصاف والاستقامة على الحق

لما كان ضدها الانصاف والاستقامة على الحق فلنشر الى بعض ما ورد في مدحها تحريكا للطالبين الى الاخذ بها ، قال رسول الله « ص » لايستكمل العبد الايمان حتى يكون فيه ثلاث خصال الانفاق من الاقتار والانصاف من نفسه وبذل السلام ، وكان صلى الله عليه وآله وسلم يقول في آخر خطبته : طوبى لمن طاب خلقه وطهرت سجيته وصلحت سريرته وحسنت علانيته وانفق الفضل من ماله وامسك الفضل من قوله وانصف الناس من نفسه : وقال صلى الله عليه وآله وسلم : سيد الاعمال انصاف الناس من نفسك الى آخره . وقال صلى الله عليه وآله وسلم : من واسى الفقير من ما له وانصف الناس من نفسه فذلك المؤمن حقاً . وقال صلى الله

عليه وآله وسلم : ثلاث خصال من كن فيه اوواحدة منهن كان في ظل عرش الله يوم لاظل الا ظله ، رجل اعطى الناس عن نفسه ما هو سائلهم (الحديث) .

وقال أميرالمؤمنين عليه السلام (في كلام له) : الا انه من ينصف من نفسه لم يزده الله الاعزا .

وقال الصادق (ع) : من يضمن لي اربعة با ربعة ابيات في الجنة : انفق ولاتخف فقراً وافش السلام في العالم واترك المراء وان كنت محقا وانصف الناس من نفسك . وقال عليه السلام : الا اخبركم باشد ما فرض الله على خلقه فذكر ثلاثة اشياء اولها : انصاف الناس من نفسك . وقال عليه السلام : من انصف الناس من نفسه رضي به حكما لغيره . وقال (ع) : ما تداري اثنان في امر قط فا عطى احدهما النصف صاحبه فلم يقبل منه الا اديل منه . وقال (ع) ثلاثة هم اقرب الخلق الى الله تعالى يوم القيمة حتى يفرغ من الحساب رجل لم تدعه قدرة في حال غضبه على ان يحيف على من تحت يده ورجل مشي بين اثنين فلم يمل مع احدهما على الآخر بشعيرة ورجل قال با لحق فيما له وعليه . وقال عليه السلام : ان لله جنة لا يدخلها الا ثلاثة احدهم من حكم في نفسه با لحق .

القساوة

وهي ملكة عدم التأثر عن تالم ذوى الروح ولاريب في كونه ناشئاً من غلبة السبعية واكثر ذمائم الصفات من الظلم والايذاء وعدم اغاثة المظلومين وعدم مواساة الفقراء والمحتاجين وغير ذلك يترتب عليه . وضده الرحمة والرقة وهو التاثر عن

مشاهدة تألم ذي الروح ويترتب عليه من الصفات المرضية اضداد ما ذكر وقد ورد به المدح والترغيب في الاخبار الكثيرة كقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادي تعيشوا في اكنافهم فاني جعلت فيهم رحمتي ولا تطلبوها من القاسية قلوبهم فاني جعلت فيهم سخطي وكقول الصادق (ع) : اتقوا الله وكونوا اخوة بررة متحابين في الله متواصلين متراحمين ﴿ الخ ﴾ وقوله عليه السلام : تواصلوا وتباروا وتراحموا وكونوا اخوة بررة كما امركم الله . وقوله عليه السلام : يحق على المسلمين الاجتهاد في التواصل والتعاون على التعاطف والمواساة لاهل الحاجة وتعاطف بعضهم على بعض حتى تكونوا كما امركم الله عزوجل رحماء بينهم متراحمين مغتمين لما غاب عنكم من امرهم على مامضى عليه معشر الانصار على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وقد ورد ان من ترحم على العباد يرحمه الله والاخبار الواردة في فضيلة مطلق الرحمة وفي فضيلة خصوص كل واحد واحد مما يندرج تحته من اعانة المحتاج واغاثة المظلوم ومواساة الفقير والاغتمام بمصائب المؤمنين وامثال ذلك اكثر من ان تحصى ثم ان ازالة القساوة واكتساب الرحمة في غاية الاشكال اذ القساوة صفة راسخة في القلب لايقدر على تركها بسهولة فطريق العلاج ان يترك لوازمها واثارها من الأفعال الظاهرة ويواظب على ما يترتب على الرحمة من الصفات الاختيارية ويكلف نفسه على ذلك حتى يرتفع على التدريج مبدأ الاولى ويحصل مبدأ الثانية .

الشره

وهو اطاعة شهوة البطن والفرج وشدة الحرص على الاكل والجماع ولاريب

في كونه اعظم المهلكات لابن آدم .

ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقى ، والقبقب البطن ، والذبذب الفرج ، واللقلق اللسان . وقال (ص) ويل للناس من القمقبين فقيل وما هما يا رسول الله ؟ قال الحلق والفرج . وقال (ص) اكثر ما يلج به امتي النار الا جوفان البطن والفرج وقال (ص) ثلاث اخافهن على امتي من بعدي الضلالة بعد المعرفة ومضلات الفتن وشهوة البطن والفرج ويدل على ذم الأول اعني شهوة البطن والحرص على الاكل والشرب قوله (ص) ما ملأ ابن آدم وعاءاً شراً من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، وان كان لابد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه وقال (ص) لاتميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب ، فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء . وقال (ص) افضلكم منزلة عند الله اطولكم جوعاً وتفكراً وابغضكم عند الله تعالى كل نؤم اكول شروب وقال (ص) المؤمن يأكل في معاء واحد والمنافق ياكل في سبعة امعاء ، اي ياكل سبعة اضعاف ما ياكله المؤمن اوتكون شهوته سبعة امثال شهوته ، فالمعاء كناية عن الشهوة . وقال (ص) ان ابغض الناس الى الله المتخمون الملأى ، وما ترك عبد اكلة يشتهيها الا كانت له درجة في الجنة . وقال (ص) بئس العون على الدين قلب نخيب وبطن رغيب ونعظ شديد . وقال (ص) اطول الناس جوعاً يوم القيمة اكثرهم شبعاً في الدنيا . وقال (ص) لايدخل ملكوت السموات من ملأ بطنه .

وقال الباقر عليه السلام اذا شبع البطن طغى . وقال (ع) ما من شيء ابغض الى الله عزوجل من بطن مملو .

وقال الصادق عليه السلام ان البطن ليطغى من اكلة واقرب ما يكون العبد

من الله اذا خف بطنه ، وابغض ما يكون العبد الى الله اذا امتلأ بطنه . وقال صلى الله عليه وآله وسلم ليس لابن آدم بد من اكلة يقيم بها صلبه ، فاذا اكل احدكم طعاماً فليجعل ثلث بطنه للطعام وثلثه للشراب وثلثه للنفس ولا تسمنوا تسمن الخنازير للذبح . وقال (ع) ما من شيء اضر لقلب المؤمن من كثرة الاكل ، وهي مورثة شيئين قسوة القلب ، وهيجان الشهوة ، والجوع ادام للمؤمن وغذاء للروح ، وطعام للقلب ، وصحة للبدن . والاخبار الواردة بهذه المضامين كثيرة ولاريب في ان اكثر الامراض والاسقام تترتب على كثرة الاكل . قال الصادق (ع) كل داء من التخمة الا الحمى فانها ترد ورودا ، وقال (ع) الاكل على الشبع يورث البرص . ولذا ورد في فضيلة الجوع والصبر عليه ما ورد من الاخبار .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاهدوا انفسكم بالجوع والعطش ، فان الاجر في ذلك كاجر المجاهد في سبيل الله ، وانه ليس من عمل احب الى الله من جوع وعطش . وقال (ص) افضل الناس من قل مطعمه وضحكه ، ورضى بما يستر عورته وقال (ص) : سيد الاعمال الجوع ، وذل النفس لباس الصوف . وقال (ص) : اشربوا واكلوا في انصاف البطون فانه جزء من النبوة ؛ وقال قلة الطعام هي العبادة ،

وقال (ص) : ان الله يباهي الملائكة بمن قل مطعمه في الدنيا ، يقول : انظروا الى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فصبر وتركهما ، اشهدوا يا ملائكتي ما من اكلة يدعها الا ابدلته بها درجات في الجنة . وقال (ص) : اقرب الناس من الله عزوجل يوم القيمة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا .

وقال عيسى (ع) : اجيعوا اكبادكم واعروا اجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل .

وقالت بعض زوجاته (ص) : ان رسول الله لم يمتلا قط شبعا ، وربما بكيت رحمة مما ارى به من الجوع فامسح بطنه بيدي .

واقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقويك ويمنعك من الجوع . فيقول اخواني من اولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم ، فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي غدا دونهم ، فاصبر اياماً يسيرة احب الي من ان ينقص بي حظي غدا في الآخرة وما من شيء احب الي من اللحوق باصحابي واخواني . وروى انه جاءت فاطمة عليها السلام ومعها كسيرة من خبز فدفعتها الى النبي (ص) فقال ما هذه الكسيرة ؟ قالت قرص خبزته للحسن والحسين جئتك منه بهذه الكسيرة فقال اما انه اول طعام دخل فم ابيك منذ ثلاث .

فوائد الجوع

ثم للجوع فوائد هي صفاء القلب ورقته وانقاد الذهن وحدته والالتذاذ بالمناجات والطاعة والابتهاج بالذكر والعبادة والترحم لارباب الفقر والفاقة والتذكر بجوع يوم القيمة والانكسار المانع عن الطغيان والغفلة وغير ذلك .

ثم علاج الشره بالاكل والشرب ان يتذكر الاخبار الواردة في ذمه . ويتأمل في المفاسد المترتبة على الولوع به من الذلة والمهانة وسقوط الحشمة والمهابة وفتور الفطنة وظهور البلادة وحدوث العلل والامراض الكثيرة .

الشهوة الجنسية

واما الثاني اعني طاعة شهوة الفرج والافراط في الوقاع فلا ريب في انه يقهر العقل حتى يجعل الانسان مقصور الهم على التمتع با لنسوان والجواري فيحرم من سلوك طريق الآخرة اويقهر الدين حتى يجر الى اقتحام الفواحش . ولعظم آفة هذه الشهوة واقتضائها هلاك الدين والدنيا ان لم تضبط ولم ترد الى حد الاعتدال .

وردفى ذمها ما ورد من الاخبار . قال رسول الله (ص) في بعض دعواته اللهم اني اعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي وشر مني .

ثم علاج افراط هذه الشهوة بعد تذكر مفاسدها المذكورة كسرها با لجوع وسد الطرق المؤدية اليها من التخيل والنظر والتكلم والخلوة . فان اقوى الاسباب المهيجة لها هو النظر والخلوة . ولذا قال الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم وقال النبي « ص » النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها خوفاً من الله تعالى اعطاه الله ايماناً يجد حلاوته في قلبه . وقال « ص » لكل عضو من اعضاء ابن آدم حظ من الزنا فا لعينان تزنيان وزناهما النظر . وقال « ص » لاتدخلوا على المغيبات اي التي غاب عنها زوجها فا ن الشيطان يجري من احدكم مجرى الدم ولكون النظر مهيجاً للشهوة حرم في الشريعة نظر كل من الرجل والمرئة الى الآخر وكذا حرم استماع كل منهما لكلام الآخر الا مع الضرورة وعموم الحاجة (١) وكذا حرم نظر الرجال الى المرد من الصبيان اذا كان مورثا للفتنة .

(١) فيه تأمل وكذا ما بعده الا ان يكون الشرط الآتي للجميع .

ثم ان لم تنقمع الشهوة بالجوع والصوم وحفظ النظر فينبغي كسرها بالنكاح بشرط الاستطاعة والامن من غوائله . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : معاشر الشباب عليكم بالبائه فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء . وقال (ص) : ان المرئة اذا اقبلت اقبلت بصورة شيطان فان راى احدكم امرئة فاعجبته فلياتِ اهله فان معها مثل الذي معها .

الخمود

وهو التفريط في كسب ضروري القوت والفتور عما ينبغي من شهوة النكاح بحيث يؤدي الى سقوط القوة وتضييع العيال وانقطاع النسل ، ولاريب في كون ذلك مذموماً غير مستحسن في الشرع والعقل .

ومن فوائد النكاح كسر التوقان والتحصن من الشيطان بغض البصر وحفظ الفرج واليه الاشارة بقوله (ص) : من تزوج فقد احرز نصف دينه . ومن فوائد النكاح تفريغ القلب عن تدبير المنزل ، ولذا قال النبي (ص) : ليتخذ احدكم لساناً ذاكراً وقلباً شاكراً وزوجة مؤمنة صالحة تعينه على آخرته .

العفة

اعلم ان ضد الجنسين العفة ، وهو انقياد قوة الشهوة للعقل في الاقدام على

ما يأمرها به من المأكل والمنكح كما وكيفا والاجتناب عما ينهاها عنه وهو الاعتدال الممدوح عقلا وشرعاً ، والاخبار الواردة في مدح العفة وفضيلتها كثيرة قال اميرالمؤمنين (ع) : افضل العبادة العفاف .

وقال الباقر (ع) : ما من عبادة افضل من عفة بطن وفرج . وقال (ع): ما عبد الله بشيء افضل من عفة بطن وفرج وقال (ع) : اي الاجتهاد افضل من عفة بطن وفرج .

حب الدنيا

وهو انواع قد جمعها الله سبحانه في قوله : زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين ، والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، والخيل المسومة والانعام ، والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا .

ثم الدنيا على قسمين . الدنيا المذمومة عبارة عن حظ عاجل لايكون من اعمال الآخرة ولا وسيلة اليها . وما هو الا التلذذ بالمعاصي والتنعم بالمباحات الزائدة على قدر الضرورة في تحصيل العلم والعمل . واما قدر الضرورة من الرزق فتحصيله من الاعمال الصالحة كما نطقت به الاخبار .

قال رسول الله (ص) : العبادة سبعون جزءاً افضلها طلب الحلال . وقال صلى الله عليه وآله : ملعون من القي كله على الناس .

وقال السجاد (ع) : الدنيا دنيا آن دنيا بلاغ ودنيا ملعونة . وقال الباقر (ع) من طلب الدنيا استعفافاً عن الناس وسعيا على اهله وتعطفاً على جاره لقي الله عزوجل

يوم القيمة ووجه مثل القمر ليلة البدر .

وقال الصادق (ع) : الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله . وقال (ع) : ان الله تبارك وتعالى ليحب الاغتراب في طلب الرزق . وقال (ع) : ليس منا من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه . وقال (ع) : لاتكسلوا في طلب معايشكم فان آبائنا كانوا يركضون فيها ويطلبونها ، وقال له عليه السلام رجل : انا لنطلب الدنيا ونحب ان نؤتاها فقال تحب ان تصنع بها ما ذا ؟ قال اعود بها على نفسي وعيالي واصل بها واتصدق واحج واعتمر . فقال ابو عبد الله (ع) : ليس هذا طلب الدنيا هذا طلب الآخرة .

وكان ابو الحسن (ع) : يعمل في ارض قد استنقعت قدماه في العرق فقيل له جعلت فداك اين الرجال ؟ فقال : قد عمل باليد من هو خير مني في ارضه ومن ابي فقيل : ومن هو ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وامير المؤمنين وآبائي كلهم كانوا قد عملوا بايديهم ، وهو من عمل النبيين والمرسلين والاوصياء والصالحين وقد ورد بهذه المضامين اخبار كثيرة اخر مشهورة .

ثم ان الآيات الواردة في ذم الدنيا وحبها كثيرة واكثر القرآن مشتمل على ذلك وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الآخرة ، بل هو المقصود من بعثة الانبياء فلا حاجة الى الاستشهاد بايات القرآن لظهورها فلنشر الى نبذة من الاخبار الواردة في ذم الدنيا وحبها وسرعة زوالها .

قال رسول الله (ص) لوكانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء . وقال «ص» الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله منها . وقال (ص) الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر . وقال «ص» من اصبح والدنيا اكبر

همه فليس من الله في شيء ، والزم الله قلبه اربع خصال هما لا ينقطع عنه ابدا ، وشغلا لا يتفرغ منه ابدا ، وفقراً لا ينال غناه ابدا ، واملا لا يبلغ منتهاه ابداً . وقال «ص» يا عجباً كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور ، وقال « ص » لتاتينكم بعدي دنيا تأكل ايمانكم كما تاكل النار الحطب . وقال الهكم التكاثر يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فا بقيت ؟ او اكلت فا فنيت ؟ اولبست فا بليت ؟ . وقال اوحى الله تعالى الى موسى لا تركنن الى حب الدنيا فلن تا تين بكبيرة هي اشد عليك منها . وقال « ص » حب الدنيا رأس كل خطيئة . وقال « ص » من احب دنياه اضر بآخرته ، ومن احب آخرته اضر بدنياه ، فآثروا ما يبقى على ما يفنى .

ومر صلى الله عليه وآله على مزبلة فوقف عليها ، وقال هلموا الى الدنيا ، واخذ خرقاً قد بليت على تلك المزبلة ، وعظاماً قد نخرت فقال هذه الدنيا .

وقال « ص » ان الله لم يخلق خلقاً ابغض اليه من الدنيا . وانه لم ينظر اليها منذ خلقها . وقال « ص » الدنيا دار من لا دار له . ومال من لا مال له . ولها يجمع من لا عقل له . وعليها يعادي من لا علم عنده . وعليها يحسد من لا فقه له . ولها يسعى من لا يقين له . وقال « ص » لما هبط آدم من الجنة الى الارض قال له ابن للخراب ولد للفناء . وقال « ص » لتجيئن اقوام يوم القيامة واعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم الى النار فقيل يا رسول الله امصلين ؟ قال نعم كانوا يصومون ويصلون ويأخذون هنيئة من الليل فا ذا عرض لهم من الدنيا شيء وثبوا عليه . وقال « ص » هل منكم من يريد ان يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيراً ؟ الا انه من رغب في الدنيا وطال فيها امله اعمى الله قلبه على قدر ذلك . ومن زهد في الدنيا وقصر امله فيها اعطاه

الله علما بغير تعلم . وهدى بغير هداية .

وقال « ص » : فو الله ما الفقر اخشى عليكم ، ولكني اخشى عليكم ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها .وتهلككم كما اهلكتهم .

وقال «ص» اكثر ما اخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الارض فقيل : ما بركات الارض ؟ قال : زهرة الدنيا .

وقال « ص » : دعوا الدنيا لاهلها من اخذ من الدنيا فوق مايكفيه فقد اخذ حتفه وهو لا يشعر .

وقال « ص » : سيأتي قوم بعدي ياكلون اطايب الطعام وانواعها وينكحون اجمل النساء والوانها ويلبسون الين الثياب والوانها ويركبون اقوى الخيل والوانها لهم بطون من القليل لاتشبع وانفس بالكثير لاتقنع عاكفين على الدنيا يغدون ويروحون اليها اتخذوها آلهة دون الههم وربا دون ربهم الى امرهم ينتهون وهواهم يلعبون فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن ادرك ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم ابدا : لايسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنائزهم ولا يوقر كبيرهم ومن فعل ذلك فقد اعان على هدم الاسلام .

وقال « ص » : مالي وللدنيا ؟ وما انا والدنيا ؟ انما مثلي ومثلها كمثل راكب سار في يوم صائف فرفعت له شجرة فقال تحت ظلها ساعة ثم راح وتركها .

وقال « ص » : احذروا الدنيا فانها اسحر من هاروت وماروت .

وقال « ص » حق على الله ان لا يرفع شيئاً من الدنيا الا وضعه .

وقال عيسى بن مريم عليه السلام . ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها ويأمنها وتغره ويثق بها وتخذله ويل للمغترين كيف الزمهم ما يكرهون وفارقهم

ما يحبون وجائهم ما يوعدون ، ويل لمن اصبحت الدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غدا بذنبه . وقال (ع) : من ذا الذي يبني على امواج البحر دارا ؟ تلكم الدنيا فلا تتخذوها قراراً . وقال (ع) : لايستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن كما لايستقيم الماء والنار في اناء واحد . واوحى الله تعالى الى موسى ما لك ولدار الظالمين ؟ انها ليست لك بدار اخرج منها همك ، وفارقها بعقلك فبئست الدار هي الا للعامل يعمل فيها فنعمت الدار هي يا موسى اني مرصد للظالم حتى آخذ منه للمظلوم .

ومر موسى عليه السلام برجل وهو يبكي ورجع وهو يبكي ، فقال موسى : يارب عبدك يبكي من مخافتك ، فقال تعالى : يا بن عمران ان لو نزل دماغه مع عينيه ورفع يديه حتى تسقطا لم اغفر له وهو يحب الدنيا .

وقال اميرالمؤمنين (ع) بعد ما قيل له صف لنا الدنيا : وما اصف لك من دار ؟ من صح فيها سقم ، ومن امن فيها ندم ، ومن افتقر فيها حزن ، ومن استغني فيها افتتن ، في حلالها الحساب ، وفي حرامها العقاب . وقال (ع) : انما مثل الدنيا كمثل الحية ما الين مسها وفي جوفها السم الناقع ، يحذرها الرجل العاقل ويهوى اليها الصبي الجاهل . وقال (ع) في وصف الدنيا : ما اصف من دار ؟ اولها عناء وآخرها فناء ، في حلالها حساب وفي حرامها عقاب ، من استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن ومن ساعاها فاتته ومن قعد عنها اتته ، ومن بصر بها بصرته ومن ابصر اليها اعمته

وقال (ع) في بعض مواعظه : ارفض الدنيا فان حب الدنيا يعمى ويصم ويبكم ويذل الرقاب ، فتدارك ما بقي من عمرك ولاتقل غدا وبعد غد ، فانما هلك من كان قبلك باقامتهم على الاماني والتسويف حتى اتاهم امر الله بغتة وهم غافلون ،

فنقلوا على اعوادهم الى قبورهم المظلمة الضيقة وقد اسلمهم الاولاد والاهلون ، فانقطع الى الله بقلب منيب ، من رفض الدنيا وعزم ليس فيه انكسار ولا انخزال .

وقال (ع) : لاتغرنكم الحيوة الدنيا ، فانها دار بالبلاء محفوفة ، وبالفناء معروفة ، وبالغدر موصوفة ، فكل ما فيها الى زوال ، وهي بين اهلها دول وسجال لاتدوم احوالها ولا يسلم من شرها نزالها ، بينا اهلها منها في رخاء وسرور اذاهم منها في بلاء وغرور ، احوال مختلفة وتارات متصرمة العيش فيها مذموم والرخاء فيها لايدوم ، وانما اهلها فيها اغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتفنيهم بحمامها واعلموا عباد الله انكم وما انتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى : ممن كان منكم اطول اعماراً واشد منكم بطشا ، واعمر دياراً ، وابعد آثاراً ، فاصبحت اصواتهم هامدة خامدة من بعد طول تقلبها ، واجسادهم بالية ، وديارهم على عروشها خاوية وآثارهم عافية ، استبدلوا بالقصور المشيدة والسرر والنمارق الممهدة الصخور والاحجار المسندة في القبور اللاطئة الملحدة ، فمحلها مقترب وساكنها مغترب ، بين اهل عمارة موحشين واهل محلة متشاغلين ، لايستأنسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والاخوان على ما بينهم من قرب الجوار ودنوا الدار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكله البلا واكلتهم الجنادل والثرى ، واصبحوا بعد الحيوة امواتاً وبعد نضارة العيش رفاتا ، فجمع بهم الاحباب وسكنوا تحت التراب وظعنوا فليس لهم اياب ، هيهات هيهات كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فكان قد صرتم الى ما صاروا اليه من البلى والوحدة في دار المثوى ، وارتهنتم في ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع ، وكيف بكم لو عاينتم الامور وبعثرت القبور وحصل ما في الصدور واوقفتم للتحصيل بين يدى الجليل ، فطارت القلوب

لاشفاقها من سالف الذنوب وهتكت عنكم الحجب والاستار وظهرت منكم العيوب والاسرار (هنالك تجزي كل نفس بما كسبت) .

وقال عليه السلام ايضا في بعض خطبه : اوصيكم بتقوى الله والترك للدنيا التاركة لكم وان كنتم لا تحبون تركها ، المبليه اجسامكم وانتم تريدون تجديدها ، فانما مثلكم ومثلها كمثل قوم في سفر سلكوا طريقا وكانهم قد قطعوه ، وافضوا الى علم فكانهم قد بلغوه ، وكم عسى ان يجرى المجرى حتى ينتهي الى الغاية ، وكم عسى ان يبقى من له يوم في الدنيا وطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها ، فلا تجزعوا لبؤسها وضرائها فانه الى انقطاع ، ولا تفرحوا بمتاعها ونعمائها فانه الى زوال ، عجبت لطالب الدنيا والموت يطلبه ! وغافل وليس بمغفول عنه .

وقال السجاد عليه السلام : ان الدنيا قد ارتحلت مدبرة ، وان الآخرة قد ارتحلت مقبلة ، ولكل واحدة منها بنون ، فكونوا من ابناء الاخرة ، ولا تكونوا من ابناء الدنيا ، الا وكونوا من الزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة اتخذوا الارض بساطاً والتراب فراشاً والماء طيبا وقرضوا من الدنيا تقريضاً ، الا ومن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ، ومن اشفق من النار رجع عن المحرمات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب ، الا ان لله عباداً كمن رأى اهل الجنة في الجنة مخلدين ، وكمن رأى اهل النار في النار معذبين شرورهم مامونة وقلوبهم محزونة انفسهم عفيفة وحوائجهم خفيفة ، صبروا اياماً قليلة فصاروا بعقبي راحة طويلة ، اما الليل فصافون اقدامهم تجري دموعهم على خدودهم وهم يجئرون الى ربهم يسعون في فكاك رقابهم ، واما النهار فحلماء علماء بررة اتقياء كانهم القداح قد براهم الخوف من العبادة ، ينظر اليهم الناظر فيقول : مرضى وما بالقوم من مرض ام خولطوا

فقد خالط القوم امر عظيم من ذكر النار وما فيها .

وقال (ع) : مامن عمل بعد معرفة الله عزوجل ومعرفة رسوله صلى الله عليه وآله افضل من بغض الدنيا فان لذلك لشعباً كثيرة وللمعاصي شعب فاول ما عصى الله به الكبر معصية ابليس حين ابى واستكبر وكان من الكافرين .

ثم الحرص وهي معصية آدم وحواء حين قال الله عزوجل لهما : فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فاخذا مالا حاجة بهما اليه فدخل ذلك على ذريتهما الى يوم القيمة ، وذلك ان اكثر ما يطلب ابن آدم ما لاحاجة به اليه .

الحسد

وهو معصية ابن آدم حيث حسد اخاه فقتله ، فتشعب من ذلك حب النساء وحب الدنيا وحب الرئاسة وحب الراحة وحب الكلام وحب العلو والثروة ، فصرن سبع خصال فاجتمعن كلهن في حب الدنيا ، فقال الانبياء والعلماء بعد معرفة ذلك : حب الدنيا رأس كل خطيئه ، والدنيا دنيا آن : دنيا بلاغ ، ودنيا ملعونة . وقال الباقر عليه السلام : — لجابر — يا جابر انه من دخل قلبه صافي خالص دين الله شغل قلبه عما سواه ، ياجابر ما الدنيا وما عنى ان تكون الدنيا ، هل هي الاطعام اكلته ؟ او ثوب لبسته ؟ او امرئة اصبتها ؟ يا جابر ان المؤمنين لم يطمانوا الى الدنيا ببقائهم فيها ، ولم يامنو قدومهم الآخرة ، يا جابر الآخرة دار قرار والدنيا دار فناء وزوال ولكن اهل الدنيا اهل غفلة وكان المؤمنون وهم الفقهاء اهل فكرة وعبرة ، لم يصمهم عن ذكر الله جل اسمه ما سمعوا باذانهم

ولم يعمهم عن ذكر الله ما رأوا من الزينة باعينهم ، ففازوا بثواب الآخرة كما فازوا بذلك العلم .

وقال الصادق (ع) : مثل الدنيا كمثل ماء البحر كلما شرب منه العطشان ازداد عطشا حتى يقتله .

وقال فيما ناجى الله عزوجل به موسى : ياموسى لا تركن الى الدنيا ركون الظالمين ، وركون من اتخذها ابا واما ، ياموسى لو وكلتك الى نفسك لتنظر لها اذن لغلب عليك حب الدنيا وزهرتها ، ياموسى نافس في الخير اهله واستبقهم اليه فان الخير كاسمه ، واترك من الدنيا ما بك الغنى عنه ، ولا تنظر عينك الى كل مفتون بها وموكل الى نفسه ، واعلم ان كل فتنة بدؤها حب الدنيا ، ولا تغبط احدا بكثرة المال فان مع كثرة المال تكثر الذنوب لواجب الحقوق ، ولا تغبطن احدا برضى الناس عنه حتى تعلم ان الله راض عنه ، ولا تغبطن مخلوقاً بطاعة الناس له ، فان طاعة الناس له واتباعهم اياه على غير الحق هلاك له ولمن تبعه واوحى الله تعالى الى موسى وهرون — لما ارسلهما الى فرعون — : ولو شئت ان ازينكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها ان مقدرته تعجز عما اوتيتما لفعلت ، ولكني ارغب لكما عن ذلك وازوى ذلك عنكما ، وكذلك افعل باوليائي انى لازويهم عن نعيمها كما يزوى الراعي الشفيق غنمه عن مواقع الملكة واني لاجنبهم عيش سلوتها كما يجنب الراعي الشفيق ابله عن مواقع الغرة ، وما ذلك لهوانهم علي ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالما موفراً انما يتزين لي اوليائي بالذل والخشوع والخوف والتقوى .

وقال الكاظم عليه السلام : قال ابو ذر رحمه الله جزى الله الدنيا عنى مذمة بعد

رغيفين من الشعير اتغـذى باحـــدهما واتعشى بالآخر ، وبعد شملتي الصوف اتزر باحداها واتردى بالاخرى . وقال لقمان لابنه : يا بني بع دنياك باخرتك تربحهما جميعاً ، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعاً . وقال له : يا بني ان الدنيا بحر عميق قد غرق فيها ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عزوجل ، وحشوها الايمان ، وشراعها التوكل على الله لعلك ناج وما اراك ناجياً . وقال : يا بني ان الناس قد جمعوا قبلك لاولادهم فلم يبق من جمعوا له ، وانما انت عبد مستأجر قد امرت بعمل ووعدت عليه اجراً فاوف عملك واستوف اجرك ، ولاتكن فيهذه الدنيا بمنزلة شاة وقعت في زرع اخضر فاكلت حتى سمنت فكان حتفها عند سمنها ، ولكن اجعل الدنيا بمنزلة قنطرة على نهر جزت عليها وتركتها ولم ترجع اليها آخر الدهر اخربها ولاتعمر فانك لم تأمر بعمارتها ، واعلم انك ستسئل غدا اذا وقفت بين يدي الله عزوجل عن اربع : شبابك فيما ابليته ، وعمرك فيما افنيته ، وما لك مما اكتسبته وفيما انفقته ، فتاهب لذلك واعدله جواباً ، ولا تاس على ما فتك من الدنيا ، فان قليل الدنيا لايدوم بقائه ، وكثيرها لايؤمن بلائه ، فخذ حذرك وجد في امرك واكشف الغطاء عن وجهك وتعرض لمعروف ربك وجدد التوبة في قلبك واكمش في فراغك قبل ان يقصـد قصدك ويقضي قضـاؤك ويحال بينك وبين ما تريد .

والاخبار والآثار في ذم الدنيا وحبها وفي سرعة زوالها وعدم اعتبار بها وفي هلاك من يطلبها ويرغب اليها وفي ضـديتها للاخرة اكثر من ان تحصى ، وما ورد في ذلك من كلام أئمتنا الراشدين لاسيما عن مولانا امير المؤمنين صلوات الله عليهم اجمعين الى يوم الدين فيه بلاغ لقوم زاهدين .

ومن تأمل في خطب علي (ع) ومواعظه كما في نهج البلاغة وغيره يظهر له

خساسة الدنيا ورذالتها .

حب المال

وهو من شعب حب الدنيا ، اذ حب الدنيـا يتناول حب كل حظ عاجل ، والمال بعض اجزاء الدنيا ، كما ان الجاه بعضها ، واتباع شهوة البطن والفرج بعضها وتشفي الغيظ بحكم الغضب والحسد بعضها ، والكبر وطلب العلو بعضها ، والكتاب والسنة متظاهران في ذم المال وكراهة حبه .

قال الله سبحانه : يا ايها الذين آمنوا لاتلهكم اموالكم واولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون . وقال : اعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة وقال : المال والبنون زينة الحيوة الدنيا .

وقال رسول الله (ص) : حب المال والشرف ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فساداً من حب المـال والجاه في دين الرجل المسـلم . وقال (ص) شر امتي الاغنياء . وقال (ص) : يقول الله تعالى : يقول ابن آدم مالي، وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت ؟ او اكلت فافنيت ؟ اولبست فابليت ؟ وقال (ص) : اخـلاء ابن آدم ثلاثة : واحد يتبعه الى قبض روحـه : وهو ماله . وواحد يتبعه الى قبره : وهو اهله . وواحد يتبعه الى محشره : وهو عمـله . وقال (ص) : يجاء بصاحب الدنيـا الذي اطاع الله فيها وماله بين يديه كلما يكفأ به الصراط قال له ماله امض وقد اديت حق الله في ثم يجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلما يكفأ

به الصراط قال له ماله وبلك اما اديت حق الله في ؟ فما يزال كك حتى يدعو بالثبور والويل . وقال (ص) : ان الدينار والدرهم اهلكا من كان قبلكم ، وهما مهلكاكم . وقال (ص) : لكل امة عجل ، وعجل هذه الامة الدينار والدرهم .

وقال (ص) : يؤتى برجل يوم القيامة وقد جمع مالا من حرام وانفقه في حرام ، فيقال : اذهبوا به الى النار ، ويؤتى برجل قد جمع مالا من حلال وانفقه في حرام فيقال : اذهبوا به الى النار ، ويؤتى برجل قد جمع مالا من حرام وانفقه في حلال فيقال : اذهبوا به الى النار ، ويؤتى برجل قد جمع مالا من حلال وانفقه في حلال فيقال له : قف لعلك قصرت في طلب هذا بشيء مما فرضت عليك من صلوة لم تصلها لوقتها وفرطت في شيء من ركوعها وسجودها ووضوئها ، فيقول لا يا رب كسبت من حلال وانفقت في حلال ولم اضيع شيئاً مما فرضت فيقال : لعلك اختلت فيهذا المال في شيء من مركب اوثوب باهيت به ، فيقول : لا يا رب لم اباه في شيء فيقال : لعلك منعت حق احد امرتك ان تعطيه من ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، فيقول : لا يا رب لم اضيع حق احد امرتني ان اعطيه ، فيجيء اولئك فيخاصمونه فيقولون يارب اعطيته وجعلته بين اظهرنا وامرته ان يعطينا فان كان قد اعطاه وما ضيع مع ذلك شيئاً من الفرائض ولم يختل في شيء ، فيقال قف الآن هات شكر نعمة انعمتها عليك : من اكلة اوشربة او لقمة او لذة فلا يزال يسئل ، فليت شعري يا اخي ان الرجل الذي فعل في الحلال وادى الفرائض بحدودها وقام بالحقوق كلها اذا حوسب بهذه المحاسبة ، فكيف يكون حال امثالنا الغرقى في فتن الدنيا وتخاليطها وشبهاتها وشهواتها وزينتها ؟ فيالها من مصيبة ما افظعها ورزية ما اجلها وحسرة ما اعظمها ، لا تدري ما تفعل بنا الدنيا غداً

في الموقف عند يدي الجبار .

ثم اعلم انه كما ورد ذم المال في الآيات والاخبار ، ورد مدحه فيها ايضاً ، وقد سماه الله خيراً في مواضع فقال ان ترك خيراً الوصية . وقال ـ في مقام الامتنان : ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهاراً . وقال رسول الله (ص) : نعم المال الصالح للرجال الصالح . وكل ما جاء في ثواب الصدقة والضيافة والسخاء والحج وغير ذلك مما لايمكن الوصول اليه الا بالمال فهو ثناء عليه ، ووجه الجمع بين الظواهر المادحة والذامة : هوان المال قد يكون وسيلة الى مقصود صحيح هي السعادة الاخروية ، اذ الوسائل اليها في الدنيا ثلاث : وهي الفضائل النفسية ، والفضائل البدنية والفضائل الخارجية التي عمدتها المال . وقد يكون وسيلة الى مقاصد فاسدة : وهي المقاصد الصادة عن السعادة الاخروية والحياة الابدية ، والصادة سبيل العلم والعمل فهو اذن محمود ومذموم بالاضافة الى المقصودين ، فالظواهر الذامة محمولة على صورة كونه وسيلة الى مقاصد فاسدة والمادحة على صورة كونه وسيلة الى مقاصد صحيحة ولما كانت الطبايع مائلة الى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله وكان المال مسهلا لها وآلة اليها عظم الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية فاستعاذ طوائف الانبياء والاولياء من شره حتى قال نبينا (ص) : اللهم اجعل قوت آل محمد كفافاً . وقال صلى الله عليه وآله : اللهم احيني مسكيناً وامتني مسكيناً .

فصل

الامور المنجية من غوائل المال

من اراد النجاة من غوائل المال فليحافظ على امور (الاول) ان يعرف مقصود المال وباعث خلقه وعلة الاحتياج اليه ، حتى لايكتسب ولا يحفظ الا قدر حاجته

(الثاني) ان يراعي جهة دخله فيجتنب الحرام والمشتبه والجهات المكروهة القادحة في المروة والحرية : كالهدايا المشوبة بالرشوة ، والسؤال الذي فيه الانكسار والذلة (الثالث) ان يراعي جهة الخرج ويقتصد في الانفاق غير مبذر ولا مقتر . قال الله تعالى : والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما . وقال النبي (ص) : ما عال من اقتصد .

ثم للاقتصاد في المطعم والملبس والمسكن درجات ثلاث ادنى واوسط واعلى وربما كان الميل الى الاولى احرى واولى ليدخل في زمرة المخفين يوم القيمة (الرابع) ان يضع ما اكتسبه من حله في حقه ولايضعه في غير حقه ، فان الاثم في الاخذ من غير حله والوضع في غير حقه سواء (الخامس) ان يصلح نيته في الاخذ والترك والانفاق والامساك فيأخذ ما يأخذ استعانة به على ما خلق لاجله ، ويترك ما يترك زهدا فيه واستحقاراً له واجتناباً عن وزره وثقله ، واذا فعل ذلك لم يضره وجوده . قال امير المؤمنين (ع) : لو ان رجلا اخذ جميع ما في الارض واراد به وجه الله فهو زاهد ، ولو ترك الجميع ولم يرد به وجه الله فليس بزاهد .

الزهد

ضد حب الدنيا والرغبة اليها : هو الزهد ، وهو الا يريد الدنيا بقلبه ويتركها بجوارحه الا بقدرضرورة بدنه ، وبعبارة اخرى هو الاعراض عن متاع الدنيا وطيباتها من الاموال والمناصب وسائر ما يزول بالموت . والزهد احد منازل الدين واعلى

مقامات السالكين . قال الله سبحانه : فخرج على قومه في زينته (الى قوله) وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير . فنسب الزهد الى العلماء ووصف اهله با لعلم وهو غاية المدح . وقال : ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ، ورزق ربك خير وابقى . وقال : ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب .

وقال رسول الله (ص) : من اصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه امره ، وفرق عليه ضيعته ، وجعل فقره بين عينيه ، ولم يؤته من الدنيا الا ما كتب له ، ومن اصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه ، وحفظ عليه ضيعته ، وجعل غناه في قلبه ، واتته الدنيا وهي راغمة . وقال ص : اذا رايتم العبد قد اعطى صمتاً وزهداً في الدنيا فاقتربوا منه فا نه يلقي الحكمة . وقال (ص) : من اراد ان يؤتيه الله علما بغير تعلم ، وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا . وقال (ص) : ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس . وقال (ص) - لامير المؤمنين - « ع » : ياعلي من عرضت له دنياه وآخرته فاختار الآخرة و ترك الدنيا فله الجنة ، ومن اختار الدنيا استخفافاً بآخرته فله النار . وقال « ص » : سيكون بعدي قوم لا يستقيم لهم الملك الا با لقتل والتجبر ، ولا الغنى الا با لفخر والبخل ، ولا المحبة الا با تباع الهوى الا فمن ادرك ذلك الزمان منكم فصبر على الفقر و هو يقدر على الغناء ، وصبر للبغضاء وهو يقدر على المحبة ، وصبر على الذل وهو يقدر على العز ، لا يريد بذلك الا وجه الله ، اعطاه الله ثواب خمسين صديقا .

وقال (ص) بعد ما سئل عن معنى شرح الصدر للاسلام : ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل يا رسول الله وهل لذلك من علامة ? قال:

نعم ، التجافي عن دار الغرور ، والانابة الى دار الخلود ، و الاستعداد للموت قبل نزوله . و قال صلى الله عليه وآله وسلم : استحيوا من الله حق الحياء . قالوا : انا لنستحيي منه تعالى . قال : فلم تبنون ما لا تسكنون ، وتجمعون ما لا تأكلون ؟ وروى انه قدم عليه بعض الوفود ، وقالوا : انا مؤمنون ، قال : وما علامة ايمانكم ؟ فذكروا الصبر عند البلاء ، والشكر عند الرخاء ، والرضى بمواقع القضاء ، وترك الشماتة بالمصيبة اذا نزلت بالاعداء ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : ان كنتم كذلك فلا تجمعوا ما لا تأكلون ، ولا تبنوا ما لا تسكنون ، ولا تنافسوا فيما عنه ترحلون ، فجعل الزهد من مكملات ايمانهم .

وقال « ص » : من جاء بلا اله الا الله لايخلط معها غيرها وجبت له الجنة . وفسر غيرها بحب الدنيا وطلبها . وقال « ص » : من زهد في الدنيا ادخل الله الحكمة قلبه ، فانطق بها لسانه ، وعرفه داء الدنيا ودوائها ، واخرجه منها سالماً الى دار السلام .

وروى : ان بعض زوجاته بكت مما رأت به من الجوع ، وقالت له يا رسول الله : الا تستطعم الله فيطعمك ، فقال : والذي نفسي بيده لو سألت ربي ان يجري معي جبال الدنيا ذهبا لاجراها حيث شئت من الارض ، و لكني اخترت جوع الدنيا على شبعها ، وفقر الدنيا على غنائها ، وحزن الدنيا على فرحها ، ان الدنيا لاتنبغي لمحمد ولا لآل محمد ، ان الله لم يرض لاولى العزم من الرسل الا الصبر على مكروه الدنيا ، والصبر عن محبوبها ، ثم لم يرض لي الا ان يكلفني مثل ما كلفهم ، فقال : فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ، والله ما لي بد من طاعته ، واني والله لاصبرن كما صبروا بجهدي ولا قوة الا بالله . و قال « ص » : لا يستكمل العبد الايمان

حتى يكون الا يعرف احب اليه من ان يعرف ، وحتى يكون قلة الشيء احب اليه من كثرته . وقال « ص » : اذا اراد الله بعبد خيراً زهده في الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره بعيوب نفسه . وقال « ص » : من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ، ومن خاف من النار لها عن الشهوات ، ومن ترقب الموت ترك اللذات ، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات . وقال « ص » : ان ربي عزوجل عرض علي ان يجعل لي بطحاء مكة ذهباً فقلت : لا يا رب ولكن اجوع يوماً واشبع يوماً . فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذي اشبع فيه فاحمدك واثنى عليك .

وروى انه صلى الله عليه وآله وسلم خرج ذات يوم يمشي ومعه جبرائيل فصعد على الصفا فقال له رسول الله (ص) : يا جبرائيل والذي بعثك بالحق ما امسى لآل محمد كف سويق ولاسفة دقيق فلم يتم كلامه باسرع من ان سمع هدة من السماء افزعته ، فقال رسول الله (ص) : امر الله القيامة ان تقوم ؟ قال لا ولكن هذا اسرافيل ﴿ع﴾ قد نزل اليك حين سمع كلامك ، فاتاه اسرافيل ﴿ع﴾ فقال ان الله عزوجل سمع ما ذكرت فبعثني بمفاتيح الارض . وامرني ان اعرض عليك ان احببت ان اسير معك جبال تهامة زمرداً وياقوتاً وذهباً وفضة فعلت ، وان شئت نبيا ملكا ، وان شئت نبيا عبداً فاومأ اليه جبرائيل : ان تواضع لله ، فقال : نبيا عبداً ثلاثا .

وقال (ص) قال الله تعالى ان من اغبط اوليائي عندي رجلا خفيف الحال ، ذا حظ من صلاة ، احسن عبادة ربه بالغيب وكان غامضاً في الناس ، جعل رزقه كفافا فصبر عليه ، عجلت منيته فقل تراثه وقل بواكيه .

وعن علي بن الحسين قال مر رسول الله (ص) براعي ابل فبعث يستسقيه. فقال اما مافي ضروعها فصبوح الحي واما مافي آنيتنا فغبوقهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله اللهم كثر ماله وولده ، ثم مر براعي غنم فبعث اليه يستسقيه ، فحلب له مافي ضروعها واكفأ مافي انائه في اناء رسول الله (ص) وبعث اليه بشاة وقال : هذا ما عندنا وان احببت ان نزيدك زدناك ، قال : فقال رسول الله (ص) اللهم ارزقه الكفاف ، فقال له بعض اصحابه : يارسول الله دعوت للذي ردك بدعاء عامتنا نحبه ، ودعوت للذي اسعفك بحاجتك بدعاء كلنا نكرهه ، فقال رسول الله (ص) : انما قل وكفى خير مما كثر والهى ، اللهم ارزق محمداً وآل محمد الكفاف .

وقال اميرالمؤمنين عليه السلام الناس ثلاثة زاهد ، وصابر ، وراغب ، فاما الزاهد فقد خرجت الاحزان والافراح من قلبه فلا يفرح بشيء من الدنيا ولا يأسى على شيء منها فاته ، فهو مستريح ؛ واما الصابر فانه يتمناها بقلبه فاذا نال منها الجم نفسه عنها بسوء عاقبتها وشنائتها ، ولو اطلعت على قلبه لعجبت من عفته وتواضعه وحزمه ؛ واما الراغب فلا يبالي من اين جائته الدنيا من حلها او حرامها ولا يبالي ما دنس فيها عرضه واهلك نفسه واذهب مروته ، فهم في غمرتهم يعمهون ويضطربون

وقال (ع) ان من اعون الاخلاق على الدين الزهد في الدنيا

وقال (ع) : من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا : عرف الله فاطاعه وعرف الشيطان فعصاه ، وعرف الدنيا فتركها ، وعرف الآخرة فطلبها ، وعرف الباطل فاتقاه ، وعرف الحق فاتبعه ،

وقال عليه السلام : من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ومن خاف النار لها عن الشهوات ومن ترقب الموت ترك اللذات ومن زهد في الدنيا

هانت عليه المصيبات .

وقال (ع) ان علامة الراغب في ثواب الآخرة زهده في عاجل زهرة الدنيا ، اما ان زهد الزاهد فيهذه الدنيا لا ينقصه مما قسم الله عزوجل له فيها وان زهد ، وان حرص الحريص على عاجل زهرة الدنيا لايزيده فيها وان حرص فالمغبون من حرم حظه من الآخرة .

وقال علي بن الحسين (ع) : ما من عمل بعد معرفة الله عزوجل ومعرفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم افضل من بغض الدنيا .

وقال الباقر (ع) : اكثر ذكر الموت فانه لم يكثر انسان ذكر الموت الازهد في الدنيا . وقال (ع) : قال الله تعالى : وعزتي وجلالي وعظمتي وبهائي وعلو ارتفاعي لايؤثر عبد مؤمن هواي على هواه في شيء من امر الدنيا الا جعلت غناه في نفسه ، وهمته في آخرته ، وضمنت السموات والارض رزقه ، وكنت له من وراء تجارة كل تاجر . وقال (ص) : اعظم الناس قدراً من لايناول الدنيا في يد من كانت ، فمن كرمت عليه نفسه صغرت الدنيا في عينيه ، ومن هانت عليه نفسه كبرت الدنيا في عينيه .

وقال الصادق (ع) : جعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا وقال (ع) ما كان شيء احب الى رسول الله صلى الله عليه وآله من ان يظل خائفاً جائعاً في الله تعالى . وقال « ع » : اذا اراد الله بعبد خيراً زهده في الدنيا ، وفقهه في الدين ، وبصره عيوبها ، ومن اوتيهن فقد اوتي خير الدنيا والآخرة . وقال « ع » لم يطلب احد الحق بباب افضل من الزهد في الدنيا ، وهو ضد لما طلب اعداء الحق قلت جعلت فداك : مما ذا ؟ قال : من الرغبة فيها . وقال(ع): الا من صبار كريم ، فانما

هي ايام قلائل ، الا انه حرام عليكم ان تجد واطعم الايمان حتى تزهد وافي الدنيا وقال « ع » الزهد مفتاح باب الآخرة ، والبراءة من النار ، وهو تركك كل شيء يشغلك عن الله من غير تأسف على فوتها ولا اعجاب في تركها ولا انتظار فرج منها ولا طلب محمدة عليها ولاعوض منها ، بل يرى فوتها راحة وكونها آفة ، ويكون ابدا هاربا من الآفة معتصما بالراحة ، والزاهد الذي يختار الآخرة على الدنيا والذل على العز والجهد على الراحة والجوع على الشبع وعافية الآجل على محبة العاجل والذكر على الغفلة ، وتكون نفسه في الدنيا وقلبه في الآخرة .

وقال الرضا « ع » من اصبح وامسى معافي في بدنه آمنا في سربه عنده قوت يومه فكانما خيرت له الدنيا .

ثم ان الغنى الحاصل من الحلال مع بذل ما يفضل عن اقل مرتبته في المصارف اللائقة ومساواة وجوده وعدمه عنده ، صاحبه سالم من الآفات والاخطار ، وغير ذلك من اقسامه لايخلو عن آفة اوخطر . وحبه بعض افراد حب الدنيا بل هو راجع الى حب المال بعينه ، فيدل على ذمه ما ورد في ذمها ، وقد ورد في ذمه بخصوصه بعض من الآيات والأخبار . قال الله سبحانه ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى وقيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اي امتك اشر ؟ قال الاغنياء . وقال « ص » لبلال الق الله فقيراً ولاتلقه غنياً ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم يدخل فقراء امتي الجنة قبل اغنيائهم بخمسمائة عام ، وقال « ص » اطلعت على الجنة فرايت اكثر اهلها الفقراء ، واطلعت على النار فرأيت اكثر اهلها الاغنياء « وفي طريق آخر » فقلت اين الاغنياء ؟ فقال حبسهم الجد واوحى الله تعالى الى موسى اذا

رأيت الفقر مقبلا فقل مرحباً بشعار الصالحين ، واذا رأيت الغني مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته .

وروى انه ما من يوم الا وملك ينادي من تحت العرش يا إبن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك ، و قال عيسى «ع» بشدة يدخل الغني الجنة قال الله سبحانه للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم وقال للفقراء الذين احصروا في سبيل الله ساق الله سبحانه الكلام في معرض المدح . وقدم وصفهم بالهجرة والاحصار . وفيه دلالة جلية على مدح الفقر .

وقال رسول الله (ص) : خير هذه الامة فقراؤها ، واسرعها تصعداً في الجنة ضعفاؤها . وقال (ص) : اللهم احيني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين . وقال : ان لي حرفتين اثنتين فمن احبهما فقد احبني ومن ابغضهما فقد ابغضني : الفقر ، والجهاد وقال (ص) : الفقر ازين للمؤمنين من العذار الحسن على خد الفرس .

وسئل عن الفقر ؟ فقال : خزانة من خزائن الله . وسئل عنه ثانياً ؟ فقال : كرامة من الله . وسئل عنه ثالثاً ؟ فقال : شيء لا يعطيه الله الا نبيا مرسلا ، اومؤمناً كريماً على الله . وقال (ص) : ان في الجنة غرفة من ياقوتة حمراء ، ينظر اليها اهل الجنة كما ينظر اهل الارض الى نجوم السماء ، لا يدخل فيها الا نبي فقير ، او مؤمن فقير . وقال (ص) يقوم فقراء امتي يوم القيامة وثيابهم خضر ، وشعورهم منسوجة بالدر والياقوت ، وبايديهم قضبان من نور يخطبون على المنابر ، فيمر عليهم الانبياء فيقولون هؤلاء من الملائكة ، وتقول الملائكة هؤلاء من الانبياء ، فيقولون نحن لا ملائكة ، ولا انبياء ، بل من فقراء امة محمد (ص) فيقولون بم نلتم هذه

الكرامة ؟ فيقولون لم تكن اعمالنا شديدة ، ولم نصم الدهر ولم نقم الليل ، ولكن اقمنا على الصلوة الخمس ، واذا سمعنا ذكر محمد فاضت دموعنا على خدودنا . وقال « ص » كلمني ربي ، فقال يا محمد اذا احببت ، عبداً اجعل له ثلاثة اشياء قلبه حزيناً وبدنه سقيماً ، ويده خالية من حطام الدنيا ، واذا ابغضت عبدا اجعل له ثلاثة اشياء قلبه مسروراً ، وبدنه صحيحاً ، ويده مملوة من حطام الدنيا . وقال « ص » الناس كلهم مشتاقون الى الجنة ، والجنـة مشتاقة الى الفقراء . وقال « ص » الفقر فخري وقال « ص » تحفة المؤمن في الدنيا الفقر . وقال « ص » يؤتي با لعبد يوم القيامة فيعتذر الله تعالى اليه كما يعتذر الاخ الى اخيه في الدنيا ، فيقول وعزتي وجلالي ما زويت الدنيا عنك لهوانك علي ، ولكن لما اعددت لك من الكرامة والفضيلة ، اخرج يا عبدي الى هذه الصفوف فمن اطعمك في ، او كساك في يريد بذلك وجهي فخذ بيده فهو لك ، والناس يومئذ قد الجمهم العرق ، فيتخلل الصفوف وينظر من فعل ذلك به ويدخله الجنة . وقال « ص » اكثروا معرفة الفقراء ، واتخذوا عندهم الايادي ، فانه لهـم دولة قالوا يا رسول الله وما دولتهم ؟ قال اذا كان يوم القيمة ، قيل لهم انظروا الى من اطعمكم كسرة ، اوسقاكم شربة ، اوكسـاكم ثوباً ، فخذوا بيده ثم امضوا به الى الجنـة . وقال « ص » الا اخبركم بملوك اهل الجنة ؟ قالوا بلى يا رسول الله ، قال كل ضعيف مستضعف اغبر اشعث ذي طمرين لا يؤبه به ، لو اقسم على الله لابره .

ودخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على رجل فقير ، ولم ير له شيئاً فقال لو قسم نور هذا على اهل الارض لوسعهم . وقال « ص » اذا ابغض الناس

فقراءهم واظهروا عمارة الدنيا وتكادوا على جمع الدراهم والدنانير رماهم الله باربع خصال ، با لقحط من الزمان ، والجور من السلطان ، و الجناية من ولاة الحكام ، والشوكة من الاعداء ، وورد من طريق اهل البيت عليهم السلام ان الله تعالى اذا احب عبداً ابتلاه ، فاذا احبه الحب البالغ اقتناه ، قيل وما اقتناه ؟ قال لم يترك له اهلا ولا مالا .

وقال امير المؤمنين « ع » وكل الرزق با لحمق ، ووكل الحرمان با لعقل ، ووكل البلاء با لصبر .

وقال الباقر « ع » اذا كان يوم القيمة امر الله تعالى مناديا ينادي بين يديه اين الفقراء ؟ فيقوم عنق من الناس كثير ، فيقول عبادي ، فيقولون لبيك ربنا فيقول اني لم افقركم لهون بكم علي ، ولكن انما اخترتكم لمثل هذا اليوم ، تصفحوا وجوه الناس فمن صنع اليكم معروفاً لم يصنعه الا في فكافوه عني في الجنة .

وقال الصادق (ع) : لولا الحاح المؤمنين على الله في طلب الرزق ، لنقلهم من الحال التي هم فيها الى حال اضيق منها ، وقال (ع) : ليس لمصاص شيعتنا في دولة الباطل الا القوت ، شرقوا ان شئتم او غربوا لن ترزقوا الا القوت : وقال (ع) : ما كان من ولد آدم مؤمن الا فقيراً ولا كافر الا غنياً ، حتى جاء ابراهيم (ع) فقال : ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا ، فصير الله في هؤلآء اموالا وحاجة وفي هؤلآء اموالا وحاجة ، وقال (ع) ان فقرآء المؤمنين يتقلبون في رياض الجنة قبل اغنيآئهم باربعين خريفا ، ثم قال : ساضرب لك مثل ذلك : انما مثل سفينتين مر بهما على عاشر فنظر في احديهما فلم ير فيها شيئا ، فقال : اسربوها ، ونظر في الاخرى فاذا هي موقرة فقال : احبسوها . وفي بعض الاخبار فسر الخريف :

بالف عام والعام بالف سنة ، وعلى هذا فيكون المراد من اربعين خريفا اربعين الف الف عام . وقال (ع) : المصائب منح من الله والفقر مخزون عند الله : اى المصائب عطا يامن الله يعطيها عباده ، والفقر من جملتها مخزون عنده عزيز لايعطيه الا من خصه بمزيد العناية . وقال (ع) : ان الله عزوجل يلتفت يوم القيامة الى فقرآء المؤمنين شبيها بالمعتذر اليهم ، فيقول : وعزّتي وجلالي ما افقرتكم في الدنيا من هوان بكم علي ، ولترون ما اصنع بكم اليوم فمن زود منكم في دار الدنيا معروفاً فخذوا بيده فادخلوه الجنة ، قال فيقول : رجل منهم يارب ان اهل الدنيا تنافسوا في دنياهم فنكحوا النساء ، ولبسوا الثياب اللينة ، واكلوا الطعام ، وسكنوا الدور وركبوا المشهور من الدواب ، فاعطني مثل ما اعطيتهم ، فيقول تبارك وتعالى : لك ولكل عبد منكم مثل ما اعطيت اهل الدنيا منذ كانت الدنيا الى ان انقضت الدنيا سبعون ضعفا وقال (ع) : ان الله جل ثناؤه ليعتذر الى عبده المؤمن المحوج في الدنيا كما يعتذر الاخ الى اخيه ، فيقول : وعزّتي وجلالي ما احوجتك في الدنيا من هوان كان بك علي فارفع هذا السجف فانظر الى ما عوضتك من الدنيا قال : فيرفع ، فيقول ما ضرني ما منعتني مع ما عوضتني ، وقال (ع) : اذا كان يوم القيامة قام عنق من الناس حتى ياتوا باب الجنة فيضربوا باب الجنة ، فيقال لهم من انتم ؟ فيقولون : نحن الفقرآء فيقال لهم : اقبلوا الحساب فيقولون : ما اعطيتمونا شيئا حتى تحاسبونا عليه ، فيقول الله عزوجل : صدقوا ادخلوا الجنة .

وقال (ع) لبعض اصحابه : اما تدخل للسوق ؟ اما ترى الفاكهة تباع والشيء

مما تشتهيه ؟ فقلت : بلى فقال اما ان لك بكل ما تراه فلا تقدر على شراه حسنة

وقال الكاظم « ع » : ان الله عزوجل يقول اني لم اغن الغنى لكرامة به علي ولم افقر الفقير لهوان به علي وهو مما ابتليت به الاغنياء بالفقراء ولو لا الفقراء لم يستوجب الاغنياء الجنة ، وقال « ع » ان الانبياء واولاد الانبياء واتباع الانبياء خصوا بثلاث خصال السقم في الابدان ، وخوف السلطان ، والفقر ٠

وقال الرضا « ع » من لقي فقيراً مسلماً وسلم عليه خلاف سلامه على الغنى لقى الله يوم القيامة وهو عليه غضبان ، وقال « ع » الفقر شين عند الناس ، وزين عند الله يوم القيامة ٠

وقال موسى « ع » في بعض مناجاته الهي من احباؤك من خلقك حتى احبهم لاجلك ؟ فقال كل فقير ٠

وقال عيسى « ع » ان احب الاسامى الى ان يقال يا مسكين

وقال بعض الصحابة : ملعون من اكرم بالغني ، وأهان بالفقير .

وقال لقمان لابنه لا تحقرن احداً لخلقان ثيابه ، فان ربك وربه واحد .

ومما يدل على فضيلة الفقر اذا كان مع الرضى والقناعة او الصبر او الصدق او الستر قوله صلى الله عليه وآله : يا معشر الفقرآء اعطوا الله الرضى من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم ، فان لم تفعلوا فلا ثواب لكم . وقوله « ص » ان احب العباد الى الله الفقير القانع برزقه الراضي عن الله تعالى وقوله (ص) لا احد افضل من الفقير اذا كان راضياً وقوله (ص) : يقول الله تعالى يوم القيامة اين صفوتي من خلقي ؟ فيقول الملئكة من هم ياربنا ؟ فيقول فقرآء المسلمين القانعين

بعطائى الراضين بقدري ، ادخلوهم الجنة ، فيدخـلونها ويأكلون ويشربون ، والناس في الحساب يترددون . وقوله « ص » ما من احد غني ولا فقير الا ود يوم القيامة انه كان اوتى قوتا في الدنيا . وقوله « ص » طوبى للمساكين بالصبر وهم الذين يرون ملكوت السموات والارض . وقوله « ص » من جاع او احتاج فكتمه عن الناس وافشاه الى الله تعالى كان حقاً على الله ان يرزقه رزق السنة من الحلال ، وقوله « ص » ان لكل شيء مفتاحا ، ومفتاح الجنة حب المساكين والفقرآء الصبر ، وهم جلسآء الله يوم القيامة وما روى ان الله اوحى الى اسماعيل « ع » : اطلبني عند المنكسرة قلوبهم من اجلي ، قال ومن هم ؟ قال الفقرآء الصادقون .

وقال رسول الله « ص » لاميرالمؤمنين « ع » ياعلي ان الله جعل الفقر امانة عند خلقه فمن ستره اعطاه الله تعالى مثل اجر الصائم القائم ، ومن افشاه الى من يقدر على قضاء حاجته فلم يفعل فقد قتله ، اما انه ما قتله بسيف ولا برمح ولكنه قتله بما نكأ من قلبه .

وينبغي ، للفقير ان لا يكون كارهاً للفقر من حيث انه فعل الله ، ومن حيث انه فقر ، بل يكون راضياً به طالباً له فرحانا به لعلمه بغوائل الغنى ، وان يكون متوكلا في باطنه على الله واثقا به في اتيان قدر ضرورته ، ويكون قانعاً به كارهاً للزيادة عليه ، منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت الى ما في ايديهم وغير حريص على اكتساب المال كيف كان ، وان يكون صابراً شاكراً على فقره

قال اميرالمؤمنين عليه السلام ان لله عقوبات بالفقر ومثوبات بالفقر ، فمن علامات الفقر اذا كان مثوبة ان يحسن عليه خلقه ويطيع به ربه ولا يشكو حاله

ويشكر الله تعالى على فقره ، ومن علاماته اذا كان عقوبته ان يسوء عليه خلقه ويعصي ربه بترك طاعته ويكثر الشكاية ويتسخط بالقضاء ، وهذا يدل على ان كل فقير ليس مثابا على فقره بل من يرضى بفقره ويفرح به ويقنع بالكفاف ويقصر الامل ، وان لم يرض به وتشوف الى الكثرة وطول الامل وفاته عز القناعة وتدنس بذل الحرص والطمع الى مساوى الاخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروات حبط اجره وكان آثماً قلبه .

وينبغي ، ان يظهر التعفف ويستر الفقر ويستر انه يستر والا يخالط الاغنياء ولا يرغب في مجالستهم ولا يتواضع لهم لاجل غناهم ، بل يتكبر عليهم .

قال اميرالمؤمنين (ع) : ما احسن تواضع الغني للفقير رغبة في ثواب الله واحسن منه تيه الفقير على الغني ثقة بالله . وان لا يسكت عن ذكر الحق مداهنة للاغنياء وطمعاً بما في ايديهم ، ولا يفتر بسبب فقره عن عبادة الله ، ويبذل قليل ما يفضل عنه فان ذلك جهد المقل وفضله اكثر من اموال كثيرة يبذلها الغني .

قال رسول الله (ص) : درهم من الصدقة افضل عند الله من مائة الف دينار قيل : وكيف ذلك يا رسول الله قال : اخرج رجل من عرض ماله مئة الف دينار يتصدق بها ، واخرج رجل درهما من درهمين لا يملك غيرهما طيبة به نفسه ، فصار صاحب الدرهم افضل من صاحب مائة الف دينار .

وينبغي ان لا يدخر ازيد من قدر الحاجة ، فان لم يدخر اكثر من قوت يومه وليلته فهو من الصديقين ، وان لم يدخر اكثر من قوت اربعين يوما كان من المتقين وان لم يدخر اكثر من قوت سنة وهو الفصل المشترك بين

الفقر والغنى كان من الصالحين ، ولو زاد عليه خرج من زمرة الفقراء .

وصل

لايجوز السؤال من غير حاجة

ينبغي للمؤمن الا يسأل الناس من غير حاجة اضطر اليها ، بل يستعف عن السؤال ما استطاع لانه فقر معجل وحساب طويل يوم القيامة ، والاصل فيه التحريم لتضمنه الشكوى من الله واذلال السائل نفسه عند غير الله ، وايذاء المسؤل غالباً اذ ربما لم تسمح نفسه بالبذل عن طيب القلب وبعد السؤال الجاه الحياء اوالرياء اليه ، ومعلوم ان العطاء استحياء اورياء لئلا ينقص جاهه عند الناس بنسبتهم اياه الى البخل لايكون له حلية شرعاً ، ولتضمنه هذه المفاسد ورد في الشريعة المنع منه .

قال رسول الله (ص) : مسألة الناس من الفواحش . وقال (ص) : من سئل عن ظهر غنى فانما يستكثر من جمرجهنم ، ومن سئل وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ووجهه عظم يتقعقع ليس عليه لحم . وقال (ص) : من سئل الناس وعنده قوت ثلاثة ايام لقي الله يوم يلقاه وليس على وجهه لحم . وقال (ص) : ما من عبد فتح على نفسه باباً من المسئلة الا فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر . وقال « ص » : ان المسئلة لاتحل الا لفقر مدقع او غرم مفظع . وقال « ص » : السؤال عن ظهر غنى صداع في الرأس وداء في البطن . وقال « ص » : من سئل الناس اموالهم تكثراً فانما هي جمرة فليستقل منه اوليستكثر .

وروى : انه جائت نخذ من الانصار الى رسول الله « ص » : فسلموا عليه فرد عليهم السلام ، فقالوا يا رسول الله : ان لنا اليك حاجة ، فقال : هاتوا حاجتكم ، فقالوا : انها حاجة عظيمة ، فقال هاتوها ما هي ؟ قالوا : تضمن لنا على ربك الجنة فنكس رأسه ثم نكت في الارض ثم رفع رأسه فقال : افعل ذلك بكم على ان لاتسئلوا احداً شيئاً ، فكان الرجل منهم يكون في السفر فيسقط سوطه فيكره ان يقول لانسان : نا ولنيه فراراً من المسئلة وينزل فيا خذه ، ويكون على المائدة ويكون بعض الجلساء اقرب الى الماء منه فلا يقول : نا ولني حتى يقوم فيشرب . وبايع «ص» قوماً على الاسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة ثم قال « ص » لهم خفية : ولاتسألوا الناس شيئاً ، فكان بعد ذلك تقع المخفرة من يداحدهم فينزل لها ، ولا يقول لاحد ناولنيها . وكان « ص » يامر غالباً بالتعفف عن السؤال ، ويقول : من سئلنا اعطيناه ومن استغنى اغناه الله ، ومن لم يسألنا فهو احب الينا . وقال « ص » : وما قل من السؤال فهو خير ، قالوا : ومنك يا رسول الله ؟ قال : لو ان احدكم اخذ حبلا فيأتي بحزمة حطب على ظهره فيبيعها ويكف بها وجهه ، خير له من ان يسئل .

وقال سيد الساجدين عليه السلام : ضمنت على ربي انه لايسأل احد احداً من غير حاجة الا اضطرته المسئلة يوماً الى ان يسال من حاجة . ونظر عليه السلام يوم عرفه الى رجال ونساء يسئلون ، فقال : هؤلاء شرار خلق الله ، الناس مقبلون على الله ، وهم مقبلون على الناس .

وقال الباقر عليه السلام : اقسم بالله وهو حق ما فتح رجل على نفسه باب مسئلة الا فتح الله عليه باب فقر .

وقال الصادق ﴿ع﴾ : طلب الحوائج الى الناس استلاب للعز مذهبة للحياء ، واليأس مما في ايدي الناس عز للمؤمن في دينه والطمع هو الفقر الحاضر . وقال ﴿ع﴾ لو يعلم السائل ما عليه من الوزر ما سئل احد احداً ، ولو يعلم المسؤل ما عليه اذا منع ما منع احد احداً ، وقال من سئل من غير حاجة فكانما يأكل الجمر .

ثم المنع والتحريم

انما هو في السؤال بدون الاضطرار فلاريب في جوازه ، وقد وردت به الرخصة . قال الله سبحانه واما السائل فلا تنهر . وقال رسول الله ﴿ص﴾ لاتردوا السائل ولو بشق تمرة . وقال صلى الله عليه وآله وسلم لولا ان السائل يكذب ما قدس من رده . وقال ﴿ص﴾ للسائل حق وان جاء على الفرس . وقال ﴿ص﴾ لاتردوا السائل ولو بظلف محترق .

الحرص

وهو معنى راتب في النفس باعث على جمع ما لا يحتاج اليه ولا يفيده من الاموال ، من دون ان ينتهي الى حد يكتفي به ، وهو اقوى شعب حب الدنيا واشهر انواعه .

قال رسول الله (ص) : لوكان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى ورائهما ثالثاً ،

ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ، ويتوب الله على من تاب ، وقال (ص) : منهومان لايشبعان : منهوم العلم ومنهوم المال . وقال (ص) : يشيب ابن آدم وتشيب فيه خصلتان الحرص وطول الامل .

وقال ابو جعفر الباقر (ع) : مثل الحريص على الدنيا كمثل دودة القز كلما ازدادت على نفسها لفا كان ابعدلها من الخروج حتى تموت غماً .

وقال الصادق (ع) ان فيما نزل به الوحي من السماء لو ان لابن آدم واديين يسيلان ذهباً وفضة لابتغي لهما ثالثاً ، يابن آدم انما بطنك بحر من البحور وواد من الاودية لايملأه شيء الا التراب .

وقال بعض الاكابر من عجيب امر الانسان انه لونودي بداوم البقاء في ايام الدنيا لم يكن في قوى خلقته من الحرص على الجمع اكثر مما قد استعمله مع قصر مدة التمتع وتوقع الزوال .

ثم ماورد من الاخبار في ذمه اكثر من تحصى ، ولا حاجة الى ايرادها لاشتهارها .

وقال الباقر (ع) رب حريص على امر قدشقي به حين اتاه ، ورب كاره لامر قد سعد به حين اتاه ، واي خسران اشد من ان يسعى الانسان في طلب به هلاكه واي تأمل في ان كلما يحرص عليه الانسان من اموال الدنيا يكون مهلكا له .

وصل ـ القناعة

ضد الحرص القناعة وهي ملكة للنفس توجب الاكتفاء بقدر الحاجة والضرورة من المال ، من دون سعي وتعب في طلب الزائد عنه وهي صفة فاضلة .

ولذلك ورد في مدح القناعة ما ورد من الاخبار . قال رسول الله (ص) : طوبى لمن هدى للاسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به . وقال (ص) : مامن احد من غنى ولا فقير الاود يوم القيامة انه كان اوتى قوتاً في الدنيا . وقال (ص) : ايها الناس اجملوا في الطلب ، فانه ليس للعبد الا ما كتب له في الدنيا ، ولن يذهب عبد من الدنيا حتى ياتيه ما كتب له في الدنيا وهي راغمة . وقال (ص) : نفث روح القدس في روعي ، انه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها ، فاتقوا الله واجملوا في الطلب . وقال (ص) : كن ورعاتكن اعبد الناس ، وكن قانعاً تكن اشكر الناس ، واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا .

وفي الخبر القدسي : يا بن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا انا اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا اليك محسن .

وروي : ان موسى سأل ربه تعالى وقال اي عبادك اغنى ؟ قال اقنعهم بما اعطيته .

وقال اميرالمومنين عليه السلام ابن آدم ان كنت تريد من الدنيا ما يكفيك فان ايسر ما فيها يكفيك ، وان كنت انما تريد ما لايكفيك فان كل ما فيها لا يكفيك .

وقال ابو جعفر الباقر ﴿ع﴾ اياك ان تطمح بصرك الى من هو فوقك ، فكفى بما قال الله عزوجل لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم ﴾ وقال ﴿ ولاتمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجاً منهم زهرة الحيوة الدنيا ﴾ فان دخلك من ذلك شيء فاذكر عيش رسول الله ﴿ص﴾ فانما كان قوته الشعير ،

وحلواه التمر ، ووقوده السعف اذا وجده . وقال ﴿ص﴾ من قنع بما رزقه الله فهو من اغنى الناس .

وقال الصادق ﴿ع﴾ من رضي من الله باليسير من المعاش رضي الله عنه باليسير من العمل ومن رضي باليسير من الحلال خفت مؤنته وزكت مكسبته وخرج من حد الفجور . وقال مكتوب في التوراة ابن آدم كن كيف شئت كما تدين تدان ، من رضى من الله بالقليل من الرزق قبل الله منه اليسير من العمل ، وقال ان الله عزوجل يقول يحزن عبدي المؤمن ان قترت عليه وذلك اقرب له مني ، ويفرح عبدي المؤمن ان وسعت عليه وذلك ابعد له مني .

وقال كلما ازداد العبد ايمانا ازداد ضيقاً في معيشته .

والأخبار الواردة في فضيلة القناعة اكثر من ان تحصى وما اوردناه كاف لاهل البصيرة .

(فصل علاج الحرص)

طريق المعالجة في ازالة الحرص وتحصيل القناعة : ان يتذكر اولا ما في القناعة من المدح والشرافة وعز النفس وفضيلة الحرية ، وما في الحرص من الذم والمهانة وتحمل الذلة ومتابعة الشهوة ، ويعرف انه من لا يؤثر عز النفس على شهوة البطن فهو قليل العقل ناقص الايمان .

ثم يتذكر ما في جمع المال من الآفات الدنيوية والعقوبات الاخروية ،

ويعتمد على فضل الله ووعده بان الرزق الذي قدر له يأتيه وان لم يكن حريصاً ولا مضطربا لاجله ولا يعلم لنفسه مدخلا يأتي رزقه منه .

قال الله تعالى : وما من دابة في الارض الا على الله رزقها . وقال و من يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب .

وقال رسول الله (ص) : ابى الله ان يرزق عبده المؤمن الا من حيث لا يحتسب .

ثم ينبغي الا ينظر الى من هو فوقه بل ينظر الى من هو دونه في التنعم وفي مال الدنيا ، فان الشيطان يصرف نظره في امر الدنيا الى من هو فوقه ، ويقول : لم تفتر عن طلب الدنيا وارباب الاموال يتنعمون في المطاعم والملابس ويصرف نظره في امر الدين الى من هو دونه ، ويقول لم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان اعلم منك و لا يخاف الله .

وقال ابو ذر : اوصاني خليلي رسول الله ان انظر الى من هو دوني لا الى من هو فوقي في الدنيا .

وقال رسول الله (ص) : اذا نظر احدكم الى من فضله الله عليه في المال والخلق فلينظر الى من هو اسفل منه .

الطمع

وهو التوقع من الناس في اموالهم ، وهو ايضا من شعب حب الدنيا ، ومن انواعه ومن الرذائل المهلكة . قال رسول الله (ص) : اياك والطمع ، فانه

الفقر الحاضر . وقال امير المؤمنين (ص) : استغن عمن شئت تكن نظيره ، وارغب الى من شئت تكن اسيره ؛ واحسن الى من شئت تكن اميره . وقال الباقر (ع) : بئس العبد عبد له طمع يقوده ، وبئس العبد عبد له رغبة تذله . وقيل للصادق (ع) ما الذي يثبت الايمان في العبد ؟ قال : الورع ، والذي يخرجه منه الطمع والاخبار في ذم الطمع كثيرة ، وكفى به ذما ان كل طامع يكون ذليلا مهيناً عند الناس وان وثوقه بالناس واعتماده عليهم اكثر من وثوقه بالله ، اذ لوكان اعتماده على الله اكثر من اعتماده على الناس لم يكن نظره اليهم ، بل لم يطمع من احد شيئاً الا من الله سبحانه وتعالى .

وصل

الاستغناء عن الناس

ضد الطمع هو الاستغناء عن الناس ، وهو من الفضائل الموجبة لتقرب العبد الى الله سبحانه اذ من استغنى بالله عن غير الله احبه الله ، والاخبار الآمرة بالاتصاف به والمادحة له كثيرة .

قال رسول الله (ص) : ليس الغنى عن كثرة العروض ، انما الغنى غنى النفس . وقال (ص) لاعرابي طلب منه موعظة اذا صليت فصل صلاة مودع ، ولاتحدثن بحديث تعتذر منه غداً ، واجمع اليأس عما في ايدي الناس . وقال (ص) عليك باليأس ، عما في ايدي الناس ؛ فانه الغني الحاضر .

وقال امير المؤمنين عليه السلام : ليجتمع في قلبك الافتقار الى الناس

والاستغناء عنهم فيكون افتقارك اليهم في لين كلامك وحسن بشرك ، ويكون استغناؤك عنهم في نزاهة عرضك وبقاء عزك .

وقال سيد الساجدين : (ع) رأيت الخير كله قد اجتمع في قطع الطمع عما في ايدي الناس ، ومن لم يرج الناس في شيء ورد امره الى الله تعالى في جميع اموره استجاب الله تعالى له في كل شيء .

وقال الباقر عليه السلام : سخاء المرء عما في ايدي الناس اكثر من سخاء النفس والبذل ، ومروة الصبر في حال الفاقة والحاجة والتعفف والغنى اكثر من مروة الاعطاء وخير المال الثقة بالله واليأس مما في ايدي الناس . وقال ﴿ع﴾ : اليأس مما في ايدي الناس عز المؤمن في دينه .

وقال الصادق ﴿ع﴾ : شرف المؤمن قيام الليل ، وعزه استغناؤه عن الناس وقال ﴿ع﴾ : شيعتنا من لا يسئل الناس ولو مات جوعاً . وقال ﴿ع﴾ ثلاث هن فخر المؤمن وزينته في الدنيا والآخرة الصلاة في آخر الليل ، ويأسه مما ايدي الناس وولايته للامام من آل محمد عليهم السلام . وقال : ﴿ع﴾ اذا اراد احدكم الا يسئل ربه شيئاً الا اعطاه فلييأس من الناس كلهم ، ولا يكون له رجاء إلا عند الله ، فاذا علم الله ذلك من قلبه لم يسئل الله شيئاً الا اعطاه .

ثم طريق العلاج فى قطع الطمع وكسب الاستغناء قريب مما ذكر فى علاج ازالة الحرص وتحصيل القناعة فتذكر .

البخل

وهو الامساك حيث ينبغى البذل كما ان الاسراف هو البذل حيث ينبغى

الامساك وكلاهما مذمومان ، والمحمود هو الوسط : وهو الجود والسخاء ، قال تعالى : ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ﴾ وقال تعالى : ﴿ والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً ﴾ . فالجود وسط بين الاقتار والاسراف ، وبين البسط والقبض : وهو تقدير البذل والامساك بقدر الواجب اللائق ولا يكفي في تحقق الجود والسخاء ان يفعل ذلك بالجوارح ما لم يكن قلبه طيباً غير منازع له فيه ، فان بذل في محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يضايرها فهو متسخ وليس بسخي ، بل ينبغي ان لا يكون لقلبه علاقة مع المال الا من حيث يراد المال له : وهو صرفه الى ما يجب او ينبغي صرفه اليه .

فصل - ذم البخل

البخل من ثمرات حب الدنيا ونتائجه ، وهو من خبائث الصفات ورذائل الاخلاق .

ولذا ورد ما ورد في ذمه من الآيات والأخبار قال الله سبحانه ﴿ الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ، ويكتمون ما آتاهم الله من فضله ﴾ . وقال تعالى : ﴿ ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم ، بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ﴾ .

وقال رسول الله ﴿ ص ﴾ : اياكم والشح فانه اهلك من كان قبلكم ، حملهم على ان سفكوا دماءهم ، واستحلوا محارمهم . وقال (ص) لايدخل الجنة بخيل ، ولاخب

ولا خائن، ولا سيء الملكة . وقال (ص) : البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار، وجاهل سخي احب الى الله من عابد بخيل ، وادوى الداء البخل وقال (ص) : الموبقات ثلاث : شح مطاع ، وهوى متبع ، واعجاب المرء بنفسه . وقال (ص) : ان الله يبغض الشيخ الزاني، والبخيل المنان، والمعيل المختال . وقال (ص) اياكم والشح فانما هلك من كان قبلكم بالشح ، امرهم بالكذب فكذبوا ، وامرهم بالظلم فظلموا ، وامرهم بالقطيعة فقطعوا . وقال (ص) : البخل شجرة تنبت في النار فلا يلج النار الا بخيل . وقال : خلق البخل من مقته وجعل رأسه راسخاً في اصل شجرة الزقوم ودلى بعض اغصانها الى الدنيا ، فمن تعلق بغصن منها ادخله النار ، الا ان البخل من الكفر والكفر في النار . وقتل في الجهاد رجل من اصحاب رسول الله (ص) ، فبكته باكية ، وقالت : واشهيداه ، فقال النبي (ص) : ما يدريك انه شهيد فلعله كان يتكلم بما لا يعنيه ، او يبخل بما لا ينقصه . وقال (ص) ان الله يبغض البخيل في حياته « الحديث » . وقال (ص) : السخي الجهول احب الى الله عزوجل من العابد البخيل . وقال : الشح والايمان لايجتمعان في قلب واحد ، وقال ايضا : خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق . وقال (ص) لاينبغي للمؤمن ان يكون بخيلا ولا جبانا . وقال (ص) : يقول قائلكم الشحيح اعذر من الظالم واي ظلم اظلم عند الله من الشح ؟ حلف الله بعزته وعظمته وجلاله لايدخل الجنة شحيح ولا بخيل . وقال : اللهم اني اعوذ بك من البخل .

وروى انه (ص) كان يطوف بالبيت ، فاذا رجل متعلق باستار الكعبة ، وهو يقول : بحرمة هذا البيت الا غفرت لي ذنبي ، قال رسول الله (ص) :

وما ذنبك ؟ صفه لي ، قال : هو اعظم من ان اصفه لك ، قال : ويحك ذنبك اعظم ام الارضون ؟ قال : بل ذنبي يا رسول الله ، وقال (ص) : ويحك ذنبك اعظم ام الجبال ؟ قال : بل ذنبي يا رسول الله ، قال (ص) : فذنبك اعظم ام البحار ؟ قال بل ذنبي يا رسول الله ، قال (ص) : فذنبك اعظم ام السموات ؟ قال : بل ذنبي يا رسول الله ، قال : ذنبك اعظم ام العرش ؟ قال : بل ذنبي يا رسول الله ، قال : ذنبك اعظم ام الله ؟ قال : بل الله اعظم واعلى واجل ، قال ويحك فصف لي ذنبك قال : يا رسول الله اني رجل ذو ثروة من المال ، وان السائل ليأتيني ليسئلني فكانما يستقبلني بشعلة من النار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اليك عني لا تحرقني بنارك ، فو الذي بعثني بالهداية والكرامة لوقمت بين الركن والمقام ثم صليت الفي الف عام وبكيت حتى تجري من دموعك الانهار وتسقي بها الاشجار ، ثم مت وانت لئيم لا كبك الله في النار ، ويحك اما علمت ان الله يقول : ﴿ ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ﴾ ﴿ ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ﴾ .

وقال امير المؤمنين (ع) : سيأتي على الناس زمان عضوض يعض المؤمن على ما في يديه ، ولم يؤمر بذلك قال الله تعالى : ولا تنسوا الفضل بينكم .

وروى : انه مامن صباح الا وقد وكل الله تعالى ملكين يناديان : اللهم اجعل لكل ممسك تلفا ، ولكل منفق خلفا .

والأخبار في ذم البخل اكثر من ان تحصى ، مع ان تضمنه للمفاسد الدنيوية والاخروية مما يحكم به الوجدان ، ولا يحتاج الى دليل وبرهان ، حتى ان النظر الى البخيل يقسي القلب ، ومن كان له صفاء سريرة يكرب قلبه ويظلم من ملاقاته

وقد قيل : ابخل الناس بماله اجودهم بعرضه ، .

ضد البخل - السخاء

وقد عرفت معناه وهو من ثمرة الزهد ، كما ان البخل من ثمرة حب الدنيا فينبغي لكل سالك لطريق الآخرة ان يكون حاله القناعة ان لم يكن له مال ، والسخاء واصطناع المعروف ان كان له مال ، ولا ريب في كون الجود والسخاء من شرائف الصفات ومعالي الأخلاق ، وهو اصل من اصول النجاة واشهر اوصاف النبيين ، واعرف اخلاق المرسلين . وما ورد في مدحه خارج عن حد الاحصاء .

قال رسول الله (ص) : السخاء شجرة من شجر الجنة اغصانها متدلية الى الارض ، فمن اخذ منها غصنا قاده ذلك الغصن الى الجنة .

وقال : (ص) ان السخاء من الايمان ، والايمان في الجنة . وقال (ص) : السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يلج الجنة الا سخي . وقال الله سبحانه : ان هذا دين ارتضيته لنفسي ، ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما استطعتم وقال (ص) : ما جعل الله اوليائه الا على السخاء وحسن الخلق . وقال (ص) : ان من موجبات المغفرة : بذل الطعام ، وافشاء السلام ، وحسن الكلام . وقال (ص) ان السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار . وقال (ص) تجافوا عن ذنب السخي فان الله آخذ بيده كلما عثر . وقال (ص) : طعام الجواد دواء ، وطعام البخيل داء . وقال (ص) : افضل الاعمال الصبر والسماحة .

وقال . (ص) : خلقان يحبهما الله وهما حسن الخلق والسخاء . وقال (ص) : ان الله جواد يحب الجود ويحب معالي الأخلاق ، ويكره سفاسفها . وقال (ص) : الرزق الى مطعم الطعام اسرع من السكين الى ذروة البعير ، وان الله تعالى ليباهي بمطعم الطعام الملائكة عليهم السلام . وقال (ص) : ان لله عباداً يخصهم بالنعم لمنافع العباد ، فمن بخل بتلك المنافع عن العباد نقلها الله عنه وحولها الى غيره . وقال (ص) الجنة دار الأسخياء . وقال (ص) : لشاب سخي مرهق في الذنوب احب الى الله من شيخ عابد بخيل . وقال . (ص) : اصنع المعروف الى من هو اهله والى من ليس باهله ، فان اصبت اهله فقد اصبت اهله وان لم تصب اهله فانت من اهله . وقال (ص) : ان بدلاء امتي لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ، ولكن دخلوها بسخاء الانفس وسلامة الصدور والنصح للمسلمين . وقال (ص) : ان الله عزوجل جعل للمعروف وجوهاً من خلقه ، حبب اليهم المعروف وحبب اليهم فعاله ، ووجه طلاب المعروف اليهم ويسر عليهم اعطائه ، كما يسر الغيث الى البلدة الجدبة فيحيها ويحيي بها اهلها . وقال (ص) السخي محبب في السموات ومحبب في الارضين ، خلق من طينة عذبة وخلق ماء عينيه من ماء الكوثر ، والبخيل مبغض في السموات مبغض في الأرضين ، خلق من طينة سبخة وخلق ماء عينيه من ماء العوسج . وقال (ص) : ان افضل الناس ايماناً ابسطهم كفاً . وقال (ص) : يؤتى يوم القيامة برجل ، فيقال : احتج ، فيقول : يارب خلقتني وهديتني واوسعت علي فلم ازل اوسع على خلقك وانشر عليهم لكي تنشر على هذا اليوم رحمتك وتيسره ، فيقول : الرب تعالى ذكره صدق عبدي ادخلوه الجنة .

وروي : انه اتى النبي (ص) وفد من اليمن وفيهم رجل كان اعظمهم كلاماً واشدهم استقصاء في محاجة النبي « ص » ، حتى التوى عرق الغضب بين عينيه وتربد وجهه و اطرق الى الأرض ، فأتاه جبرئيل « ع » ، فقال : ربك يقرئك السلام ، ويقول لك : هذا رجل سخي يطعم الطعام ، فسكن عن النبي « ص » الغضب ورفع رأسه ، وقال : لولا ان جبرئيل اخبرني عن الله عز وجل : انك سخي تطعم الطعام لشردت بك وجعلتك حديثاً لمن خلفك ، فقال له الرجل : ان ربك يحب السخاء ، فقال : نعم ، فقال : اني اشهد ان لااله الا الله وانك رسول الله والذي بعثك بالحق لارددت عن مالي احداً ، وقال « ص » : كل معروف صدقة وكل ما انفق الرجل على نفسه واهله كتب له صدقة ، وما وقى المرء به عرضه فهو له وصدقة ، وما انفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفها ، وقال « ص » كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله تعالى يحب اغاثة اللهفان .

وروى : انه اوحى الله الى موسى « ع » : لا تقتل السامري فهو سخي .

وقال عيسى « ع » : استكثروا من شيء لاتأكله النار ، قيل وما هو ؟ قال المعروف .

وقال امير المؤمنين « ع » : ومن يبسط يده بالمعروف اذا وجده يخلف الله له ما انفق في دنياه ويضاعف له في آخرته .

وقال الباقر « ع » : ان الشمس لتطلع ومعها اربعة املاك ، ملك ينادي يا صاحب الخير اتم وابشر ، وملك ينادي يا صاحب الشر انزع واقصر ، وملك ينادي اعط منفقاً خلفاً وآت ممسكا تلفاً ، وملك ينضح الارض بالماء ولو لا ذلك

اشتعلت الارض .

وقال الصادق « ع » لبعض جلسائه : الا اخبرك بشيء تقرب به من الله وتقرب من الجنة وتباعد من النار ؟ فقال بلى ، فقال : عليك بالسخاء . وقال : خياركم سمحائكم ، وشراركم بخلائكم .

ومن خالص الايمان : البر بالاخوان والسعي في حوائجهم ، وان البار بالاخوان ليحبه الرحمن ، وفي ذلك مرغمة للشيطان وتزحزح عن النيران ودخول الجنان

وقال الكاظم « ع » : السخي الحسن الخلق في كنف الله لا يستخلي الله منه حتى يدخله الجنة ، وما بعث الله نبياً ولا وصياً الا سخياً ولا كان احد من الصالحين الأسخياء ، وما زال ابي يوصيني بالسخاء حتى مضى .

تنبيه ـ الايثار

ارفع درجات الجود والسخاء الايثار وهو ان يجود بالمال مع الحاجة اليه . قال الله تعالى في معرض الثناء على اهل الايثار ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة

وقال رسول الله « ص » : ايما امرؤ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر له ، وكان الايثار من شعار رسول الله « ص » ، ولقد قالت بعض زوجاته : انه « ص » ما شبع ثلاثة ايام متوالية حتى فارق الدنيا ولو شئنا لشبعنا ولكننا كنا نؤثر على انفسنا .

وروى : ان موسى بن عمران قال يا رب ارني بعض درجات محمد وامته قال : يا موسى انك لن تطيق ذلك ، لكني اريك منزلة من منازله جليلة عظيمة

فضلته بها عليك وعلى جميع خلقي . قال : فكشف له عن ملكوت السموات فنظر الى منزلة كادت ان تتلف نفسه من انوارها وقربها من الله ، فقال يا رب بما ذا بلغت به الى هذه الكرامة ؟ قال تعالى : بخلق اختصصته به من بينهم وهو : الايثار ، يا موسى : لا يأتي احد منهم قد عمل به وقتاً من عمره الا استحييت من محاسبته وبوأته من جنتي حيث يشاء .

وسئل الصادق (ع) اي الصدقة افضل ؟ قال (ع) جهد المقل ، اما سمعت قول الله عزوجل ﴿ ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ وايثار علي (ع) غيره في جميع الاوقات من عمره مشهور في الكتب مسطور ، ولقد آثر حياة رسول الله (ص) على حياته ليلة المبيت فباهى الله به الملائكة ، وانزل فيه ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله ، ولقد كان الخواص من شيعته والمقتدون به في سنته وسيرته يجتهدون في المحافظة على هذه الفضيلة مها امكن .

تذنيب

اعلم ان بيذل الاموال وانفاقها المترتب على صفة الجود والسخاء يتناول اموراً بعضها واجب وبعضها مندوب ، وقد ورد في فضيلة كل منها بخصوصه اخبار فلابد لنا ان نشير الى ذلك تأكيداً لبيان فضل السخاء ، والى بعض ما لها من الآداب والدقائق الباطنة ، ونحيل ما لها من الاحكام والشروط الظاهرة الى كتب الفقه فنقول اما الامور الواجبة .

فاولها : الزكاة

والآيات والأخبار الواردة في ذم تاركها ومدح فاعلها كثيرة .

قال الله سبحانه : فاقيموا الصلوة وآتوا الزكاة ، وقال تعالى : والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ، ومعنى الانفاق في سبيل الله اخراج الزكاة كما ورد عن اهل البيت عليهم السلام واجمع عليه المفسرون .

وقال رسول الله (ص) : اذا منعت الزكاة منعت الارض بركاتها .

وقال الباقر (ع) : ان الله عز وجل قرن الزكاة بالصلوة قال فاقيموا الصلوة وآتوا الزكاة ، فمن اقام الصلوة ولم يوت الزكاة فلم يقم الصلوة .

وقال الصادق (ع) : ما من ذي مال ذهب او فضة يمنع زكاة ماله الاحبسه الله يوم القيامة بقاع قرقر وسلط عليه شجاعاً اقرع يريده وهو يحيد عنه ، فاذا راى انه لايتخلص منه امكنه من يده فقضمها كما يقضم الفجل ، ثم يصير طوقاً في عنقه ، وذلك قول الله تعالى : سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ، وما من ذى مال ابل او غنم اوبقر يمنع زكاة ماله الا حبسه الله يوم القيامة بقاع قرقر تطاه كل ذات ظلف بظلفها وتنهشه كل ذات ناب بنابها . وما من ذى مال نخل او كرم اوزرع يمنع زكاتها الا طوقه الله تعـــالى ربعة ارضه الى سبع ارضين الى يوم القيامة .

وقال عليه السلام : ما فرض الله على هذه الامة شيئاً اشـد عليهم من الزكاة ، وفيها

تهلك عامتهم . وقال (ع) : من منع قيراطاً من الزكوة فليس بمؤمن ولا مسلم وهو قوله تعالى : قال ﴿ رب ارجعون لعلي اعمل صالحاً فيما تركت ﴾ . وقال (ع) انما وضعت الزكاة اختباراً للاغنياء ومعونة للفقراء ، ولو ان الناس ادوا زكاة اموالهم ما بقي مسلم فقيراً محتاجاً ولا ستغنى بما فرض الله له ، وان الناس ما افتقروا ولا احتاجوا ولا جاعوا ولا عروا الا بذنوب الاغنياء ، وحقيق على الله ان يمنع رحمته ممن منع حق الله في ماله ، واقسم بالذي خلق الخلق وبسط الرزق انه ما ضاع مال في بر ولا بحر الا بترك الزكاة ، وما صيد صيد في بر ولا بحر الا بتركه التسبيح في ذلك اليوم ، وان احب الناس الى الله تعالى اسخاهم كفاً ، واسخى الناس من ادى زكاة ماله ولم يبخل على المؤمنين بما افترض الله لهم في ماله . وقال (ع) ان الزكاة ليس يحمد بها صاحبها ، وانما هو شيء ظاهر حقن بها دمه وسمي بها مسلما ولو لم يؤدها لم تقبل له صلاة . والاخبار في فضل الزكاة وذم تاركها اكثر من ان تحصى وما ذكرناه كاف لايقاظ الطالبين .

فصل

فضيلة اعلان الصدقة الواجبة

الصدقة الواجبة اعني الزكاة اعلانها افضل من اسرارها ان كان في اظهارها ترغيب للناس في الاقتداء وامن من تطرق الرياء ولم يكن الفقير بحيث يستحيي من اخذها علانية . قال الصادق (ع) : كلما فرض الله عليك فاعلانه افضل من اسراره

وكلما كان تطوعا فاسراره افضل من اعـلانه ، ولو ان رجلا حمل زكاة ماله على عاتقه علانية كان ذلك حسنا جميلا . وقال في قوله تعالى : وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم : هي ما سوى الزكاة فان الزكاة علانية غير سر . فلو دخل في نفسه الرياء مع الاظهار ، او كان الفقير يستحيي من اخذها علانية ، كان الاسرار بها افضل ، اما الاول فظاهر ، واما الثاني فاما روى : انه قيل لابي جعفر الباقر (ع) الرجل من اصحابنا يستحيي من ان ياخذ من الزكاة فاعطيه من الزكاة ولا اسمى له انها من الزكاة ، فقال : اعطه ولاتسم له ولا تذل المؤمن .

فصل

ذم المن والأذى في الصدقة

ينبغي للمتصـدق ان يجتنب عن المن والاذى ، قال الله سبحانه : لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى . وقال : قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى. وقال رسول الله (ص) : ان الله تبارك وتعالى كره لي ست خصال وكرهتهن للاوصياء من ولدي واتباعهم من بعدي : العبث في الصلوة ، والرفث في الصوم ، والمن بعد الصدقة ، واتيان المساجد جنبا ، والتطلع في الوفد ، والضحك بين القبور والمن ان يرى نفسه محسناً ، ومن ثمراتها الظاهرة : الاظهار بالانفاق والتحدث به وطلب المكافاة منه بالشكر والخدمة والتعظيم والمتابعـة في الامور والاذى التعيير والتوبيخ والاستخفاف والاستخدام والقول السيء وتقطيب الوجه وهتك الستر .

ثم معرفة الاذى ظاهرة وكذا معرفة الثمرات الظاهرة للمن ، واما المن الباطني اي رؤية نفسه محسناً فيعرف بان يكون استبعاده من خيانة القابض بعد العطاء اكثر من استبعاده منه قبله .

قال امير المؤمنين (ع) : ومن علم ان ما صنع انما صنع الى نفسه لم يستبطي الناس في شكرهم ، ولم يستزدهم في مودتهم ، فلا تلتمس من غيرك شكر ما اتيت الى نفسك ووقيت به عرضك ، واعلم ان الطالب اليك لحاجة لم يكرم وجهه عن وجهك فاكرم وجهك عن رده .

ومما ينبغي للمعطي ان يستصغر العطية ليعظم عند الله ، وان استعظمها صغرت عند الله ، وان ينفق الاجود .

قال الصادق (ع) : رأيت المعروف لايصلح الا بثلاث خصال : تصغيره ، وتستيره ، وتعجيله ، فانت اذا صغرته عظمته عند من تصنعه اليه ، واذا سترته تممته ، واذا عجلته هنأته ، وان كان غير ذلك محقته ونكدته . ولعظم فائدة انفاق الأجود الاحب وقبح انفاق الرديء الاخس قال الله تعالى : انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الأرض ، ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ، ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه : اي لاتأخذونه الامع كراهية وحياء وهو معنى الاغماض وما هذا شأنه عندكم فلا تؤثروا به ربكم . وقال : سبحانه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون .

ومما ينبغي له ان يغني الفقير اذا قدر ، وفي الخبر : اذا اعطيته فاغنه . وان

يقبل يده بعد الأعطاء ، لانه يقع في يد الله تعالى اولا ، قال امير المؤمنين (ع) اذا ناولتم السائل فليرد الذي ناوله يده الى فيه فيقبلها ، فان الله عزوجل يأخذ الصدقات . وقال النبي (ص) : ما تقع صدقة المؤمن في يد السائل حتى تقع في يد الله ثم تلا هذه الآية (الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ، ويا خذ الصدقات) وقال الصادق (ع) ان الله تعالى يقول : مامن شيء الا وقد وكلت به من يقبضه غيري ، الا الصدقة فاني اتلقفها بيدي تلقفــاً ، حتى ان الرجل ليتصدق بالتمرة او بشق تمرة فاربيها له كما يربي الرجـل فلوه وفصيله ، فتاتي يوم القيمة وهي مثل احد واعظم من احد ، وان يلتمس الدعاء من الفقير ، لان دعائه يستجاب فيه . كما روى ان علي بن الحسين عليه السلام كان يقول للخادم : امسك قليلا حتى يدعو فان دعوة السائل الفقير لاترد وانه (ع) كان يأمر الخادم اذا اعطي السائل ان يامره ان يدعو بالخير ، وعن احدهما عليها السلام : اذا اعطيتموهم فلقنوهم الدعاء ، فانه يستجاب لهم فيكم ، ولا يستجاب لهم في انفسهم . وما قيـل : من ان ارباب القلوب لايتوقعون الدعاء من القابض لأنه شبيه المكافاة ، وكانوا يقابلون الدعاء بمثله ولو ارسلوا معروفاً الى فقير ، قالوا للرسول : احفظ ما يدعو به ليردوا عليـه مثل قوله ، خلاف طريقة أئمتنا الراشدين عليهم السلام ، فلا اعتبار به عندنا .

ومما ينبغي له ايضاً ان يصرف الصدقات الى من يكثر باعطائه الاجر : كاهل الورع ، والعلم وارباب التقوى والصدق والكاملين بالايمان والتشيع ، قال رسول الله (ص) لا يأكل طعامك الا تقي . وقال (ص) : اطعموا طعامكم الأتقياء . وقال (ص) اضف بطعامك من تحبه في الله ، والاولى من الكل : الاقارب واولوا الارحام من

اهل الاحتياج ، فان الانفاق عليهم صدقة وصلة وفى صلة الرحم من الثواب ما لا يخفي ، قال امير المؤمنين (ع) : لان آصل اخا من اخواني بدرهم احب الى من ان اتصدق بعشرين درهما ولان آصله بعشرين درهما احب الى من ان اتصدق بمائة درهم ، ولان آصله بمائة درهم احب الى من ان اعتق رقبه ، وفي خبر : آخر لاصدقة وذو رحم محتاج ، الصدقة بعشرة ، والقرض بثمانية عشر ، وصلة الاخوان بعشرين ، وصلة الرحم با ربعة وعشرين . وفي الخبر ان افضل الصدقات والصلاة : الانفاق على ذي الرحم الكاشح ، يعني المبغض ، وكانه لمخالفة الهوى وصدوره عن الخلوص والتقوى .

فصل

(ما ينبغي للفقراء في اخذ الصدقة)

ينبغي للفقير الآخذ ان يعلم ان الله تعالى اوجب صرف المال اليه ليكفي مهمته فيتجرد للعبادة والاستعداد للموت ، فينبغي ان يتاهب لذلك ولا يصرفه عنه فضول الدنيا ، ويشكر الله على ذلك ، ويشكر المعطي فيدعو له ويثنى عليه مع رؤية النعمة من الله سبحانه قال رسول الله (ص) : من لم يشكر الناس لم يشكر الله . وقال الصادق (ع) : لعن الله قاطعي سبيل المعروف ، قيل : وما هم ؟ قال الرجل يصنع اليه المعروف فيكفره ، فيمنع صاحبه من ان يصنع ذلك الى غيره وقال اميرالمؤمنين (ع) : من صنع بمثل ما صنع اليه فانما كافاه ومن ضعفه كان شكوراً ومن شكر كان كريماً .

تتميم ـ زكاة الابدان

اعلم انه كما في المال زكاة ، فكذلك للبدن زكاة : وهو نقصه لتزيد الخير والبركة لصاحبه وهذا النقص اما ان يكون اختيارا بان يصرف في الطاعة ويمنع عن المعصية او اضطراراً بان يصاب بمرض وآفة . قال رسول الله (ص) يوماً لاصحابه : ملعون كل مال لايزكي ملعون كل جسد لايزكي ولو في كل اربعين يوماً مرة ، قيل له يارسول الله اما زكاة المال فقد عرفنا ها فما زكاة الأجساد ؟ قال (ص) : ان يصاب بآفة ، فتغيرت وجوه الذين سمعوا منه ذلك فلما رآهم قد تغيرت الوانهم ، قال : هل تدرون ما عنيت بقولي ؟ فقالوا : لا يا رسول الله ، قال ان الرجل يخدش الخدشة وينكب النكبة ، ويعثر العثرة ، ويمرض المرضة ، ويشاك الشوكة ، وما اشبه هذا حتى ذكر في حديثه اختلاج العين . وقال (ص) لكل شيء زكاة ، وزكاة الابدان الصيام . وقال الصادق (ع) : على كل جزء من اجزائك زكاة واجبة لله عز وجل ، بل على كل منبت شعر من شعرك ، بل على كل لحظة من لحاظك زكاة ، فزكاة العين النظرة بالعبرة والغض عن الشهوات وما يضاهيها ، وزكاة الاذن استماع العلم والحكمة والقرآن وفوائد الدين من الموعظة والنصيحة وما فيه نجاتك ، وبالأعراض عما هوضده من الكذب والغيبة واشباهها ، وزكاة اللسان النصح للمسلمين والتيقظ للغافلين وكثرة التسبيح والذكر وغيرها ، وزكاة اليد البذل والعطاء والسخاء بما انعم الله عليك به وتحريكها بكتابة العلم ومنافع ينتفع بها المسلمون في طاعة الله تعالى والقبض

عن الشر ، وزكاة الرجل السعي في حقوق الله من زيارة الصالحين ومجالس الذكر واصلاح الناس وصلة الارحام والجهاد وما فيه صلاح قلبك وسلامة دينك .

وثانيها - الخمس

وقد فرضه الله تعالى على عباده صونا لذرية نبيه صلى الله عليه وآله عن الافتقار ، وتنزيها لهم عن الصدقات التي هي اوساخ الناس ، فقال سبحانه : واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير ، والمستفاد من الآية ان مانع الخمس لا ايمان له . وقال امير المؤمنين (ع) : هلك الناس في بطونهم وفروجهم ، لانهم لا يؤدون الينا حقنا ولا ريب في عظم الثواب والاجر في ادائه وايصاله الى اهله . وكيف لا وهو اعانة ذرية الرسول (ص) ، وقضاء حوائجهم ، وقد قال رسول الله (ص) : حقت شفاعتي لمن اعان ذريتي بيده ولسانه وماله . وقال (ص) : اربعة انا لهم شفيع يوم القيمة المكرم لذريتي ، والقاضي لهم حوائجهم ، والساعي لهم في امورهم عندما اضطروا اليه والمحب لهم بقلبه ولسانه . وقال (ص) : من اصطنع الى احد من اهل بيتي يداً كافيته يوم القيامة وعن الصادق (ع) : قال اذا كان يوم القيامة نادى مناد ايها الخلائق انصتوا فان محمداً يكلمكم ، فتنصت الخلائق ، فيقوم النبي (ص) فيقول : يا معشر الخلائق من كانت له عندي يد اومنة اومعروف فليقم حتى اكافيه

فيقولون بآبائنا وامهاتنا واي يدواى منة واى معروف لنا ، بل اليد والمنة والمعروف لله ولرسوله على جميع الخلائق ، فيقول لهم : بلى من آوى احداً من اهل بيتي او برهم ، او كساهم من عري ، او اشبع جائعهم فليقم حتى اكافيه ، فيقوم اناس قد فعلوا ذلك ، فيأتي النداء من عند الله : يا محمد يا حبيبي قد جعلت مكافاتهم اليك فاسكنهم من الجنة حيث شئت ، قال : فيسكنهم في الوسيلة حيث لا يحجبون عن محمد واهل بيته صلوات الله عليهم .

وثالثها

الانفاق على الاهل والعيال والتوسع عليهم

وهو ايضاً من الواجبات على النحو المقرر في كتب الفقه ، وما ورد في مدحه وعظم اجره اكثر من ان يحصى .

قال رسول الله (ص) : الكادعلى عياله كالمجاهد في سبيل الله ، وقال (ص) : خيركم خيركم لاهله ، وقال (ص) : المؤمن يأكل بشهوة اهله ، والمنافق يأكل اهله بشهوته وقال (ص) : افضل الصدقة صدقة عن ظهر غنى ، وابدأ بمن تعول ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، ولا يلوم الله على الكفاف . وقال (ص) : دينار انفقته على اهلك ، ودينار انفقته في سبيل الله ، ودينار انفقته في رقبة ، ودينار تصدقت به على مسكين ، واعظمها اجراً : الدينار الذي انفقته على اهلك ، وقال (ص) ما انفق الرجل على اهله فهو صدقة ، وان الرجل ليوجر في رفع اللقمة الى فم امرأته ، وقال(ص)

من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم بطلب المعيشة . وقال (ص) : من كانت له ثلاث بنات فانفق عليهن واحسن اليهن حتى يغنيهن الله عنه . اوجب الله تعالى له الجنة ، الا ان يعمل عملا لا يغفر الله له . وقال (ص) يوماً لاصحابه : تصدقوا ، فقال رجل : ان عندي ديناراً ، قال : انفقه على نفسك ، فقال : ان عندي آخر ، قال : انفقه على زوجتك ، قال : ان عندي اخر ، قال : انفقه على ولدك ، قال : ان عندي اخر ، قال : انفقه على خادمك ، قال : ان عندي اخر ، قال (ص) : انت ابصر به . وقال (ص) : ملعون ملعون من القى كله على الناس . ملعون ملعون من ضيع من يعوله .

وقال السجاد (ع) : ارضاكم عند الله : اسبغكم على عياله . وقال (ع) : لئن ادخل السوق ومعي دراهم ابتاع لعيالي لحماً وقد قرموا اليه احب الى من ان اعتق نسمة .

وقال الصادق (ص) : كفى بالمرء اثما ان يضيع من يعوله . وقال (ص) : من سعادة الرجل ان يكون القيم على عياله . وقال الكاظم (ع) : ان عيال الرجل اسراؤه ، فمن انعم الله عليه نعمة فليوسع على اسرائه ، فان لم يفعل او شك ان تزول النعمة .

وقال ابو الحسن الرضا (ع) : ينبغي للرجل ان يوسع على عياله لئلا يتمنوا موته . وقال (ع) : صاحب النعمة يجب عليه التوسعة على عياله .

واما الامور المستحبة من الانفاق الداخلة تحت السخاء فاولها .

صدقة التطوع

وفضلها عظيم ، وفوائدها الدنيوية والاخروية كثيرة . قال رسول الله (ص) : تصدقوا ولو بتمرة ، فانها تسد من الجائع وتطفىء الخطيئة كما يطفئ الماء النار وقال (ص) : اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فان لم تجدوا فبكلمة طيبة . وقال (ص) : ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب - ولا يقبل الله الا طيباً - الا كان الله آخذها بيمينه فيربيها له كما يربي احدكم فصيله حتى تبلغ التمرة مثل احد . وقال (ص) : ما احسن عبد الصدقة الا احسن الله عزوجل الخلافة على تركته . وقال (ص) : كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضي بين الناس . وقال (ص) : ارض القيامة نار ما خلا ظل المؤمن ، فان صدقته تظله . وقال (ص) : ان الله لا آله الا هو ليدفع بالصدقه الداء ، والدبيلة ، والحرق ، والغرق ، والهدم ، والجنون ، وعد سبعين باباً من الشر . وقال (ص) : صدقة السر تطفىء غضب الرب عزوجل . وقال (ص) : اذا اطرقكم سائل ذكر بالليل فلا تردوه وفائدة التخصيص بالذكر والليل ان من يسئلك ليلا في صورة الانسان يحتمل ان يكون ملكا اتاك للامتحان .

كما روى انه سبحانه اوحى الى موسى بن عمران ان وقال يا موسى اكرم السائل ببذل يسير او برد جميل ، انه يأتيك من ليس بانس ولا جان بل ملائكة من ملئكة الرحمن يبلونك فيما خولتك ويسئلونك فيما نولتك فانظر كيف انت صانع يا ابن عمران .

ولذلك حث رسول الله (ص) على عدم رد السائل . وقال : اعط السائل ولو على ظهر فرس . وقال (ص) : لا تقطعوا على السائل مسئلته ، فلولا ان المساكين يكذبون ما افلح من ردهم .

وقال الباقر عليه السلام : البر والصدقة ينفيان الفقر ويزيدان فى العمر ويدفعان عن صاحبهما سبعين ميتة سوء .

وقال الصادق (ع) : داووا مرضاكم بالصدقة ، وادفعوا البلاء بالدعاء ، واستنزلوا الرزق بالصدقة ، فانها تفك من بين لحي سبعمائة شيطان ، وليس بشيء اثقل على الشيطان من الصدقة على المؤمن ، وهي تقع في يد الرب تعالى قبل ان تقع في يد العبد . وقال (ص) : الصدقة باليد تقي ميتة السوء ، وتدفع سبعين نوعاً من البلاء وتفك عن لحى سبعين شيطاناً كلهم يامره الا يفعل . وقال (ص) : يستحب للمريض ان يعطي السائل بيده ، ويامره ان يدعو له . وقال (ع) : باكروا بالصدقة فان البلاء لا يتخطاها ، ومن تصدق بصدقة اول النهار رفع الله عنه شر ما ينزل من السماء فى ذلك اليوم ، فان تصدق اول الليل دفع الله شر ما ينزل من السماء فى تلك الليلة وكان (ع) اذا اعتم – اى صلى العتمة – وذهب من الليل شطره ، اخذ جراباً فيه خبز ولحم ودراهم فحمله على عنقه ، ثم ذهب به الى اهل الحاجة من اهل المدينة فقسمه فيهم ولا يعرفونه ، فلما مضى ابو عبد الله (ع) فقدوا ذلك فعلموا انه كان ابا عبد الله (ع) ، وسئل (ع) عن السائل يسئل ولا يدري ما هو ؟ فقال : اعط من اوقع فى قلبك الرحمة . وقال (ع) فى السؤال اطعموا ثلاثة وان شئتم ان تزدادوا فازدادوا والا فقد اديتم حق يومكم . وعنه (ع) : في الرجل يعطي غيره الدراهم يقسمها ، قال : يجري له من الاجر مثل ما يجري

للمعطي ، ولا ينقص من اجره شيئاً ، ولو ان المعروف جرى على سبعين يد لاوجروا كلهم من غير ان ينقص من اجر صاحبه شيء .

وقد وردت اخبار كثيرة في فضل تصدق الماء وثوابه ، قال اميرالمؤمنين (ع) اول ما يبدأ به في الاخرة صدقة الماء : يعني في الاجر ، وقال ابو جعفر (ع) : ان الله يحب ابراد الكبد الحراء ، ومن سقى الماء كبداً حراء من بهيمة وغيرها اظله الله في ظل عرشه يوم لاظل الا ظله . وقال الصادق (ع) من سقى الماء في موضع يوجد فيه الماء كان كمن اعتق رقبة ، ومن سقى الماء فى موضع لايوجد فيه الماء كان كمن احيي نفساً ، ومن احيي نفساً فكانما احيي الناس جميعاً .

وثانيها ـ الهدية

وهي ما يعطي ويرسل الى اخيه المسلم فقيراً كان ام غنياً طلباً للاستيناس وتأكيداً للصحبة والتودد وهومندوب اليه من الشرع ومع سلامة القصد والنية يكون عبادة . قال رسول الله (ص) تحابوا تهادوا فانها تذهب بالضغائن ، وقال (ص) : لو اهدى الى ذراع لقبلت . وقال اميرالمؤمنين (ع) : لان اهدى لاخي المسلم هدية احب الى من ان اتصدق بمثلها . وقال الصادق (ع) : من تكرمة الرجل لاخيه المسلم ان يقبل تحفته ، وان يتحفه بما عنده ، ولا يتكلف له شيئاً .

وثالثها الضيافة

وثوابها جزيل واجرها جميل وفضلها عظيم وثمرها جسيم .

قال رسول الله (ص) : لاخير فيمن لا يضيف ، ومر صلى الله عليه وآله برجل

له ابل وبقر كثير فلم يضيفه ، ومر بامرأة لها شويهات فذبحت له فقال (ص) : انظروا اليهما فانما هذه الاخلاق بيد الله عزوجل فمن شاء ان يمنحه خلقاً حسناً فعل . وقال (ص) : الضيف اذا جاء فنزل بالقوم جاء برزقه معه من السماء ، فاذا اكل غفر الله لهم بنزوله وقال (ص) : ما من ضيف حل بقوم الا ورزقه في حجره وقال (ص) : من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه . وقال (ص) : لا تزال امتي بخير ما تحابوا وادوا الامانة ، واجتنبوا الحرام ، واقروا الضيف ، واقاموا الصلوة ، وآتوا الزكاة ، فاذا لم يفعلوا ذلك ابتلوا بالقحط والسنين ، وقال (ص) : اذا اراد الله بقوم خيراً اهدى اليهم هدية ، قالوا وما تلك الهدية . قال : الضيف ينزل برزقه و يرتحل بذنوب اهل البيت . وقال (ص) : كل بيت لا يدخل فيه الضيف لاتدخله الملائكة . و قال (ص) الضيف دليل الجنة .

وقال اميرالمؤمنين (ع) ما من مؤمن يحب الضيف الا و يقوم من قبره ووجهه كالقمر ليلة البدر ، فينظر اهل الجمع فيقولون : ما هذا الا نبي مرسل ، فيقول ملك : هذا مؤمن يحب الضيف ، ويكرم الضيف ، ولا سبيل له الا ان يدخل الجنة وقال (ع) : ما من مؤمن يسمع همس الضيف وفرح بذلك الا غفرت له خطاياه وان كانت مطبقة بين السماء والارض . وبكى «ع» يوماً ، فقيل له : ما يبكيك ؟ قال لم يأتني ضيف منذ سبعة ايام ، اخاف ان يكون الله قد اهانني .

وعن محمد بن قيس عن ابي عبد الله «ع» قال : ذكر اصحابنا يوماً ، فقلت و الله ما اتغدى ولا اتعشى الا ومعي منهم اثنان او ثلاثة او اقل او اكثر ، فقال «ع» فضلهم عليك اكثر من فضلك عليهم ، قلت : جعلت فداك : كيف ؟ وانا اطعمهم طعامي ، وانفق عليهم من مالي ، ويخدمهم خادمي ، فقال : اذا دخلوا عليك دخلوا

من الله بالرزق الكثير ، واذا خرجوا اخرجوا بالمغفرة لك . وكان ابراهيم الخليل « ع » اذا اراد ان يأكل خرج ميلا او ميلين يلتمس من يتغدى معه ، وكان يكنى ابا الضيفان وجميع الاخبار الواردة في فضيلة اطعام المؤمن تدل على فضيلة الضيافة ، كقوله « ص » من اطعم ثلاثة نفر من المسلمين اطعمه الله من ثلاث جنان في ملكوت السموات الفردوس ، وجنة عدن وطوبى شجرة تخرج في جنة عدن غرسها ربنا بيده ، وقول الصادق « ع » : من اشبع مؤمناً وجبت له الجنة وقوله « ع » من اطعم مؤمناً حتى يشبعه لم يدر احد من خلق الله ماله من الاجر في الاخرة ، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل الا الله رب العالمين .

وسئل : ما الايمان ؟ فقال : اطعام الطعام ، وبذل السلام . وقال « ص » : ان في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها ، يسكنها من امتي من اطاب الكلام ، واطعم الطعام ، وافشى السلام ، وصلى بالليل والناس نيام . وقال «ص» من احب الاعمال الى الله تعالى اشباع جوعة المؤمن ، وتنفيس كربته ، وقضاء دينه . وقال « ص » : ان الله يحب الاطعام ، ويحب الذي يطعم الطعام في الله ، والبركة في بيته اسرع من الشفرة في سنام البعير . وقال « ص » خيركم من اطعم الطعام . وقال « ص » من اطعم الطعام اخاه المؤمن حتى يشبعه ، وسقاه حتى يرويه بعده الله من النار سبع خنادق ، ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام .

وفي الخبر : ان الله تعالى يقول للعبد في القيمة ، يا بن آدم جعت فلم تطعمني فيقول : كيف اطعمك وانت رب العالمين ؟ فيقول : جاع اخوك فلم تطعمه ولو اطعمته كنت اطعمتني . وقال « ص » : من سقى مؤمناً من ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم . وقال « ص » : من سقى مؤمناً شربة من ماء من حيث يقدر على

الماء ، اعطاه الله بكل شربة سبعين الف حسنة ، وان سقاه من حيث لا يقدر على الماء فكانما اعتق عشر رقاب من ولد اسماعيل .

ورابعها ـ الحق المعلوم

وحق الحصاد والجذاذ

والمراد من الاول ما يفرضه الرجل ويقدره في ما له من قليل او كثير ، غير الصدقات الواجبة يعطيه محتاجاً ، او يصل به رحمه ، والمراد بالثاني ما يعطي به الى الفقراء من الضغث بعد الضغث اى القبضة بعد القبضة من الزرع يوم حصاده ومن الحفنة بعد الحفنة : اى ملؤ الكف من التمر او الحنطة او غيرها ، ومن الثمار ، والفواكه ، والحبوبات عند قطعها وتصفيتها وهذان النوعان من الانفاق معدودان في صدقة التطوع « ١ » وقد وردت بخصوصها اخبار كثيرة لشدة استحبابها .

وخامسها ـ القرض

وهو ايضاً من ثمرات السخاء لان السخي تسمح نفسه بان يقرض اخاه المحتاج بعض امواله الى حين استطاعته ، كما تسمح نفسه بان يبذل عليه اصل ماله ، والبخيل

« ١ » وان كان في استحباب الثاني تأمل لظهور اخباره في الوجوب

يشق عليه ذلك ، وثواب القرض عظيم وفضله جسيم .

قال الباقر (ع) : من اقرض رجلا قرضا الى ميسرة كان ما له في زكاة ، وكان هو في صلاة مع الملائكة حتى يقبضه .

وقال الصادق (ع) : مكتوب على باب الجنة : الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر ، وقال (ع) ما من مؤمن اقرض مؤمناً يلتمس به وجه الله الا حسب الله له اجرة بحساب الصدقة حتى يرجع ماله اليه ، يعني : اعطاه الله في كل آن اجر صدقة ، وذلك لان له قضائه في كل آن فلما لم يفعل فكانما اعطاه ثانياً وثالثاً ، وهلم جرا ، الى ان يقبضه . وقال (ع) لا تمانعوا قرض الخمير والخبز ، واقتباس النار ، فانه يجلب الرزق على اهل البيت ، مع ما فيه من مكارم الاخلاق . وقال (ع) لا تمانعوا قرض الخمير والخبز فان منعها يورث الفقر .

وسادسها - انظار المعسر والتحليل

وهو ايضاً من افراد البذل المترتب على السخاء ، وقد ورد في فضله اخبار كثيرة قال الصادق (ع) من اراد ان يظله الله يوم لا ظل الا ظله فلينظر معسراً ، او يدع له من حقه . وقال (ع) ان رسول الله (ص) قال في يوم حار ، وحنا كفه من احب ان يستظل من فور جهنم ؟ قالها ثلاث مرات ، فقال الناس في كل مرة نحن يا رسول الله ، فقال من انظر غريماً ، او ترك لمعسر . وقال (ع) صعد رسول الله(ص) المنبر ذات يوم فحمد الله واثنى عليه وصلى على انبيائه ، ثم قال ايها الناس ليبلغ

الشاهد الغائب منكم ، الا ومن انظر معسراً كان له على الله في كل يوم ثواب صدقة بمثل ما له حتى يستوفيه . وقيل له ﴿ع﴾ ان لعبد الرحمن بن سبابة ديناً على رجل قد مات ، وقد كلمناه ان يحلله ، فابى فقال ويحه اما يعلم ان له بكل درهم عشرة اذا حلله ، وان لم يحلله فانما هو درهم بدرهم . وفي معناها اخبار كثيرة اخر - الى غير ذلك من الحقوق المستحبة ، كبذل الكسوة ، والمسكن ، ونحوها ،

ومن الرذائل

طلب الحرام وعدم الاجتناب عنه ولاريب في كونه مترتباً على حب الدنيا والحرص عليها ، وهو اعظم المهلكات

قال رسول الله ﴿ص﴾ ان لله ملكا على بيت المقدس ينادي كل ليلة من اكل حراماً لم يقبل منه صرف ولا عدل اي لا نافلة ولا فريضة . وقال ﴿ص﴾ من لم يبال من اين اكتسب المال ، لم يبال الله من اين ادخله النار . وقال ﴿ص﴾ كل لحم نبت من حرام فالنار اولى به . وقال ﴿ص﴾ من اصاب مالا من مأثم فوصل به رحماً ، او تصدق به ، او انفقه في سبيل الله ، جمع الله ذلك جميعاً ثم ادخله في النار وقال ﴿ص﴾ ان اخوف ما اخاف على امتي من بعدي هذه المكاسب الحرام ، والشهوة الخفية ، والربا . وقال ﴿ص﴾ من اكتسب مالا من الحرام ، فان تصدق به لم يقبل منه ، وان تركه ورائه كان زاده الى النار .

وقال الصادق ﴿ع﴾ اذا اكتسب الرجل مالا من غير حله ، ثم حج فلبى ،

نودي لا لبيك ، ولا سعديك ، وان كان من حله ، نودي لبيك وسعديك ، وقال ـ ع ـ كسب الحرام يبين في الذرية ، وقال ﴿ع﴾ في قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً ان كانت اعمالهم اشد بياضاً من القباطي ، فيقول الله عز وجل لها كوني هباء ، وذلك انهم كانوا اذا شرع لهم الحرام اخذوه

وقال الكاظم «ع» ان الحرام لا ينمي ، وان نمي لم يبارك فيه ، وان انفقه لم يؤجر عليه وما خلفه كان زاده الى النار

وفي بعض الاخبار ان العبد ليوقف عند الميزان وله من الحسنات امثال الجبال فيسئل عن رعاية عياله ، والقيام بهم ، وعن ماله من اين اكتسبه ، وفيم انفقه ، حتى تفنى تلك المطالبات كل اعماله ، فلا تبقى له حسنة فتنادي الملائكة هذا الذي اكل عياله حسناته في الدنيا ، وارهن اليوم باعماله

وورد ان اهل الرجل واولاده يتعلقون به يوم القيامة ، فيقفونه بين يدي الله تعالى ، ويقولون يا ربنا خذ لنا بحقنا منه ، فانه ما علمنا ما نجهل ، وكان يطعمنا من الحرام ونحن لا نعلم ، فيقتص لهم منه

فصل ـ عزة تحصيل الحلال

ينبغي لطالب النجاة ان يفر من الحرام فراره من الاسد ، ويحترز منه احترازه من الحية السوداء ، بل اشد ولكن الحلال في امثال زماننا مفقود والسبيل دون الوصول اليه مسدود ، ولعمري ان فقده آفة عم في الدين ضررها ، ونار استطار

في الخلق شررها . والظاهر ان اكثر الاعصار كان حالها كذلك .

ولذلك قال الامام جعفر بن محمد الصادق « ع » المؤمن ياكل في الدنيا بمنزلة المضطر .

وقال رجل للكاظم « ع » ادع الله جل وعز ان يرزقني الحلال ، فقال اتدري ما الحلال ؟ قال الكسب الطيب ، فقال كان علي بن الحسين « ع » يقول الحلال قوت المصطفين ولكن قل اسئلك من رزقك الواسع ، ومع ذلك كله لاينبغي للمؤمن ان ييأس من تحصيل الحلال ، ويترك الفرق والفصل بين الاموال ، فان الله سبحانه اجل واعظم من ان يكلف عباده باكل الحلال ، ويسد عنهم طريق تحصيله .

فصل

ضد عدم الاجتناب عن الحرام التنزه والاحتياط عنه

وهو المسمى بالورع بالمعنى الاخص ، فاعلم ان الورع والتقوى عن الحرام اعظم المنجيات ، وعمدة ما ينال به الى السعادات ورفع الدرجات .

قال رسول الله « ص » خير دينكم الورع وقال « ص » من لقى الله سبحانه ورعاً اعطاه الله ثواب الاسلام كله وفي بعض الكتب السماوية واما الورعون فاني استحيي ان احاسبهم .

وقال الباقر « ع » ان اشد العبادة الورع وقال « ع » ما شيعتنا الا من اتقى الله واطاعه ، فاتقوا الله واعملوا لما عند الله ، ليس بين الله وبين احد قرابة ، احب

العباد الى الله تعالى واكرمهم عليه اتقاهم واعملهم بطاعته

وقال الصادق «ع» اوصيك بتقوى الله والورع والاجتهاد ، واعلم انه لاينفع اجتهاد لاورع فيه وقال «ع» اتقوا الله وصونوا دينكم بالورع وقال ﴿ع﴾ ان الله ضمن لمن اتقاه ان يحوله عما يكره الى ما يحب ، ويرزقه من حيث لايحتسب وقال ﴿ع﴾ عليكم بالورع فانه لاينال ما عند الله الا بالورع وقال ﴿ع﴾ ان قليل العمل مع التقوى خير من كثير بلا تقوى وقال ﴿ع﴾ ما نقل الله عبداً من ذل المعاصي الى عز التقوى الا اغناه من غير مال ، واعزه من غير عشيرة ، وآنسه من غير بشر وقال ﴿ع﴾ انما اصحابي من اشتد ورعه ، وعمل لخالقه ، ورجا ثوابه ، هؤلاء اصحابي وقال ﴿ع﴾ الاوان من اتباع امرنا وارادته الورع ، فتزينوا به يرحمكم الله وكيدوا اعدائنا به ينعشكم الله ، وقال الباقر (ع) : اعينونا بالورع ، فان من لقي الله تعالى منكم بالورع كان له عند الله فرجاً ، ان الله عز وجل يقول : ومن يطع الله ورسوله فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا ، فمنا النبي ، ومنا الصديق ، والشهداء والصالحين

وقال ابو جعفر (ع) : قال الله عز وجل يا بن آدم اجتنب ما حرم عليك تكن من اورع الناس وسئل الصادق (ع) : عن الورع من الناس فقال الذي يتورع عن محارم الله عز وجل .

ولكون طلب الحرام وعدم الاجتناب عنه باعثاً للهلاك وتوقف النجاة والسعادة فى الآخرة على الورع عن المحرمات مع افتقار الناس فى الدنيا الى المطاعم والملابس ورد في فضيلة كسب الحلال ومدحه ما ورد ، قال رسول الله (ص) : طلب الحلال فريضة على كل مسلم ومسلمة وقال (ص) : من بات كالا من طلب الحلال

بات مغفوراً له . وقال (ص) : العبادة سبعون جزئاً افضلها طلب الحلال

وقال (ص) : العبادة عشرة اجزاء ، تسعة اجزاءه في طلب الحلال وقال (ص) : من اكل من كديده مر على الصراط كالبرق الخاطف . وقال (ص) من اكل من كديده نظر الله اليه بالرحمة ، ثم لايعذبه ابداً . وقال (ص) : من اكل من كديده حلالا فتح الله له ابواب الجنه يدخل من ايها شاء . وقال (ص) من اكل من كديده كان يوم القيامة فى عداد الانبياء ، ويا خذ ثواب الانبياء .

و قال « ص » من طلب الدنيا استعفافاً عن الناس ، وسعياً على اهله وتعطفاً على جاره لقي الله عز وجل يوم القيامة ووجه كالقمر ليلة البدر . وكان (ص) اذا نظر الى الرجل واعجبه ، قال : هل له حرفة ؟ فان قيل : لا قال : سقط من عيني قيل : وكيف ذاك يا رسول الله ؟ قال : لان المؤمن اذا لم تكن له حرفة يعيش بدينه

وقال (ص) : من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله . وقال « ص » : من طلب الدنيا حلالا فى عفاف كان فى درجة الشهداء .

و قال « ص » من اكل الحلال اربعين يوماً نور الله قلبه واجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وطلب منه صلى الله عليه وآله بعض الصحابة ان يجعله الله تعالى مستجاب الدعوة ، فقال له : اطب طعمتك يستجب دعوتك .

وقال الصادق « ع » : اقرؤا من لقيتم من اصحابكم السلام ، وقولوا لهم : ان فلان بن فلان يقرؤكم السلام ، ويقول لكم : عليكم بتقوى الله عز وجل ، وما ينال به ما عند الله ، اني والله ما امركم الا بما نأمر به انفسنا ، فعليكم بالجد والاجتهاد ، واذا صليتم الصبح وانصرفتم فبكروا في طلب الرزق ، واطلبوا الحلال ، فان الله عز وجل سير زقكم و يعينكم عليه .

فصل

درجات الورع

قسم بعض العلماء الورع والتقوى عن الحرام على اربع درجات : الاولى ورع العدول : وهو الاجتناب عن كل ما يلزم الفسق با قتحامه ، وتسقط به العدالة ويثبت به العصيان ، والتعرض للنار : وهو الورع عن كل ما يحرمه فتوى المجتهدين (الثانية) ورع الصالحين : وهو الاجتناب من الشبهات ايضاً (الثالثة) الورع عما يخاف اداؤه الى محرم اوشبهة ايضاً وان لم يكن فى نفسه حراماً ولا شبهة فهو ترك ما لا باس به مخافة ما به باس (الرابعة) ورع الصديقين : وهو الاجتناب عن كل ما ليس لله ، ويناول لغير الله و غير نية التقوى على عبادته وان كان حلالا صرفاً لا يخاف اداؤه الى حرام اوشبهة . والصديقون الذين هذه درجتهم هم : الموحدون المتجردون عن حظوظ انفسهم ، المتفردون لله تعالى با لقصد ، الراؤن كلما ليس لله تعالى حراماً ، العاملون بقوله سبحانه : قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون

تتميم

قال الصادق « ع » : التقوى على ثلاثة اوجه : (تقوى) من خوف النار والعقاب : وهو ترك الحرام وتقوى العام (وتقوى) من الله : وهو ترك الشبهات

فضلا عن الحرام وهو تقوى الخاص (وتقوى) في الله : وهو ترك الحلال فضلا عن الشبهة ، والى هذه المراتب الثلاث اشير في الكتاب الآلهي بقوله : ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا ، اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ، ثم اتقوا وآمنوا ، ثم اتقوا واحسنوا ، والله يحب المحسنين

ومنها ـ الغدر والخيانة

في المال او العرض او الجاه ، ويدخل تحته الذهاب بحقوق الناس خفية ، وحبسها من غير عسر ، والنجس في الوزن والكيل ، والغش بما يخفي ، وغير ذلك من التدليسات المموهة ، والتلبيسات المحرمة وجميع ذلك من خباثة القوة الشهوية ورذائلها ، ومن الرذائل المهلكة وخبائثها ، وقد وردت في ذم الخيانة باقسامها اخبار كثيرة ، وجميع ما يدل على ذم الذهاب بحقوق الناس ، واخذ اموالهم بدون رضاهم يدل على ذمها .

الامانة

وضد الخيانة الامانة ، وقد وردت في مدحها وعظم فوائدها اخبار كثيرة كقول الصادق (ع) : ان الله عز وجل لم يبعث نبيا الا بصدق الحديث ، واداء الامانة الى البر والفاجر . وقوله (ع) : لا تغتروا بصلاتهم ، ولا بصيامهم ، فان الرجل ربما لهج بالصلوة والصوم حتى لو تركه استوحش ، ولكن اختبروهم بصدق الحديث

واداء الامانة . وقوله (ع) : انظر ما بلغ به علي (ع) عند رسول الله (ص) فالزمه فان علياً (ع) انما بلغ ما بلغ به عند رسول الله (ص) بصدق الحديث ، واداء الامانة . وقوله (ع) : ثلاث لاعذر فيها لاحد : اداء الامانة الى البر والفاجر ، والوفاء بالعهد الى البر والفاجر ، وبر الوالدين برين كانا او فاجرين . وقوله (ع) : كان ابي يقول : اربع من كن فيه كمل ايمانه ، وان كان من قرنه الى قدمه ذنوباً لم ينقصه ذلك ، وهي : الصدق ، واداء الامانة ، والحياء ، وحسن الخلق . وقوله (ع) : اهل الارض مرحومون ما يخافون ، وادوا الامانة ، وعملوا بالحق . وقيل له (ع) : ان امرئة بالمدينة كان الناس يضعون عندها الجواري فيصلحن ، ومع ذلك ما رأينا مثل ما صب عليها من الرزق ، فقال : انها صدقت الحديث ، وادت الامانة ، وذلك يجلب الرزق . والاخبار في فضيلة الامانة كثيرة ، ولقد قال لقمان : ما بلغت الى ما بلغت اليه من الحكمة الا بصدق الحديث ، واداء الامانة . فمن تأمل في ذم الخيانة وايجابها الفضيحة والعار في الدنيا والعذاب والنار في الآخرة ، وفي فضيلة الامانة وادائها الى خير الدنيا وسعادة الآخرة سهل عليه ترك الخيانة ، والاتصاف بالامانة

انواع الفجور

من الزنا واللواط وشرب الخمر ، والاشتغال بالملاهي ، واستعمال آلاتها من العود والمزمار والرباب والدف وامثالها ، كل ذلك من رذائل القوة الشهوية ، وكذا لبس الذهب والحرير للرجال ، وقد وردت في ذم كل واحد منها بخصوصه اخبار

كثيرة ، ولا حاجة الى ذكرها لشيوعها واشتهارها .

الخوض فی الباطل

وهو : التكلم في المعاصي والفجور ، وحكايتها كحكايات احوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتنعم الأغنياء وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة واحوالهم المكروهة وامثال ذلك ، فكل ذلك من ردائة القوة الشهوية وخبائثها .

ثم لما كانت انواع الباطل غير محصورة لكثرتها ، فالخوض فيه ايضاً كذلك وتكون له انواع غير متناهية ، ولا يفتح باب كلام الا وينتهي الى واحد منها ، فلا خلاص منه الا باقتصار الكلام على قدر الحاجة من مهات الدين والدنيا ، وربما وقعت من الرجل من انواع الخوض في الباطل كلمة تهلكه وهو مستحقرها ، فان اكثر الخوض في الباطل حرام ، ولذا قال رسول الله (ص) : اعظم الناس خطايا يوم القيامة اكثرهم خوضاً في الباطل واليه الاشارة بقوله تعالى وكنا نخوض مع الخائضين . وقوله تعالى : فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره . وقال (ص) : ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن ان تبلغ ما بلغت ، فيكتب الله له بها رضوانه الى يوم القيامة ، وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن ان تبلغ ما بلغت ، فيكتب الله عليه بها سخطه الى يوم القيامة

وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه : اكثر الناس ذنوباً يوم القيامة اكثرهم كلاماً فى معصية الله ، وكان رجل من الانصار يمر على مجلس الخائضين في الباطل ،

فيقول لهم : توضؤا فان بعض ما تقولون شر من الحدث .

التكلم

بما لايعني او بالفضول

والمراد بالاول التكلم بما لا فائدة فيه اصلا ، لا في الدين ولا في الدنيا . والثاني اعني فضول الكلام اعم منه اذ يتناول الخوض فيما لايعني والزيادة فى ما يعني على قدر الحاجة ، والروايات في ذمهما كثيرة . وقد روى : انه استشهد يوم احد غلام من اصحاب النبي « ص » ووجد على بطنه حجر ، مربوط من الجوع ، فمسحت امه التراب عن وجهه ، وقالت : هنيئاً لك الجنة يا بني ، فقال النبي « ص » : وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ، ويمنع ما لا يضره . وورد ايضاً : ان رسول الله « ص » قال لبعض اصحابه وهو مريض « ابشر » فقالت امه : هنيئاً لك الجنة ، فقال رسول الله « ص » : وما يدريك ؟ لعله قال ما لا يعنيه ، اومنع ما لا يعنيه ، يعني : انما تتهنأ الجنة لمن لا يحاسب ، ومن يتكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه وان كان كلامه مباحاً . فلا تتهنأ له الجنة مع المناقشة في الحساب . فا نه نوع من العذاب

وروى انه تكلم رجل عند النبي « ص » فا كثر فقال له النبي « ص » : كم دون لسانك من حجاب ؟ فقال : شفتاي واسناني . فقال « ع » : افما كان في ذلك ما يرد كلامك ؟ وفى رواية اخرى : انه قال : ذلك في رجل اثنى عليه ، فاستهتر في الكلام ، ثم قال : ما اوتي رجل شراً من فضل فى لسانه ، وروى : انه قدم رهط

من بني عامر على رسول الله (ص) فشرعوا بالمدح والثناء عليه ، فقال (ص) : قولوا قولكم ، ولا يستهوينكم الشيطان ، ومراده (ص) : ان اللسان اذا اطلق في الثناء ولو بالصدق فيخشى ان يستهويه الشيطان الى الزيادة المستغنى عنها ، وقال بعض الصحابة : ان الرجل ليكلمني بالكلام وجوابه اشهى الى من الماء البارد على الظمآن ، فاتركه خيفة ان يكون فضولا .

وقال بعض الاكابر : من كثر كلامه كثر كذبه . وقال بعضهم : يهلك الناس في خصلتين : فضول المال ، وفضول الكلام . وقال (ص) : من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه . وقال (ص) : طوبى لمن امسك الفضل من لسانه ، وانفق الفضل من ماله . وانظر كيف قلب الناس الامر في ذلك ، فامسكوا افضل المال ، واطلقوا فضل اللسان .

وروى انه (ص) قال ذات يوم : ان اول من يدخل من هذا الباب رجل من اهل الجنة ، فلما دخل هذا الرجل قالوا له : اخبرنا باوثق عملك في نفسك ترجوبه ، فقال : اني رجل ضعيف العمل ، واوثق ما ارجوا الله به : سلامة الصدر وترك ما لا يعنيني وقال «ص» لابي ذر : الا اعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الميزان ؟ قال : بلى يا رسول الله ، قال : هو الصمت ، وحسن الخلق ، وترك ما لا يعنيك .

الحسد

وهو تمني زوال نعم الله تعالى عن اخيك المسلم مما له فيه صلاح ، فان لم ترد

زوالها عنه ولكن تريد لنفسك مثلها فهو غبطة ومنافسة ، فان لم يكن له فيها صلاح واردت زوالها عنه فهو غيرة ، والحسد اشـــد الامراض واصعبها واسوء الرذائل واخبثها ، ولذا ورد به الذم الشديد في الآيات والاخبار .

قال الله سبحانه في معرض الانكار : ام يحسـدون الناس على ما اتاهم الله من فضله . وقال : ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفاراً حسداً من عند انفسهم . وقال : ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها .

وقال رسول الله « ص » : الحسد يأكل الحسنات ، كما تأكل النار الحطب وقال « ص » : قال الله عز وجل لموسى يابن عمران لا تحسـدن الناس على ما اتيتهم من فضلي ، ولا تمدن عينيك الى ذلك ، ولا تتبعه نفسك ، فان الحاسد ساخط لنعمي صاد لقسمي الذي قسمت بين عبادي ، ومن يك كذلك فلست منه وليس مني وقال « ص » : ولا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ، وكونوا عباد الله اخواناً . وقال (ص) : دب اليكم داء الامم من قبلكم الحسد والبغضاء ، والبغضة هي الحالقه ، لا اقول : حالقة الشعر ، ولكن حالقة الدين ، والذي نفس محمد بيده لاتدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولن تؤمنوا حتى تحابوا . الا انبئكم بما يثبت ذلك لكم ؟ افشوا السلام بينكم . وقال « ص » : كاد الفقر ان يكون كفراً ، وكاد الحسد ان يغلب القـدر . وقال « ص » : سيصيب امتي داء الامم ، قالوا وما داء الامم ؟ قال : الاشر والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيـا والتباعد والتحاسد ، حتى يكون البغي ثم الهـرج . وقال « ص » : اخـوف ما اخاف على امتي ان يكثر فيهم المال فيتحاسدون ويقتتلون ، وقال « ص » : ان لنعم الله اعداء ، فقيل : ومن هم ؟ قال : الذين يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله ، وورد في بعض الاحاديث

القدسية : ان الحاسد عدو لنعمتي متسخط لقضائي غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي .

وقال الامام ابو جعفر الباقر « ع » : ان الرجل ليأتي بادنى بادرة فيكفر وان الحسد ليأكل الايمان كما تأكل النار الحطب .

وقال ابو عبد الله « ع » : آفة الدين الحسد والعجب والفخر وقال « ع » ان المؤمن يغبط ولا يحسد ، والمنافق يحسد ولا يغبط . وقال : الحاسد مضر بنفسه قبل ان يضر بالمحسود ، كابليس اورث بحسده لنفسه اللعنة ، ولآدم الاجتباء والهدى والرفع الى محل حقائق العهد والاصطفاء ، فكن محسوداً ولا تكن حاسداً فان ميزان الحاسد ابداً خفيف بثقل ميزان المحسود ، والرزق مقسوم ، فما ذا ينفع الحسد الحاسد ؟ وما ذا يضر المحسود الحسد ؟ والحسد اصله من عمى القلب والجحود بفضل الله تعالى ، وهما جناحان للكفر ، وبالحسد وقع ابن آدم في حسرة الابد ، وهلك مهلكا لا ينجو منه ابداً ، ولا توبة للحاسد لانه مصر عليه معتقد به مطبوع فيه ، يبدو بلا معارض به ولا سبب ، والطبع لا يتغير عن الاصل وان عولج

فصل

اعلم ان ضد الحقد والحسد النصيحة وهي : ارادة بقاء نعمة الله للمسلمين وكراهة وصول الشر اليهم ، وقد تطلق في الاخبار على ارشادهم الى ما فيه مصلحتهم وغبطتهم ، وهو لازم للمعنى الاول ، فينبغي ان نشير الى فوائدها وما ورد في مدحها

تحريكا للطالبين على المواظبة عليها ليرتدع بها ضدها فنقول : اعلم ان من احب الخير والنعمة للمسلمين كان شريكا في الخير بمعنى : انه في الثواب كا لمنعم و فا عل الخير وقد ثبت في الاخبار ان لم يدرك درجة الاخيار بصالحات الاعمال ولكنه احبهم يكون يوم القيمة محشوراً معهم ، كما ورد : ان المرء يحشر مع من احب . وقال اعرابي لرسول الله (ص) الرجل : يحب القوم ولما يلحق بهم ، فقال (ص) : المرء مع من احب .

وقال رجل بحضرة النبي (ص) بعد ما ذكرت الساعة : ما اعددت لها من كثير صلاة ولا صيام ، الا اني احب الله ورسوله ، فقال (ص) : انت مع من احببت ، قال الراوي : فما فرح المسلمون بعد اسلامهم كفرحهم يومئذ ، اذ ا كثر ثقتهم كانت بحب الله وبحب رسوله .

وروى : انه قيل له (ص) الرجل يحب المصلين ولا يصلي ، ويحب الصوام ولا يصوم حتى عد اشياء ، فقال : هو مع من احب ، وبهذا المضمون وردت اخبار كثيرة .

والاخبار الواردة في مدح خصوص النصيحة وذم تركها وفي ثواب ترك الحسد وعظم فوائده ا كثر من ان تحصى ، وعن ابيعبد الله (ع) قال : قال رسول الله (ص) : ان اعظم الناس منزلة عند الله يوم القيمة امشاهم في ارضه با لنصيحة لخلقه .

وعن ابيجعفر (ع) قال : قال (ص) : لينصح الرجل منكم اخاه كنصيحته لنفسه وقال الباقر (ع) : يجب للمؤمن على المؤمن النصيحة . وقال الصادق (ع) : يجب للمؤمن على المؤمن النصيحة له في المشهد والمغيب . وقال (ع) : عليك با لنصح لله في خلقه فلن تلقاه بعمل افضل منه . و بمضمونها اخبار اخر .

وعن ابي عبد الله (ع) قال : قال رسول الله (ص) : من سعى في حاجة لاخيه فلم ينصحه فقد خان الله ورسوله . وقال الصادق «ع» : من مشى في حاجة اخيه ، ثم لم يناصحه فيها كان كمن خان الله ورسوله ، وكان الله خصمه والاخبار الاخر بهذا المضمون ايضاً كثيرة .

وروى : ان رسول الله «ص» شهد لرجل من الانصار : بانه من اهل الجنة وكان باعثه بعد التفتيش خلوه عن الغش والحسد على خير اعطى احداً من المسلمين .

وروى ان موسى «ع» لما تعجل الى ربه راى في ظل العرش رجلا فغبطه بمكانه ، وقال ان هذا الكريم على ربه ، فسئل ربه ان يخبر باسمه ، فلم يخبره باسمه وقال احدثك عن عمله . كان لا يحسد الناس على ما اتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه ، ولا يمشي بالنميمة ، وغاية النصيحة ان يحب لاخيه ما يحب لنفسه . قال رسول الله «ص» : المؤمن يحب للمؤمن ما يحب لنفسه . وقال «ص» : لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه . وقال «ص» : ان احدكم مرآة اخيه ، فاذا راى به شيئاً فليمط عنه هذا .

الايذاء والاهانة والاحتقار

ولاريب في كون ذلك في الغالب مترتباً على العداوة والحسد ، وان ترتب بعض افرادها في بعض الاحيان على مجرد الطمع او الحرص ، او على مجرد الغضب وسوء الخلق والكبر ، وان لم يكن حقد وحسد . وعلى اي تقدير لاشبهة في ان الايذاء

للمؤمن واحتقاره محرم في الشريعة ، موجب للهلاك الابدي .

قال الله سبحانه : والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير مما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً واثماً مبيناً .

وقال رسول الله «ص» : من آذى مؤمناً فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله فهو ملعون في التورية والانجيل والزبور والفرقان ، وفي خبر آخر : فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين . وقال «ص» : المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه . وقال «ص» : لايحل للمسلم ان يشير الى اخيه بنظرة تؤذيه . وقال «ص» : الا انبئكم با لمؤمن ؟ من ائتمنه المؤمنون على انفسهم واموالهم ، الا انبئكم با لمسلم ؟ من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن حرام على المؤمن ان يظلمه اويخذله او يغتابه او يدفعه دفعة .

وقال الصادق «ع» : قال الله عز وجل ليأذن بحرب مني من آذى عبدي المؤمن . وقال «ع» : اذا كان يوم القيامة نادى منـاد اين المؤذون لاوليائي ؟ فيقوم قوم ليس على وجوههم لحم ، فيقـال : هؤلاء الذين آذوا المؤمنين ، ونصبوا لهم ، وعانـدوهم وعنفوهم في دينهم ، ثم يامر بهم الى جهنـم وقال « ع » قال رسول‌الله «ص» قال الله تبارك وتعالى : من اهان لي وليـاً فقد ارصد لمحاربتي . وقال «ع» ان الله تبـارك وتعالى يقول من اهان لي وليـاً فقد ارصد لمحاربتي ، وانا اسرع شيء الى نصرة اوليـائي . وقال «ع» قال رسول الله «ص» قال الله عز وجل قد نابذني من اذل عبـدي المؤمن ، وقال «ع» من حقر مؤمناً مسكيناً اوغير مسكين ، لم يزل الله عز وجل حاقراً له ما قتـاً حتى يرجع عن محقرته اياه ، وفي معناها اخبار كثيرة اخر .

وصل

كف الاذى عن المسلمين

لاريب فى فضيلة اضداد ما ذكر وفوائدها ، من كف الاذى عن المؤمنين والمسلمين ، وا كرامهم وتعظيمهم ، والظواهر الواردة فى مدح دفع الضرر ، وكف الاذى عن النـاس كثيرة كقول النبي ﴿ ص ﴾ من رد عن قوم من المسلمين عادية ماء اونار وجبت له الجنة . وقوله ﴿ ص ﴾ افضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده . وقوله « ص » في حديث طويل امر فيه با لفضائل فان لم تقدر فدع الناس من الشر فانها صدقة تصدقت بهـا على نفسك وقوله ﴿ ص ﴾ رأيت رجلا يتقلب في الجنة ، في شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين . وقوله ﴿ ص ﴾ من زحزح من طريق المسلمين شيئاً يؤذيهم ، كتب الله له به حسنة اوجب له بها الجنة

وكذا الاخبار التي وردت في مـدح اكرام االمؤمن وتعظيمه كثيرة قال الصادق ﴿ ع ﴾ قال الله سبحانه ليأمن غضبي من اكرم عبـدي المؤمن . وقال رسول الله « ص » من اكرم اخاه المسلم بكلمة يلطفه بها وفرج عنه كربته ، لم يزل في ظل الله الممدود عليه الرحمة ، ما كان في ذلك . وقال (ص) ما في امتي عبد الطف اخاه في الله بشيء من لطف الا اخدمه الله من خدم الجنة . وقال (ص) ايما مسلم خدم قوماً من المسلمين الا اعطاه الله مثل عددهم خداماً في الجنة . وقال الصادق ﴿ ع ﴾ من اخذ من وجه اخيه المؤمن قذاة ، كتب الله عز وجل له عشر حسناة ، ومن تبسم في جه اخيه كانت له حسنة . وقال (ع) من قال لاخيه مرحباً

كتب الله له مرحباً الى يوم القيامة وقال (ع) : من اتاه اخوه المؤمن فاكرمه ، فانما اكرم الله عزوجل . وقال (ع) : لاسحاق بن عمار احسن يا اسحاق الى اوليائي ما استطعت ، فما احسن مؤمن الى مؤمن ، ولا اعانة ، الاخمش وجه ابليس وقرح قلبه .

ثم ينبغي تخصيص بعض الطبقات من الناس بزيادة التعظيم والاكرام ، كاهل العلم والورع ، لما ورد من الحث الاكيد في الاخبار على اكرامهم والاحسان اليهم وكذا ينبغي تخصيص ذي الشيبة المسلم بزيادة التوقير والتكريم ، لما ورد ذلك في الاخبار الكثيرة ، قال رسول الله (ص) : من عرف فضل كبير لسنه ، فوقره آمنه الله من فزع يوم القيامة ، وقال الصادق (ع) : ان من اجلال الله عزوجل اجلال الشيخ الكبير . وقال (ع) : ليس منا من لم يوقر كبيرنا ، ويرحم صغيرنا والاخبار فيهذا المضمون كثيرة .

وكذا ينبغي تخصيص كريم القوم بزيادة الاكرام ، لقول النبي (ص)اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه .

وكذا تخصيص الذرية العلوية بزيادة الاكرام والتعظيم ، قال رسول الله (ص) : حقت شفاعتي لمن اعان ذريتي بيده ولسانه وماله . وقال : (ص) اربعة انالهم شفيع يوم القيامة المكرم لذريتي ، والقاضي لهم حوائجهم ، والساعي لهم في امورهم عند ما اضطروا اليه ، والمحب لهم بقلبه ولسانه . وقال (ص) : اكرموا اولادي حسنوا آدابي . وقال (ص) : اكرموا اولادي : الصالحون لله والطالحون لي .

والاخبار في فضل السادات وثواب من يكرمهم ويعينهم اكثر من ان تحصى

واضرار المسلم قريب من معني ايذائه، وربما كان الاضرار اخص منه، فما يدل على ذمه يدل على ذمه كقول النبي (ص): خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر: الشرك بالله تعالى، والضر بعباد الله، وكذا ضده اعنى ايصال النفع اليه قريب من معنى ضده واخص منه، فما يدل على مدحه، يدل على مدحه، ولاريب في ان ايصال النفع الى المؤمنين من شرائف الصفات والافعال، والاخبار الواردة في فضيلته كثيرة قال رسول الله (ص): الخلق عيال الله فاحب الخلق الى الله من نفع عيال الله وادخل على اهل بيته سروراً وسئل (ص): من احب الناس الى الله ؟ قال: انفع الناس للناس. وقال رسول الله (ص): خصلتان من الخير ليس فوقهما شيء من البر: الايمان بالله، والنفع لعباد الله.

تنبيه ذم الظلم

بالمعنى الاخص

اعلم: ان الظلم قد يراد به ما هو ضد العدالة: وهو التعدى عن الوسط في اى شيء كان، وهو جامع للرذائل باسرها، وهذا هو الظلم بالمعنى الاعم، وقد يطلق عليه الجور ايضاً، وقد يراد به ما يرادف الاضرار والايذاء بالغير: وهو يتناول قتله وضربه وشتمه وقذفه وغيبته واخذ ماله قهراً ونهباً وغصباً وسرقة وغير ذلك من الاقوال والافعال المؤذية، وهذا هو الظلم بالمعنى الاخص، وهو المراد اذا اطلق في الآيات والاخبار وفى عرف الناس، وهو اعظم المعاصي واشدها عذاباً

باتفاق جميع الطوائف ، ويدل على ذمه بعد ما ورد في ذم كل واحد من الامور المدرجة تحته (كما يأتي بعضها) ما تكرر في القرآن من اللعن على الظالمين ، وكفاه ذماً انه تعالى قال في مقام ذم الشرك : ان الشرك لظلم عظيم . وقال جل شأنه : انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق ، اولئك لهم عذاب اليم ، وقال : ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون . وقال : وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون . وقال (ص) : ان اهون الخلق على الله من ولى امر المسلمين فلم يعدل لهم وقال (ص) : جور ساعة في حكم اشد واعظم عند الله من معاصي تسعين سنة .

وقال رسول الله : اتقوا الظلم ، فانه ظلمات يوم القيامة . وقال (ص) : من خاف القصاص ، كف عن ظلم الناس ، وروى : انه تعالى اوحى الى داود : قل للظالمين لا تذكروني ، فان حقاً علي ان اذكر من ذكرني ، وان ذكري اياهم : ان العنهم .

وقال علي بن الحسين (ع) لابنه ابي جعفر (ع) حين حضرته الوفاة : يا بني اياك وظلم من لا يجد عليك ناصراً الا الله وقال ابو جعفر (ع) : ما من احد يظلم بمظلمة الا اخذه الله تعالى بها في نفسه او ماله وقال رجل له (ع) : ان كنت من الولاة فهل لي من توبة ؟ فقال : لا ، حتى تؤدى الى كل ذي حق حقه . وقال (ع) الظلم ثلاثة : ظلم يغفره الله تعالى ، وظلم لا يغفره الله تعالى ، وظلم لا يدعه الله ، فاما الظلم الذي لا يغفره الله عزوجل فالشرك ، واما الظلم الذي يغفره الله عزوجل فظلم الرجل نفسه فيما بينه وبين الله عزوجل ، واما الظلم الذي لا يدعه فالمداينة بين العباد . وقال الصادق (ع) في قوله تعالى « ان ربك لبالمرصاد » : قنطرة على

الصراط لا يجوزها عبد بمظلمة . وقال «ع» . ما من مظلمة اشد من مظلمة لا يجد صاحبها عليها عوناً الا الله تعالى وقال «ع» . من اكل مال اخيه ظلماً ولم يرده اليه اكل جذوة من النار يوم القيامة . وقال «ع» . ان الله عزوجل اوحى الى نبي من انبيائه في مملكة جبار من الجبارين : ان ائت هذا الجبار ، فقل له . اني لم استعملك على سفك الدماء واتخاذ الاموال ، وانما استعملتك لتكف عني اصوات المظلومين ، فاني لم ادع ظلامتهم وان كانوا كفاراً وقال «ع» : اما ان المظلوم ياخذ من دين الظالم اكثر مما ياخذ الظالم من مال المظلوم ، ثم قال : من يفعل الشر بالناس فلا ينكر الشر اذا فعل به ، اما انه يحصد ابن آدم ما يزرع ، وليس يحصد احد من المر حلواً ، ولا من الحلو مراً وقال «ع» : من ظلم سلط الله عليه من يظلمه ، او على عقبه ، او على عقب عقبه . قال الراوي . قلت : هو يظلم فيسلط الله على عقبه او على عقب عقبه ؟ قال : فان الله تعالى يقول . ﴿وليخشى الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم ، فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً﴾ (١) .

وصل العدل بالمعنى الاخص

ضد الظلم بالمعنى الاخص هو . العدل بالمعنى الاخص وهو الكف عنه ورفعه والاستقامة ، واقامة كل احد على حقه . والعدل بهذا المعنى هو المراد عند اطلاقه

(١) لعله أثره الوضعي كما ان المدمن للخمر تؤثر في عقل أولاده وأعصابهم ، أو يحمل على غير ذلك والله العالم .

فى الآيات والاخبار ، وفضيلته اكثر من ان تحصى قال الله سبحانه · ان الله يامر بالعدل والاحسان الخ · وقال الله ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها ، واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل · وقال رسول الله « ص » · عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة ، قيام ليلها وصيام نهارها · وقال الصادق « ع » · من أصبح ولا يهم بظلم أحد ، غفر الله تعالى له ذلك اليوم ، ما لم يسفك دماً ، أو يأكل مال يتيم حراماً . وقال الصادق « ع » العدل أحلى من الماء يصيبه الظمآن ، ما أوسع العدل اذا عدل فيه وان قل . وقال « ع » العدل أحلى من الشهد ، والين من الزبد ، وأطيب ريحاً من المسك . وقال « ع » اتقوا الله واعدلوا فانكم تعيبون على قوم لا يعدلون .

ومما يدل على فضيلة العدل بهذا المعنى : ما ورد في ثواب رد المظالم . قال رسول الله « ص » : درهم يرده العبد الى الخصماء خير له من عبادة الف سنة ، وخير له من عتق الف رقبة ، وخير له من الف حجة وعمرة . وقال (ص) من رد درهما الى الخصماء اعتق الله رقبته من النار ، وأعطاه بكل دانق ثواب نبي « ١ » وبكل درهم ثواب مدينة في الجنة من درة حمراء . وقال « ص » : من رد أدنى شيء الى الخصماء جعل الله بينه وبين النار ستراً كما بين السماء والأرض ، ويكون في عداد الشهداء . وقال « ص » : من أرضى الخصماء من نفسه وجبت له الجنة بغير حساب ، ويكون في الجنة رفيق اسماعيل بن ابراهيم

« ١ » ثوابه الاصلي لا التفضلي أو ثواب عمل النبي (ص) فان ثواب النبي لكل شيء أعظم من ثواب غيره .

وقال « ص » : ان في الجنة مدائن من نور ، وعلى المدائن أبواب من ذهب مكللة بالياقوت والدر ، وفى جوف المدائن قباب من مسك وزعفران ، من نظر الى تلك المدائن يتمنى أن تكون له مدينة منها ، قيل : يانبي الله لمن هذه المدائن ؟ قال : للتائبين النادمين ، المرضين الخصماء من أنفسهم ، فان العبد اذا رد درهما الى الخصماء خير له من صيام النهار وقيام الليل ، ومن رد درهما ناداه ملك من تحت العرش أستأنف العمل فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وقال « ص » : من مات غير تائب زفرت جهنم في وجهه ثلاث زفرات فاولاها لا تبقى دمعة إلا جرت من عينيه ، والزفرة الثانية : لا يبقى دم إلا خرج من منخريه ، والزفرة الثالثة : لا يبقى قيح إلا خرج من فمه ، فرحم الله من تاب ثم ارضى الخصماء ، فمن فعل فانا كفيله بالجنة . وقال « ص » لرد دانق من حرام يعدل عند الله سبعين الف حجة مبرورة .

اخافة المؤمن

وادخال الكرب فى قلبه

وهما شعبتان من الايذاء والاضرار ، فيترتبان غالباً على العداوة والحسد ، وقد يترتبان على مجرد الغضب ، أو سوء الخلق ، أو الطمع ، وهما من رذائل الافعال ، والاخبار الواردة فى ذمهما كثيرة كقول النبي « ص » من نظر الى مؤمن نظرة ليخيفه بها ، اخافه الله تعالى يوم لا ظل إلا ظله . وقول الصادق« ع »

من روع مؤمناً بسلطان ليصيبه منه مكروه فلم يصبه ، فهو في النار ، ومن روع مؤمناً بسلطان ليصيبه منه مكروه فاصابه ، فهو مع فرعون وآل فرعون في النار .
وقوله (ص) : من ادخل السرور على مؤمن فقد ادخله على رسول الله (ص) ومن ادخله على رسول الله (ص) فقد وصل ذلك الى الله تعالى ، وكذلك من ادخل عليه كرباً ، والاخبار الواردة في هذا المعنى كثيرة .

وصل

ادخال السرور في قلب المؤمن

وضد ذلك ازالة الخوف عنه ، وتفريج كربه ، وادخال السرور في قلبه ، وهي من اعظم شعب النصيحة ، ولا حد للثواب المترتب عليها ، كما نطقت به الاخبار .

قال رسول الله (ص) : من حمى مؤمناً من ظالم بعث الله له ملكا يوم القيامة يحمي لحمه من نار جهنم . وقال (ص) : من فرج عن مغموم او اعان مظلوماً ، غفر الله له ثلاثاً وسبعين مغفرة . وقال (ص) : انصر اخاك ظالماً او مظلوماً ، فقيل كيف ينصره ظالماً . قال تمنعه من الظلم .

وقال الامام ابو عبد الله الصادق (ع) : من اغاث اخاه المؤمن اللهفان اللهثان عند جهده ، فنفس كربته واعانه على نجاح حاجته ، كتب الله تعالى بذلك اثنتين وسبعين رحمة من الله ، يعجل له منها واحدة يصلح بها امر معيشته ، ويدخر له احدى وسبعين رحمة لافزاع يوم القيامة واهواله . وقال (ع) : من نفس عن مؤمن كربة

نفس الله عنه كرب الآخرة ، وخرج من قبره وهو ثلج الفؤاد

وقال الرضا (ع) : من فرج عن مؤمن فرج الله عن قلبه يوم القيامة . وقال رسول الله (ص) من سر مؤمناً فقد سرني ومن سرني فقد سر الله .

وعن ابي عبد الله (ع) قال : قال رسول الله (ص) : ان احب الاعمال الى الله عزوجل ادخال السرور على المؤمن .

وقال الباقر (ع) تبسم الرجل في وجه اخيه حسنة ، وصرفه القذى عنه حسنة ، وما عبد الله بشيء احب الى الله من ادخال السرور على المؤمن ، وقال (ع) : ان فيما ناجى الله عزوجل به عبده موسى (ع) قال : ان لى عباداً ابيحهم جنتي ، واحكمهم فيها قال : يارب ومن هؤلاء الذين تبيحم جنتك وتحكمهم فيها ؟ قال : من ادخل على مؤمن سروراً ، ثم قال : ان مؤمناً كان فى مملكة جبار ، فولع به فهرب منه الى دار الشرك ، فنزل برجل من اهل الشرك ، فاظله وارفقه واضافه ، فلما حضره الموت اوحى الله اليه : وعزتي وجلالي لو كان لك في جنتي مسكن لاسكنتك فيها ، ولكنها محرمة على من مات بى مشركا ، ولكن يا نار هيديه ولا تؤذيه ويؤتى برزقه طرفى النهار قلت : من الجنة قال : من حيثما شاء الله . وقال (ع) : لا يرى احدكم اذا ادخل على مؤمن سروراً انه عليه ادخله فقط ، بل والله علينا ، بل والله على رسول الله صلى الله عليه وآله .

وعن ابان بن تغلب قال : سئلت ابا عبد الله «ع» عن حق المؤمن على المؤمن ؟ فقال : حق المؤمن على المؤمن اعظم من ذلك ، لو حدثتكم لكفرتم ، ان المؤمن اذا خرج من قبره خرج معه مثال من قبره ، يقول له ابشر بالكرامة من الله

والسرور ، فيقول له : بشرك الله بخير قال: ثم يمضي معه يبشره بمثل ما قال ، واذا مر بهول قال : هذا لك ، واذا مر بخير قال : هذا ليس لك ، فلا يزال معه يؤمنه مما يخاف ويبشره بما يحب حتى يقف معه بين يدي الله عزوجل ، فاذا امر به الى الجنة ، قال له المثال : ابشر فان الله عزوجل قد امر بك الى الجنة ، قال : فيقول من انت ؟ رحمك الله تبشرني من حين خرجت من قبري وآنستني في طريقي وخبرتني عن ربي ، قال فيقول انا السرور الذي كنت تدخله على اخوانك في الدنيا ، خلقت منه لا بشرك واونس وحشتك ، وروى ابن سنان قال : كان رجل عند ابي عبد الله عليه السلام ، فقرأ هذه الآية والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً واثماً مبيناً ، قال ابو عبد الله (ع) : فما ثواب من ادخل عليه السرور ؟ فقلت جعلت فداك : عشر حسنات ، قال : اى والله ، والف الف حسنة .

ترك اعانة المسلمين

وعدم الاهتمام بامورهم

فان من يعادي غيره او يحاسده ، يترك اعانته ولا يهتم باموره وربما كان ذلك من نتائج الكسالة بها او ضعف النفس او البخل ، وبالجملة لاريب في كونه من رذائل الصفات ، ودليلا على ضعف الايمان ، وما ورد فى ذمه من الاخبار كثير .

قال الباقر (ع) : من بخل بمعونة اخيه المسلم والقيام له في حاجته ، الا ابتلى

بالقيام بمعونة من يأثم عليه ولا يؤجر .

وقال الصادق (ع) : ايما رجل من شيعتنا اتاه رجل من اخوانه فاستعان به في حاجة فلم يعنه وهو يقدر، الا ابتلاه الله تعالى بان يقضي حوائج عدة من اعدائنا يعذبه الله عليها يوم القيامة . وقال (ع) ايما مؤمن منع مؤمناً شيئاً مما يحتاج اليه وهو يقدر عليه من عنده او من عند غيره، اقامه الله عزوجل يوم القيامة مسوداً وجهه مزرقة عيناه، مغلولة يداه الى عنقه، فيقال : هذا الخائن الذي خان الله ورسوله ثم يؤمر به الى النار .

وقال «ع» من كانت له دار فاحتاج مؤمن الى سكناها، فمنعه اياها، قال الله تعالى : يا ملائكتي ابخل عبدي على عبدي بسكنى الدنيا، وعزتي وجلالي لا يسكن جناني ابداً، وقال «ع» : لنفر عنده مالكم تستخفون بنا ؟ فقام اليه رجل من اهل خراسان، فقال : معاذ لوجه الله ان نستخف بك او بشيء من امرك، فقال انك احد من استخف بي، فقال : معاذ لوجه الله ان استخف بك، فقال له : الم تسمع فلاناً ونحن بقرب الجحفه، وهو يقول لك : احملني قدر ميل فقد والله اعييت، والله ما رفعت به راساً لقد استخففت به ومن استخف بمؤمن فبنا استخف وضيع حرمة الله عزوجل . وقال «ع» : من اتاه اخوه في حاجة يقدر على قضائها فلم يقضها له، سلط الله عليه شجاعاً ينهش ابهامه في قبره الى يوم القيامة، مغفوراً له او معذباً .

وقال ابو الحسن «ع» : من قصد اليه رجل من اخوانه مستجيراً به في بعض احواله، فلم يجره بعد ان يقدر عليه، فقد قطع ولاية الله عزوجل . وقال رسول

الله « ص » : من اصبح لا يهتم بامور المسلمين فليس منهم ، ومن سمع رجلا ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم .

وصل - قضاء حوائج المسلمين

ضد هذه الرذيلة قضاء حوائج المسلمين والسعي في انجاح مقاصدهم ، وهو من اعظم افراد النصيحة ولا حد لمثوبته عند الله .

قال رسول الله « ص » : من قضى لاخيه المؤمن حاجة فكأنما عبد الله دهره ، وقال « ص » : من مشى في حاجة اخيه ساعة من ليل او نهار قضاها او لم يقضها كان خيراً له من اعتكاف شهرين .

وقال ابو جعفر ﴿ع﴾ : اوحى الله عزوجل الى موسى ﴿ع﴾ : ان من عبادي من يتقرب الي بالحسنة ، فاحكمه في الجنة ، فقال : موسى يا رب وما تلك الحسنة قال يمشي مع اخيه المؤمن فى قضاء حاجته ، قضيت ام لم تقض . وقال ﴿ع﴾ : من مشى في حاجة اخيه المسلم اظله الله بخمسة وسبعين الف ملك ، ولم يرفع قدماً الا كتب الله له حسنة وحط عنه بها سيئة ويرفع له بها درجة ، فاذا فرغ من حاجته كتب الله عزوجل له بها : اجر حاج ومعتمر . وقال ﴿ع﴾ : ان المؤمن لترد عليه الحاجة لاخيه فـلا تكون عنده ، فيهتم بها قلبه فيدخله الله تبارك وتعالى بهمه الجنة .

وقال الصادق ﴿ع﴾ من قضى لاخيه المؤمن حاجته ، قضى الله تعالى له يوم

القيامة مائة الف حاجة ، من ذلك اولهـا : الجنة ، ومن ذلك : ان يدخل قرابته ومعارفه واخوانه الجنة بعد ان لا يكونوا نصابا . وقال (ع) : ان الله تعالى خلق خلقاً من خلقـه انتجبهم لقضاء حوائج فقراء شيعتنا ، ليثيبهم على ذلك الجنة ، فان استطعت ان تكون منهم ، فكن . وقال (ع) قضاء حاجة المؤمن خير من عتق الف رقبة ، وخير من حملان الف فرس فى سبيل الله . وقال (ع) : لقضاء حاجة امرئ مؤمن احب الى الله تعالى من عشرين حجة ، كل حجـة ينفق فيها صاحبها مائة الف . وقال (ع) : من طاف بالبيت طوافاً واحداً كتب له ستة آلاف حسنة ، ومحى عنه ستة آلاف سيئة ، ورفع له ستة آلاف درجة (وفي رواية) وقضى له ستة آلاف حاجة ، حتى اذا كان عنـد الملتزم فتح له سبعة ابواب من الجنة ، قلت له : جعلت فداك هذا الفضل كله فى الطواف ؟ قال : نعم ، واخبرك بافضل من ذلك ؟ قضاء حاجة المؤمن المسلم افضل من طواف ، وطواف ، وطواف ، حتى بلغ عشراً . وقال (ص) تنافسوا في المعروف لاخوانكم ، وكونوا من اهله ، فان للجنة باباً ، يقال له : المعروف لا يدخله الا من اصطنع المعروف فى الحياة الدنيا ، فان العبد ليمشي في حاجة اخيه المؤمن ، فيوكل الله عزوجل به ملكين : واحداً عن يمينه ، وآخر عن شماله ، يستغفران له ربه ، ويدعوان بقضاء حاجته ، ثم قال : والله لرسول الله (ص) اسر بقضاء حاجة المؤمن اذا وصلت اليه ، من صاحب الحاجة . وقال (ع) ما قضى مسلم لمسلم حاجة الا ناداه الله تعالى : على ثوابك . ولا ارضى لك بدون الجنة . وقال «ع» ايما مؤمن اتى اخاه فى حاجة فانمـا ذلك رحمة من الله ساقها اليه وسببها له ، فان قضى حاجته كان قد قبل الرحمة بقبولها وان رده عن حاجته وهو يقدر على

قضائها . فانما رد عن نفسه رحمة من الله عز وجل ساقها اليه وسببها له . وذخر الله تلك الرحمة الى يوم القيامة حتى يكون المردود عن حاجته هو الحاكم فيها . ان شاء صرفها الى نفسه وان شاء صرفها الى غيره .

ثم قال (ع) للراوي : فاذا كان يوم القيامة وهو الحاكم في رحمة من الله تعالى قد شرعت له فالى من ترى يصرفها ؟ قال : لا اظن يصرفها عن نفسه ، قال : لا تظن ، ولكن استيقن فانه لن يردها عن نفسه . وقال (ع) : من مشي في حاجة اخيه المؤمن يطلب بذلك ما عند الله ، حتى تقضى له ، كتب الله عز وجل له بذلك مثل اجر حجة وعمرة مبرورتين ، وصوم شهرين من اشهر الحرم ، واعتكافها في المسجد الحرام ، ومن مشى فيها بنية ولم تقض ، كتب الله له بذلك مثل حجة مبرورة ، فارغبوا في الخير . وقال (ع) : لئن امشى في حاجة اخ لي مسلم احب الى من اعتق الف نسمة ، واحمل في سبيل الله على الف فرس مسرجة ملجمة ، وقال (ع) : من سعى في حاجة اخيه المسلم طلب وجه الله ، كتب الله عز وجل له الف الف حسنة ، يغفر فيها لاقاربه وجيرانه واخوانه ومعارفه ، ومن صنع اليه معروفاً في الدنيا ، فاذا كان يوم القيامة ، قيل له : ادخل النار ، فمن وجدته فيها صنع اليك معروفاً في الدنيا فاخرجه باذن الله عز وجل . الا ان يكون ناصبياً .

وقال ابو الحسن (ع) : ان لله عباداً في الارض يسعون في حوائج الناس ، هم الآمنون يوم القيمة ، ومن ادخل على مؤمن سروراً فرج الله قلبه يوم القيامة . والاخبار الواردة بهذه المضامين كثيرة ، وما ذكرناه كاف لتحريك الطالبين على قضاء حوائج المؤمنين ومما يدل على مدحه وشرافته ما ورد في ثواب اطعام المؤمن وسقيه وكسوته كما يأتي .

التهاون والمداهنة

في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو ناش اما من ضعف النفس وصغرها ، اومن الطمع المالي ممن يسامحه ، وهو من المهلكات التي يعم فسادها وضرها ويسري الى معظم الناس اثرها وشرها ، كيف ولوطوى بساط الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اضمحلت الديانة ، وتعطلت النبوة وعمت الفترة ، وفشت الضلالة وشاعت الجهالة ، وضاعت احكام الدين واندرست آثار شريعة رب العالمين ، وهلك العباد وخربت البلاد ، ولاجل ذلك ورد الذم الشديد في الآيات والاخبار على ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والمداهنة فيها .

قال الله سبحانه : لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت ، لبئس ماكانوا يصنعون .

وقال رسول الله (ص) : ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدران ينكر عليهم ، فلم يفعل ، الا يوشك ان يعمهم الله بعذاب من عنده . وقال (ص) : ان الله تعالى ليبغض المؤمن الضعيف الذي لادين له ، فقيل له : ما المؤمن الذي لادين له ؟ قال : الذي لاينهى عن المنكر ، وقيل له صلى الله عليه وآله : اتهلك القرية وفيها الصالحون ؟ قال : نعم قيل : بم يا رسول الله ؟ قال : بتهاونهم وسكوتهم عن معاصي الله ، وقال (ص) : لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر ، اوليستعملن عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم . وقال (ص) : ان الله تعالى ليسئل العبد

ما منعك اذ رأيت المنكر ان تنكر ؟ وقال (ص) : ان الله لا يعذب الخاصة بذنوب العامة ، حتى يظهر المنكر بين اظهرهم ، وهم قادرون على ان ينكروه ، فلا ينكروه .

وقال امير المؤمنين (ع) : في بعض خطبه انما هلك من كان قبلكم حيث عملوا من بالمعاصي ولم ينههم الربانيون والاحبار عن ذلك ، وانهم لما تمادوا في المعاصي ولم ينههم الربانيون والاحبار عن ذلك ، نزلت بهم العقوبات ، فامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر الى آخر الخطبة . وقال «ع» : من ترك انكار المنكر بقلبه ويده ولسانه فهو ميت بين الاحياء . وقال «ع» امرنا رسول الله ﴿ص﴾ ان نلقي اهل المعاصي بوجوه مكفهرة . وقال (ع) : ان اول ما تغلبون عليه من الجهاد : الجهاد بايديكم ثم بالسنتكم ، ثم بقلوبكم ، فمن لم يعرف بقلبه معروفاً ولم ينكر منكراً قلب : فجعل اعلاه اسفله .

وقال الباقر (ع) : اوحى الله عز وجل الى شعيب النبي (ع) : اني معذب من قومك مائة الف ، اربعين الفاً من شرارهم وستين الفاً من خيارهم ، فقال (ع) : يارب هؤلاء الاشرار ، فما بال الاخيار ؟ فاوحى الله عز وجل اليه : داهنوا اهل المعاصي ، ولم يغضبوا لغضبي .

وقال الصادق (ع) : ما قدست امة لم يؤخذ لضعيفها من قويها بحقه غير متعتع . وقال (ع) : ويل لقوم لا يدينون الله بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال (ع) : ان الله تعالى بعث ملكين الى اهل مدينة ليقلباها على اهلها ، فلما انتهيا الى المدينة وجدا رجلا يدعو الله ويتضرع اليه ، فقال احد الملكين لصاحبه : اما ترى هذا الداعي ؟ فقال : قد رأيته ، ولكن امضى ما امر به ربي ، فقال : لا ، ولكن لا احدث شيئاً حتى اراجع ربي ، فعاد الى الله تبارك وتعالى ، فقال : يارب

اني انتهيت الى المدينة فوجدت عبدك فلا نـاً يدعوك ويتضرع اليك ، فقال : امض ما امرتك به ، فان ذا رجل لم يتمعر وجهه غيظاً لي قط ، وقال (ع) لقوم من اصحابه حق لي ان آخذ البريء منكم بالسقيم ، وكيف لا يحق لي ذلك ؟ ! وانتم يبلغكم عن الرجل منكم القبيح فلا تنكرون عليه ولا تهجرونه ولا تؤذونه حتى يتركه . وقال (ع) لاحملن ذنوب سفهائكم على علمائكم ، (الى ان قال) ما يمنعكم اذا بلغكم عن الرجل منكم ما تكرهون ، وما يدخل علينا به الاذى ان تأتوه فتؤنبوه وتعذلوه ، وتقولوا له قولا بليغاً ، قيل له : اذن لا يقبلون منا ، قال : اهجروهم ، واجتنبوا مجالستهم .

وفي بعض الاخبار النبوية : ان امتي اذا تها ونوا في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فليأذنوا بحرب من الله ، وقد وردت اخبار بالمنع عن حضور مجالس المنكر اذا لم يمكنه دفعه والنهي عنه ، ولو حضر نزلت عليه اللعنة ، وعلى هذا لا يجوز الدخول في بيت الظلمة والفسقة ، ولا حضور المشاهد التي يشاهد فيها المنكر ولا يقدر على تغييره ، اذ لا يجوز مشاهدة المنكر من غير حاجة اعتذاراً بانه عاجز .

وصل

السعي في الامر بالمعروف

ضد المداهنة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو السعي فيهما والتشمير لهما ، وهو اعظم مراسم الدين ، والمهم الذي بعث الله لاجله النبيين ونصب من بعدهم الخلفاء والاوصياء ، وجعل نوابهم اولى النفوس القدسية من العلماء ، بل هو القطب

الذي تدور عليه ارحية الملل والاديان ، وتطرق الاختلال فيه يؤدي الى سقوطها عن الدوران .

ولهذا ورد في مدحه والترغيب عليه ما لا يمكن احصائه من الآيات والاخبار قال الله سبحانه : « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، واولئك هم المفلحون » . وقال : كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر . وقال : فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء ، واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون . وقال : لاخير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة اومعروف او اصلاح بين الناس ، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه اجراً عظيما . وقال : يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ، والقيام بالقسط هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وقال رسول الله « ص » : ما اعمال البر عند الجهاد في سبيل الله الا كنفثة في بحر لجي ، وما جميع اعمال البر والجهاد في سبيل الله عند الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا كنفثة في بحر لجي . وقال « ص » : اياكم و الجلوس على الطرقات ، قالوا ما لنا بدمنها ، انما هي مجالسنا نتحدث فيها ، قال : فاذا ابيتم الا ذلك فاعطوا الطريق حقه ، قالوا : وما حق الطريق ؟ قال غض البصر ، وكف الاذى ، ورد السلام ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر . وقال « ص » ما بعث الله نبياً الا وله حواري فيمكث النبي بين اظهرهم ما شاء الله يعمل فيهم بكتاب الله وبامره ، حتى اذا قبض الله نبيه ، مكث الحواريون يعملون بكتاب الله وبامره وسنة نبيهم ، فاذا انقرضوا كان من بعدهم قوم يركبون رؤس المنابر يقولون ما يعرفون ويعملون ما ينكرون فاذا رأيتم ذلك فحق على كل مؤمن جهادهم بيده فان لم يستطع فبلسانه فان

لم يستطع فبقلبه وليس وراء ذلك اسلام .

وقال علي (ع) : ان من رأى عدواناً يعمل به ، ومنكراً يدعى اليه ، فانكره بقلبه فقد سلم وبرئ ، ومن انكره بلسانه فقد اجر ، وهو افضل من صاحبه ، ومن انكره بالسيف لتكون كلمة الله العليا وكلمة الظالمين السفلى ، فذلك الذي اصاب سبيل الهدى ، وقام على الطريق ، ونور في قلبه اليقين . وقال (ع) : فمنهم المنكر للمنكر بقلبه ولسانه ويده ، فذلك المستكمل لخصال الخير ، ومنهم المنكر بلسانه وقلبه التارك بيده فذلك متمسك بخصلتين من خصال الخير ومضيع خصلة ، ومنهم المنكر بقلبه ، والتارك بيده ولسانه ، فذلك الذي ضيع اشرف الخصلتين من الثلاث وتمسك بواحدة ، ومنهم تارك لانكار المنكر بلسانه وقلبه ويده ، فذلك ميت الاحياء ، وما اعمال البر كلها والجهاد في سبيل الله عند الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا كنفثة في بحر لجي ، وان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقربان من اجل ولا ينقصان من رزق ، وافضل من ذلك كلمة عدل عند امام جائر . وفي خبر جابر عن الباقر عليه السلام : ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الانبياء ، ومنهاج الصلحاء ، فريضة عظيمة بها تقام الفرائض وتأمن المذاهب ، وتحل المكاسب وترد المظالم ، وتعمر الارض وينتصف من الاعداء ، ويستقيم الامر ، فانكروا بقلوبكم والفظوا بالسنتكم وصكوا بها جباههم ، ولا تخافوا في الله لومة لائم ، فان اتعظوا والى الحق رجعوا فلا سبيل عليهم ، انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم ، هنالك فجاهدوهم بابدانكم وابغضوهم بقلوبكم ، غير طالبين سلطاناً ولا باغين مالا ولا مريدين

لظالم ظهراً ، حتى يفيئوا الى امر الله ويمضوا على طاعته .

ثم ان للامر بالمعروف والنهي عن المنكر شرائط ذكرت في الكتب الفقهية .

فصل - مراتب الامر بالمعروف

اعلم ان للامر بالمعروف والنهي عن المنكر مراتب (الاولى) الانكار بالقلب بان يبغضه على ارتكاب المعصية ، وهذا مشروط بعلم الناهي واصرار المنهي ولايشترط بغيرها (الثانية) التعريف : بان يعرف المرتكب للمنكر بانه معصية ، فان بعض الناس قد يرتكب بعض المعاصي لجهلهم بانه معصية ولو عرف كونه معصية تركه (الثالثة) اظهار الكراهة والاعراض والمهاجرة (الرابعة) الانكار باللسان بالوعظ والنصح (الخامسة) المنع بالقهر مباشرة ، ككسر آلات اللهو واراقة الخمر واستلاب الثوب المغصوب منه ورده الى صاحبه وامثال ذلك « السادسة » التهديد والتخويف « السابعة » مباشرة الضرب باليد والرجل وغير ذلك ، من دون ان ينتهي الى شهر سلاح وجراح « الثامنة » الجرح بشهر بعض الاسلحة وجوزه سيدنا المرتضى رضي الله عنه من اصحابنا وجماعة . والباقون اشترطوا اذن الامام في ذلك .

الهجرة والتباعد

ولا ريب في كونه من نتائج العداوة والحقد او الحسد او البخل . فيكون

من رذائل قوة الغضب او الشهوة ، وهي من ذمائم الافعال . قال رسول الله « ص » : ايما مسلمين تهاجرا فمكثا ثلاثا لا يصطلحان إلا كانا خارجين من الاسلام ولم يكن بينهما ولاية . فايهما سبق الكلام لاخيه كان السابق الى الجنة يوم الحساب وقال « ص » : لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث الحديث . وقال الصادق « ع » : لا يفترق رجلان على الهجران إلا استوجب أحدهما البراءة واللعنة وربما استحق ذلك كلاهما . فقال له معتب . جعلني الله فداك . هذا للظالم . فما بال المظلوم ؟ قال لانه لايدعو الى صلته أخاه . ولا يتعامس له عن كلامه . سمعت ابي عليه السلام يقول : اذا تنازع أثنان فعادى أحدهما الاخر . فليرجع المظلوم الى صاحبه . حتى يقول لصاحبه : أى أخي أنا الظالم . حتى يقطع الهجران بينه وبين صاحبه . فان الله تبارك وتعالى حكم عدل . ياخذ للمظلوم من الظالم وقال « ع » لا يزال أبليس فرحاً ما أهتجر المسلمان . فاذا التقيا اصطكت ركبتاه وتخلعت اوصاله ونادى ياويله ما لقي من الثبور . وقال الباقر « ع » : ان الشيطان يغري بين المؤمن ، مالم يرجع أحدهم عن دينه . فاذا فعلوا ذلك استلقى على قفاه وتمدد ثم قال : فزت . فرحم الله أمرأ الف بين وليين لنا يا معشر المؤمنين تآلفوا وتعاطفوا . والاخبار الواردة في ذم الهجرة والتباعد كثيرة .

فصل - التزاور والتآلف

قد أشير الى أن ضد التباعد والهجران هو التزاور والتآلف . وهو من ثمرات

النصيحة والمحبة . وثوابه اكثر من أن يحصى . فعن ابي جعفر «ع» قال : قال رسول الله «ص» حدثني جبرائيل «ع» : أن الله عزوجل اهبط الى الارض ملكا . فاقبل ذلك الملك يمشي . حتى وقع الى باب عليه رجل يستأذن على رب الدار . فقال له الملك : حاجتك الى رب هذه الدار ؟ قال أخ لي مسلم زرته في الله تبارك وتعالى . فقال له الملك : ما جاء بك الا ذاك ؟ فقال : ما جاء بي الا ذاك قال : فاني رسول الله اليك وهو يقرئك السلام . ويقول : وجبت لك الجنة وقال الملك : ان الله عزوجل يقول : ايما مسلم زار مسلماً . فليس اياه زار . بل اياى زار وثوابه على الجنة .

وقال أميرالمؤمنين «ع» : لقاء الاخوان مغنم جسيم وان قلوا . وقال أبو جعفر الباقر «ع» : ان لله عزوجل جنة لا يدخلها إلا ثلاثة . رجل حكم على نفسه بالحق . ورجل زار أخاه المؤمن في الله . ورجل آثر أخاه المؤمن فى الله . وقال «ع» : ان المؤمن ليخرج الى أخيه يزوره فيوكل الله عزوجل به ملكا فيضع جناحاً في الارض وجناحاً في السماء يظله فاذا دخل الى منزله ناداه الجبار تبارك وتعالى : ايها المعظم لحق المتبع لآثار نبيي حق على اعظامك سلني أعطك . أدعني أجبك اسكت أبتدئك . فاذا انصرف شيعه الملك يظله بجناحه حتى يدخل الى منزله . ثم يناديه تبارك وتعالى : أيها المعظم لحق حق على اكرامك قد أوجبت لك جنتي . وشفعتك فى عبادي . وقال «ص» : أيما مؤمن خرج الي أخيه يزوره عارفاً بحقه . كتب الله له بكل خطوة حسنة ومحيت عنه سيئة ورفعت له درجة فاذا طرق الباب فتحت له أبواب السماء . فاذا التقيا وتصافحا وتعانقا أقبل عليهما بوجهه ثم باهى بهما الملائكة . فيقول : انظروا الى

عبدي تزاورا وتحابا في حق علي أن لا اعذبهما بالنار بعد ذا الموقف . فاذا انصرف شيعه ملائكة عدد نفسه وخطاه وكلامه يحفظونه عن بلاء الدنيا وبوائق الآخرة الى مثل تلك الليلة من قابل فان مات فيما بينهما اعفي من الحساب وان كان المزور يعرف من حق الزائر ما عرفه الزائر من حق المزور كان له مثل اجره .

وقال الصادق « ع » : من زار اخاه لله لا لغيره ، التماس موعد الله وتنجز ما عند الله ، وكل الله به سبعين الف ملك ينادونه : الا طبت وطابت لك الجنة . وقال « ع » : من زار اخاه في الله ، قال الله عزوجل : اياي زرت ، وثوابك علي ولست ارضى لك ثواباً دون الجنة . وقال « ع » : من زار أخاه في الله في مرض أو صحة ، لا يأتيه خداعاً ولا استبدالا وكل الله به سبعين الف ملك ينادون في قفاه ان طبت وطابت لك الجنة فانتم زوار الله ، وانتم وفد الرحمن حتى يأتي منزله فقال له بشير : جعلت فداك فان كان المكان بعيداً قال : نعم يا بشير وان كان المكان مسيرة سنة فان الله جواد ، والملائكة كثير يشيعونه حتى يرجع الى منزله . وقال « ع » : من زار أخاه في الله تعالى ولله ، جاء يوم القيامة يخطر بين قباطي من نور ، لا يمر بشيء الا أضاء له . حتى يقف بين يدي الله عزوجل ، فيقول الله عزوجل له : مرحباً ، واذا قال مرحباً أجزل الله عزوجل له العطية . وقال « ع » : لزيارة مؤمن في الله خير من عتق عشر رقبات مؤمنات ومن اعتق رقبة مؤمنة وقي بكل عضو عضوا من النار حتى أن الفرج يقي الفرج . وقال (ع) : لابي خديجة كم بينك وبين البصرة ؟ قال : في الماء خمس اذا طابت الريح ، وعلى الظهر ثمان ، ونحو ذلك ، فقال : ما أقرب هذا . تزاوروا وتعاهدوا بعضكم بعضاً

فانه لابد يوم القيامة يأتي كل انسان بشاهد شهد له على دينه ، وقال ان المسلم اذا راى اخاه كان حياة لدينه اذا ذكر الله . وقال رسول الله (ص) : مثل الاخوين اذا التقيا مثل اليدين تغسل احديها الاخرى ، ما لقى المؤمنان قط الا افاد الله احدهما من صاحبه خيراً .

والاخبار الواردة بهذه المضامين كثيرة ، والسر فيهذا الترغيب الشديد على تزاور المؤمنين وملاقاتهم : كونه دافعا للحسد والعداوة ، جالبا للتاليف والمحبة ، وهو اعظم ما يصلح به امر دنياهم وعقباهم ، ولذا ورد الثناء والمدح فى الآيات والاخبار على نفس الالفة ، وانقطاع الوحشة ، لا سيما اذا كانت الرابطة هى التقوى والدين ، وورد الذم في التفرقة والتوحش ، قال الله سبحانه (في مقام الامتنان على المؤمنين بنعمة الالفة) : لو انفقت ما فى الارض جميعاً ما الفت بين قلوبهم ، ولكن الله الف بينهم . وقال : فاصبحتم بنعمته اخواناً : اى بنعمة الالفة . وقال سبحانه وتعالى : واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا . وقال رسول الله (ص) : المؤمن الف مالوف ، ولا خير فيمن لا يالف ولا يؤلف . وهذا هو السر في الترغيب على التسليم والمصافحة والمعانقة . قال رسول الله (ص) اولى بالله وبرسوله من بدأ بالسلام . وقال اميرالمؤمنين (ع) : لا تغضبوا ولا تقبضوا ، افشوا السلام ، واطيبوا الكلام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنه بسلام . وقال (ع) : ان الله يحب افشاء السلام . وقال (ع) : من التواضع ان تسلم على من لقيت . وقال الصادق (ع) : تصافحوا فانها تذهب بالسخيمة ، وقال : مصافحة المؤمن افضل من مصافحة الملائكة .

وقال الباقر عليه السلام : ان المؤمنين اذا التقيا فتصافحا ادخل الله تعالى يده بين ايديهما ، واقبل بوجهه (١) على اشدهما حباً لصاحبه فاذا اقبل الله تعالى عليهما بوجهه ، تحاتت عنهما الذنوب ، كما تتحات الورق من الشجر . وقال رسول الله (ص) اذا لقي احدكم اخاه فليسلم وليصافحه ، فان الله تعالى اكرم بذلك الملائكة ، فاصنعوا صنع الملائكة .

وقال الصادق (ع) : ان المؤمنين اذا اعتنقا غمرتهما الرحمة ، فاذا التزما لا يريدان بذلك الا وجه الله ، ولا يريدان غرضاً من اغراض الدنيا ، قيل لهما : مغفوراً لكما ، فاستانفا فاذا اقبلا على الماء (٢) قالت الملائكة بعضها لبعض : تنحوا عنهما فان لهما سرا وقد ستر الله عليهما .

قطع الرحم

وهو ايذاء ذوي اللحمة والقرابة ، او عدم مواساتهم بما ناله من الرفاهية والثروة والخيرات الدنيوية ، مع احتياجهم اليه ، وباعثه اما العداوة او البخل أوالخسة ، ولا ريب في كونه من اعظم المهلكات المفسدة للدنيا والدين .

قال الله سبحانه : والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ، ويفسدون في الارض ، اولئك لهم اللعنة ، ولهم سوء الدار .

قال رسول الله (ص) : ابغض الاعمال الى الله الشرك بالله ، ثم قطيعة الرحم ثم الامر بالمنكر

(١) يده : رحمته وقوته . ووجهه : لطفه وعنايته (٢) الحديث (بدل الماء) ظ

والنهي عن المعروف ، وقال (ص) : لا تقطع رحمك وان قطعتك . وقال تعالى : انا الرحمن وهذه الرحم شققت لها اسماً من اسمى ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته . وقال (ص) : حافتا الصراط يوم القيامة الرحم والامانة ، فاذا مر الوصول للرحم المؤدي للامانة ، نفذ الى الجنة ، واذا مر الخائن للامانة القطوع للرحم ، لم ينفعها معه عمل ، وتكفأ به الصراط في النار .

وقال اميرالمؤمنين (ع) في خطبة له : اعوذ بالله من الذنوب التي تعجل الفناء فقام اليه عبد الله بن الكوى اليشكرى ، فقال : يا امير المؤمنين او تكون ذنوب تعجل الفناء ؟ فقال نعم ، ويلك قطيعة الرحم ، ان اهل البيت ليجتمعون ويتواسون وهم فجرة ، فيرزقهم الله ، وان اهل البيت ليتفرقون ويقطع بعضهم بعضا ، فيحرمهم الله وهم اتقياء . وقال عليه السلام : اذا قطعوا الارحام جعلت الاموال في ايدى الاشرار .

وقال الباقر (ع) : في كتاب علي صلوات الله عليه ثلاث خصال لا تموت صاحبهن ابداً حتى يرى وبالهن : البغي ، وقطيعه الرحم ، واليمين الكاذبة ، يبارز الله بها ، وان اعجل الطاعات ثواباً لصلة الرحم ، وان القوم ليكونون فجارا فيتواصلون فتنمى اموالهم ويثرون ، وان اليمين الكاذبة وقطيعة الرحم لتذران الديار بلاقع من اهلها ، وتنقل الرحم وان نقل الرحم انقطاع النسل .

وقال الصادق (ع) : اتقوا الحالقة فانها تميت الرجال ، قيل : وما الحالقة ؟ قال : قطيعة الرحم . وجاء رجل اليه (ع) فشكى اقاربه ، فقال له : اكظم وافعل ، فقال : انهم يفعلون ويفعلون ، فقال : اتريد ان تكون مثلهم فلا ينظر

الله اليكم ؟! . وكتب اميرالمؤمنين (ع) الى بعض عماله : مروا الاقارب ان يتزاوروا ، ولا يتجاوروا ، وذلك لان التجاور يورث التراحم على الحقوق ، وذلك ربما يورث التحاسد والتباغض. وقطيعة الرحم ، كما هو مشاهد في اكثر ابناء عصرنا واذا لم يتجاوروا وتباعدت ديارهم كان أقرب الى التحابب كما قيل بالفارسية « دورى ودوستي »

وصل - ضد قطيعة الرحم :

وهي تشريك ذوي اللحمة والقرابات بما ناله من المال والجاه وسائر خيرات الدنيا ، وهو اعظم القربات وافضل الطاعات .

قال الله سبحانه : واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احساناً وبذى القربى واليتامى (الى آخر الآية) . وقال : واتقوا الله الذي تساءلون به ، والارحام ان الله كان عليكم رقيباً . وقال : الذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ، ويخشون ربهم ، ويخافون سوء الحساب (الى قوله) اولئك لهم عقبى الدار .

وقال رسول الله (ص) : اوصى الشاهد من امتي والغائب ، ومن فى اصلاب الرجال وارحام النساء الى يوم القيامة : ان يصل الرحم ، وان كانت منه على مسيرة سنة ، فان ذلك من الدين . وقال (ص) : ان اعجل الخير ثواباً صلة الرحم . وقال (ص) من سره النساء، في الاجل والزيادة في الرزق فليصل رحمهوقال (ص) : ان القوم ليكونون فجرةولايكونون بررة ، فيصلون ارحامهم فتنمى اعمالهم ، وتطول اعمارهم، فكيف اذا

كانوا ابراراً بررة. وقال « ص » : الصدقة بعشرة ، والقرض بثمانية عشر ، وصلة الاخوان بعشرين ، وصلة الرحم باربعة وعشرين . وقيل له (ص) : اى الناس أفضل ؟ فقال : اتقاهم لله ، واوصلهم للرحم ، وآمرهم بالمعروف ، وانهاهم عن المنكر وقال « ص » : ان اهل البيت ليكونون فجاراً تنمو اموالهم ويكثر عددهم ، اذا وصلوا ارحامهم . وقال « ص » افضل الفضائل : ان تصل من قطعك ، وتعطى من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك . وقال « ص » : من سره ان يمد الله في عمره ، وان يبسط في رزقه ، فليصل رحمه ، فان الرحم لها لسان يوم القيامة ذلق تقول : يارب صل من وصلنى ، واقطع من قطعنى ، فالرجل ليرى بسبيل خير اذا اتته الرحم التي قطعها ، فتهوى به الى اسفل قعر في النار .

وقال اميرالمؤمنين « ع » : صلوا أرحامكم ولو بالتسليم ، يقول الله تعالى : واتقوا الله الذي تساءلون به ، والارحام ، ان الله كان عليكم رقيبا .

وقال الباقر « ع » : ان الرحم متعلقة يوم القيامة بالعرش ، تقول : اللهم صل من وصلني ، واقطع من قطعنى ، هذا تمثيل للمعقول بالمحسوس ، واثبات لحق الرحم على ابلغ وجه ، وتعلقها بالعرش كناية عن مطالبتها حقها بمشهد من الله « ١ » وقال « ع » : صلة الارحام تحسن الخلق ، وتسمح الكف ، وتطيب النفس ، وتزيد في الرزق ، وتنسئ في الاجل . وقال « ع » : صلة الارحام تزكى الاعمال ، وتنمى الاموال ، وتدفع البلوى ، وتيسر الحساب ، وتنسئ فى الاجل .

---

(١) او ان الله يخلق صورة باسم الرحم ـ كما ورد مثله فى باب خلق الموت بصورة الشاة ، الى غير ذلك .

قال الصادق « ع » : صلة الرحم والبر ليهونان الحساب ، ويعصمان من الذنوب فصلوا ارحامكم ، وبروا باخوانكم ولو بحسن السلام ورد الجواب . وقال « ع » : صلة الرحم تهون الحساب يوم القيامة ، وهي منسأة في العمر ، وتقي مصارع السوء وقال « ع » : صلة الرحم ، وحسن الجوار ، يعمران الديار ، ويزيدان في الاعمار وقال : ما نعلم شيئا يزيد في العمر الا صلة الرحم ، حتى ان الرجل يكون اجله ثلاث سنين ، فيكون وصولا للرحم ، فيزيد الله في عمره ثلاثين سنة ، فيجعلها ثلاثاً وثلاثين سنة ، ويكون اجله ثلاثاً وثلاثين سنة ، فيكون قاطعاً للرحم ، فينقصه الله تعالى ثلاثين سنة . ويجعل اجله الى ثلاث سنين ، والاخبار الواردة في فضيلة صلة الرحم وعظم مثوباتها اكثر من ان تحصى ، وما ذكرناه كاف لتنبيه الغافل .

عقوق الوالدين

وهو اشد انواع قطيعة الرحم ، اذ اخص الارحام وامتنها ما كان بالولادة ، فيتضاعف تأكد الحق فيها ، فهو كقطيعة الرحم ، اما يكون ناشئاً من الحقد والغيظ ، اومن البخل وحب الدنيا ، فيكون من رذائل احدى قوتي الغضب والشهوة .

ثم جميع ما يدل على ذم قطيعة الرحم يدل على ذم العقوق ، ولكونه اشد انواع القطيعة وافظعها وردت في خصوص ذمه آيات واخبار كثيرة كقوله تعالى : وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه ، وبالوالدين احساناً ، اما يبلغن عندك الكبر احدهما اوكلاهما ، فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريماً ، وقول رسول الله (ص) :

كن باراً ، واقصر على الجنة . وان كنت عاقاً فاقصر على النار ، وعن ابيجعفر عليه السلام قال : قال رسول الله (ص) (في كلام له) : اياكم وعقوق الوالدين ، فان ريح الجنة توجد من مسيرة الف عام ، ولا يجدها عاق ، ولا قاطع رحم ، ولا شيخ زان ، ولا جار ازاره خيلاء ، انما الكبرياء لله رب العالمين . وقوله « ص » : من اصبح مسخطاً لابويه ، اصبح له بابان مفتوحان الى النار . وعن ابيجعفر « ع » قال : ان ابي نظر الى رجل ومعه ابنه يمشي ، والابن متكيء على ذراع الاب ، قال : فما كلمه ابي مقتاً له حتى فارق الدنيا . وقال الصادق « ع » : من نظر الى ابويه نظر ماقت ، وهما ظالمان له ، لم يقبل الله له صلاة . وقال الصادق « ع » : اذا كان يوم القيامة كشف غطاء من اغطية الجنة ، فوجد ريحها من كانت له روح من مسيرة خمسمائة عام ، الا صنفاً واحداً ، فقيل له : من هم ؟ قال : العاق لوالديه ، وقال « ع » : لو علم الله شيئاً هو ادنى من اف ، لنهى عنه ، وهو ادنى العقوق ، ومن العقوق ان ينظر الرجل الى والديه ، فيحد النظر اليها . وسئل الكاظم « ع » : عن الرجل يقول لبعض ولده : بابي انت وامي ، او بابوي انت ، اترى بذلك بأساً ؟ فقال : ان كان ابواه حيين فارى ذلك عقوقاً ، وان كانا قد ماتا فلا بأس ، والاخبار في ذم العقوق اكثر من ان تحصى ، وورد في بعض الاخبار القدسية : بعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لو ان العاق لوالديه يعمل باعمال الانبياء جميعاً لم اقبلها منه .

وروى ايضاً ان اول ما كتب الله في اللوح المحفوظ : اني انا الله لا آله الا انا ، من رضى عنه والداه ، فانا منه راض ، ومن سخط عليه والداه . فانا عليه ساخط وقد ورد عن رسول الله « ص » انه قال : كل المسلمين يروني يوم القيامة . الا

عاق الوالدين • وشارب الخمر • ومن سمع اسمى ولم يصل علي •

وقد ثبت من الاخبار والتجربة ان دعاء الوالد على ولده لا يرد ويستجاب البتة ودلت الاخبار على ان من لا ترضى عنه امه • تشتد عليه سكرات الموت وعذاب القبر • وكفى للعقوق ذماً انه ورد في الاسرائيليات : انه تعالى اوحى الى موسى « ع » : ان من بر والديه وعقني كتبته برا ومن برني وعق والديه كتبته عاقا •

وصل - بر الوالدين

ضد العقوق « بر الوالدين » والاحسان اليهما ، وهو افضل القربات واشرف السعادات ، ولذلك ورد ما ورد من الحث عليه والترغيب اليه .

قال الله سبحانه : واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً . وقال : واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وبالوالدين احساناً .

وقال رسول الله (ص) : بر الوالدين افضل من الصلوة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله . وقال (ص) : من اصبح مرضياً لابويه اصبح له بابان مفتوحان الى الجنـة .

وعن ابيعبد الله (ع) قال ان رجلا اتى الى النبي (ص) ، فقال : يا رسول الله اوصني : فقال : لاتشرك بالله شيئاً وان حرقت بالنار وعذبت ، الا وقلبك مطمئن بالايمان ، ووالديك فاطعهما وبرهما حيين كانا اوميتين ، وان امراك ان تخرج من اهلك ومالك فافعل ، فان ذلك من الايمان ، وعنه (ع) قال : جاء رجل وسأل

النبي (ص) عن بر الوالدين ، فقال : ابرر امك ابرر امك ابرر امك ، ابررا باك ابررا باك ابررا باك ، وبدء بالام قبل الاب . وعنه (ع) قال : جاء رجل الى النبي (ص) فقال : يا رسول الله من ابر ؟ قال : امك ، قال : ثم من ؟ قال : امك ، قال ثم من ؟ قال : اباك ، واتاه رجل آخر ، وقال : اني رجل شاب نشيط واحب الجهاد ولي والدة تكره ذلك ، فقال له النبي (ص) : ارجع فكن مع والدتك ، فو الذي بعثني بالحق لانسها بك ليلة خير من جهاد في سبيل الله سنة . وقال ابو عبد الله (ع) ان رسول الله (ص) اتته اخت له من الرضاعة ، فلما نظر اليها سر بها وبسط ملحفته لها فاجلسها عليها ، ثم اقبل يحدثها ويضحك في وجهها ، ثم قامت فذهبت وجاء اخوها فلم يصنع به ما صنع بها ، فقيل له : يا رسول الله صنعت باخته ما لم تصنع به وهو رجل ؟ فقال : لانها كانت ابر بوالديها منه .

وقيل للصادق (ع) : اي الاعمال افضل ؟ قال الصلوة لوقتها ، وبر الوالدين والجهاد في سبيل الله . وقال له عليه السلام رجل ان ابي قد كبر جداً وضعف ، فنحن نحمله اذا اراد الحاجة ، فقال ان استطعت ان تلي ذلك منه فافعل ، ولقمه بيدك فانه جنة لك غداً . وقال له عليه السلام رجل : ان لي ابوين مخالفين ، فقال : برهما كما تبر المسلمين ممن يتولانا .

وقال رجل للرضا (ع) : ادعو لوالدي اذا كانا لايعرفان الحق ؟ قال : ادع لهما ، وتصدق عنهما ، وان كانا حيين لايعرفان الحق فدارهما ، فان رسول الله (ص) قال : ان الله بعثني بالرحمة ، لا بالعقوق . وقد وردت اخبار اخر الامر في البر والاحسان الى الوالدين وان كانا على خلاف الحق ، وقال (ع) : ما يمنع الرجل منكم ان يبر والديه حيين وميتين ، ويصلي عنهما ، ويتصدق عنهما ، ويحج عنهما ،

ويصوم عنهما ، فيكون الذي صنع لهما ، وله مثل ذلك فيزيده الله عزوجل ببره وصلاته خيراً كثيراً . واعلم ان حق كبير الاخوة على صغيرهم عظيم ، فينبغي محافظته ، قال رسول الله (ص) : حق كبير الاخوة على صغيرهم كحق الوالد على الولد .

تذنيب - حق الجوار

حق الجوار قريب من حق الرحم ، اذ الجوار يقتضي حقاً وراء ما تقتضيه اخوة الاسلام ، فيستحق الجار المسلم ما يستحقه كل مسلم وزيادة ، فمن قصر في حقه عداوة اوبخلا فهو آثم .

قال رسول الله (ص) : الجيران ثلاثة ، فمنهم من له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق الاسلام ، وحق القرابة ، ومنهم من له حقان : حق الاسلام . وحق الجوار ومنهم من له حق واحد . الكافر له حق الجوار . فانظر كيف اثبت للكافر حق الجوار وقال « ص » : احسن مجاورة من جاورك تكن مؤمناً . وقال « ص » من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره . وقال « ص » لا ايمان لمن لم يامن جاره بوائقه . وقيل له « ص » فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتتصدق وتؤذي جارها بلسانها فقال « ص » لاخير فيها هي من اهل النار .

وعن علي ﴿ع﴾ قال ان رسول الله ﴿ص﴾ كتب بين المهاجرين والانصار ومن لحق بهم من اهل يثرب ان الجار كالنفس غير مضار ولا آثم وحرمة الجار على الجار كحرمة امه .

وقال الصادق ﴿ع﴾ حسن الجوار زيادة فى الاعمار وعمارة في الديار . وقال عليه السلام ليس منا من لم يحسن مجاورة من جاوره وقال ﴿ع﴾ قال رسول الله (ص) ما آمن بي من بات شبعانا وجاره جائع . وقال : ان يعقوب «ع» لما ذهب عنه بنيامين نادى يا رب اما ترحمني ، اذهبت عيني ، واذهبت ابني ، فاوحى الله تبارك وتعالى اليه : لوامتهما لاحييتهما لك ، اجمع بينك وبينهما ، ولكن تذكر الشاة التي ذبحتها وشويتها واكلت وفلان الى جانبك صائم لم تنله منها شيئاً ، وفى رواية اخرى فكان بعد ذلك ، يعقوب ينادي مناديه كل غداة ومساء من منزله على فرسخ : الا من اراد الغداء او العشاء فليأت الى يعقوب ، وفي بعض الاخبار : ان الجار الفقير يتعلق بجاره الغني يوم القيامة ويقول : سل يا رب هذا لم منعني معروفه ، وسد بابه دوني ؟

طلب العثرات

وتجسس العيوب والعورات واظهارها . ولاريب فى كونه من نتائج العداوة والحسد . وربما حدث في القوة الشهوية ردائة توجب الاهتزاز والانبساط من ظهور عيب بعض المسلمين . وان لم يكن عداوة وحقداً . كما قيل :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة   ولكن عين السخط تبدى المساويا

ومن تصفح الآيات والاخبار يعلم ان من يتتبع عيوب المسلمين . ويظهرها بين الناس اسوء الناس واخبثهم . قال الله تعالى : ولا تجسسوا . وقال سبحانه : ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب اليم وقال رسول ﴿ص﴾ : من

اذاع فاحشة كان كمبتدئها · ومن عير مؤمناً بشيء لم يمت حتى يرتكبه . وقال ﴿ص﴾ كل امتي معافى الا المجاهرين . والمجاهرة ان يعمل الرجل سوء فيخبر به · وقال ﴿ص﴾ من استمع خبر قوم وهم له كارهون · صبت فى اذنيه الآنك يوم القيامة · وعن ابيجعفر ﴿ع﴾ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا معشر من اسلم بلسانه ولم يسلم بقلبه · لا تتبعوا عثرات المسلمين · فانه من يتتبع عثرات المسلمين يتتبع الله عثراته ومن تتبع الله عثراته يفضحه وقال الباقر ﴿ع﴾ : من اقرب مايكون العبد الى الكفر · ان يؤاخي الرجل الرجل على الدين فيحصى عليه زلاته ليعيره بها يوماً ما · وقال الصادق ﴿ع﴾ : من انب مؤمناً · انبه الله عزوجل في الدنيا والآخرة · وقيل للصادق ﴿ع﴾ : شيء يقوله الناس : عورة المؤمن على المؤمن حرام ؟ فقال : ليس حيث تذهب · انما عورة المؤمن ان يراه يتكلم بكلام يعاب عليه فيحفظه عليه ليعيره به يوماً اذا غضب · وقال الباقر ﴿ع﴾ : قال رسول الله ﴿ص﴾ : ان اسرع الخير ثواباً البر · واسرع الشر عقوبة البغي · وكفى بالمرء عيباً ان يبصر من الناس ما يعمى عنه · وان يعير الناس بما لا يستطيع تركه وان يؤذي جليسه بما لا يعنيه · والاخبار الواردة بامثال هذه المضامين كثيرة ·

وصل - ستر العيوب

ضد كشف العيوب سترها واخفائها · وهو من اعظم شعب النصيحة · ولاحد لثوابه كما يستفاد من الاخبار الكثيرة ·

قال رسول الله ﴿ص﴾ من ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة وقال ﴿ص﴾ لا يستر عبد عيب عبد الا ستره الله يوم القيامة وقال ﴿ص﴾ لايرى امرؤ من أخيه عورة فيسترها عليه الادخل الجنة وكفى بستر العيوب فضلا انه من اوصاف الله سبحانه . ومن شدة اعتنائه بستر الفواحش اناط ثبوت الزنا وهو افحشها بما لايمكن اتفاقه الا نادراً ، وهو مشاهدة اربعة عدول كالميل فيالمكحلة فانظر الى انه تعالى كيف اسبل الستر على العصاة من خلقه في الدنيا ، بتضييق الطرق المؤدية الى كشفه ، ولا تظنن انك تحرم هذا الستر يوم تبلى السرائر ، فقد ورد في الحديث : ان الله تعالى اذا ستر على عبده عورته في الدنيا ، فهو اكرم من ان يكشفها في الآخرة .

وورد ايضاً : انه يؤتى يوم القيامة بعبد يبكي ، فيقول الله سبحانه له : لم تبكي؟ فيقول : ابكي على ما سينكشف عني من عورتي اوعيوبي عند الناس والملائكة ، فيقول الله : عبدي ما افضحتك في الدنيا بكشف عيوبك وفواحشك وانت تعصيني وتضحك فكيف افضحك اليوم بكشفها وانت لا تعصيني وتبكي . وفي خبر آخر : ان رسول الله صلى الله عليه وآله يطلب يوم القيامة من الله سبحانه الا يحاسب امته بحضرة من الملائكة والرسل وسائر الامم ، لئلا تظهر عيوبهم عندهم ، بل يحاسبهم بحيث لايطلع على معاصيهم غيره سبحانه وسواه صلى الله عليه وآله ، فيقول الله سبحانه : ياحبيبي انا ارأف بعبادي منك ، فاذا كرهت كشف عيوبهم عند غيرك ، فانا اكره كشفها عندك ايضاً ، فاحاسبهم وحدي بحيث لايطلع على عثراتهم غيري .

افشاء السر واذاعته

وهو اعم من كشف العيب ، اذا السر قـد يكون عيباً وقد لا يكون بعيب ولكن فى افشائه ايذاء واهانة بحق الاصـدقاء او غيرهم من المسلمين ، وهو مذموم منهي عنه قال رسول الله « ص » : إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت ، فهي امانة وقال « ص » : الحديث بينكم اما نة . وورد : ان من الخيانة ان تحدث بسر اخيك . وقال عبد الله بن سنان للصادق « ع » عورة المؤمن على المؤمن حرام ؟ فقال نعم . قلت : يعني سفلته ؟ قال ليس حيث تذهب انما هو اذاعة سره .

فصل - كتمان السر

ضد افشاء السر كتمانه ، وهو من الافعال المحمودة وقد امر به في الاخبار قال رسول الله « ص » : طوبى لعبـد نومة ، عرفـه الله ولم يعرفه النـاس ، اولئك مصابيح الهدى ، وينا بيع العلم ، تنجلى عنهم كل مظلمة ، ليسوا با لمذاييع البذر ، ولا الجفاة المرائين . وقال امير المؤمنين « ع » : طوبى لعبـد نومه لايؤبه له ، يعرف الناس ولا يعرفه الناس ، يعرفه الله منه برضوان ، اولئـك مصابيـح الهدى ، تنجلي عنهم كل فتنة ، ويفتح لهم باب كل رحمة ، ليسوا با لبذر المذاييع ، ولا الجفاة المرائين وقال (ع) : قولوا الخير تعرفوا به ، واعملوا الخير تكونوا من اهله . ولا تكونوا

عجلا مذاييع ، فان خيار كم الذين اذا نظر اليهم ذكر الله ، وشرار كم المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة ، المبتغون للبراء المعايب .

تنبيه النميمة

النميمة تطلق فى الاكثر على ان ينم قول الغير الى المقول فيه ، كأن يقال فلان تكلم فيك بكذا وكذا ، اوفعل فيك كذا وكذا ، وعلى هذا تكون نوعا خاصاً من افشاء السر ، وهتك الستر ، وهو الذي يتضمن فساداً اوسعاية ، وقد تطلق على ما لا يختص بالمقول فيه ، بل على كشف ما يكره كشفه ، سواء كره المنقول عنه او المنقول اليه او كرهه ثالث ، وسواء كان الكشف بالقول او الكتابة او بالرمز والايماء ، وسواء كان المنقول من الاعمال اومن الاقوال ، وسواء كان ذلك عيباً ونقصانا على المنقول عنه ، اولم يكن ، وعلى هذا يكون مساوية لافشاء السر وهتك الستر ، وحينئذ فكل ما يرى من اعمال الناس ، ولم يرضوا بافشاءه فاذاعته نميمة فاللازم على كل مسلم ان يسكت عما يطلع عليه من احوال غيره ، الا اذا كان فى حكايته نفع لمسلم اودفع لمعصية ، كما اذا راى احداً يتناول مال غيره ، فعليه ان يشهد به مراعاة لحق المشهود له ، واما اذا رآه يخفي ما لا لنفسه ، فحكايته نميمة وافشاء للسر .

ثم الباعث على النميمة يكون غالباً ارادة السوء بالمحكي عنه ، فيكون داخلا تحت الايذاء ، وربما كان باعثه اظهار المحبة للمحكي له ، او التفريح بالحديث ، او

الخوض في الفضول ، وعلى اي تقـدير لاريب في ان النميمة ارذل الافعال القبيحة ، واشنعها .

وما ورد في ذمها من الآيات والاخبار لايحصى كثرته . قال الله سبحانه هماز مشاء بنميم ، مناع للخير معتد اثيم : عتل بعد ذلك زنيم : والزنيم هو ولد الزنا ، فيستفاد من الآية ان كل من يمشي بالنميمة فهو ولد الزنا . وقال سبحانه : ويل لكل همزة لمزة : اي النمام المغتاب . وقال رسول الله (ص) : لايدخل الجنة نمام . وفي خبر آخر : لا يدخل الجنـة قتات : اي النمام . وقال (ص) احبكم الى الله احسنكم اخلاقاً الموطئون اكنافاً ، الذين يألفون ويؤلفون ، وان ابغضكم الى الله المشاؤن بالنميمة ، المفرقون بين الاحبة ، الملتمسون للبراء العثرات . وقال (ص) : الا انبئكم بشراركم ؟ قالوا بلى يا رسول الله ، قال : المشاؤن بالنميمة ، المفرقون بين الاحبة ، الباغون للبراء المعايب . وقال (ص) : من اشار على مسلم كلمة ، ليشينه بها في الدنيا بغير حق شانه الله في النار يوم القيامة . وقال (ص) : ايما رجل اشـاع على رجل كلمة ، وهو منها بريء ليشينه بها في الدنيا ، كان حقـاً على الله ان يدينه بها يوم القيامة في النار . وقال (ص) : ان الله لما خلق الجنة ، قال لها تكلمي ، قالت : سعد من دخلني ، قال الجبار جل جلاله : وعزتي وجلالي لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس : لايسكنك مدمن خمر ، ولا مصر على الزنا ، ولا قتات (وهو النمام) ، ولا ديوث ، ولا شرطي ، ولا مخنث ، ولا قاطع رحم ، ولا الذي يقول على عهـد الله ان افعل كذا وكذا ثم لم يف به .

وقال الباقر عليه السلام : الجنـــة محرمة على المغتابين ، المشائين بالنميمة .

وقال (ع) : يحشر العبد يوم القيامة وما ندا دماً (١) فيدفع اليه شبه المحجمة ، او فوق ذلك ، فيقال له : هذا سهمك من دم فلان ، فيقول : يارب انك لتعلم انك قبضتني ، وما سفكت دماً ، فيقول : بلى ، سمعت من فلان رواية كذا وكذا فرويتها عليه ، فنقلت حتى صارت الى فلان الجبار ، فقتله عليها ، وهذا سهمك من دمه .

وقال الصادق (ع) : من روى على مؤمن رواية ، يريد بها شينه وهدم مروته ليسقط من اعين الناس ، اخرجه الله تعالى من ولايته الى ولاية الشيطان ولا يقبله الشيطان .

وروى : انه اصاب بني اسرائيل قحط ، فاستسقى موسى مرات فما اجيب ، فاوحى الله تعالى اليـه : اني لا استجيب لك ولمن معك ، وفيكم نمام قد اصر على النميمة ، فقال موسى (ع) يارب من هو حتى نخرجه من بيننا ؟ فقال : يا موسى انهاكم عن النميمة واكون نماماً ، فتابوا باجمعهم فسقوا ، وروى : ان ثلث عذاب القبر من النميمة ، ومن عرف حقيقـة النميمة يعلم ان النمام شر الناس واخبثهم ، كيف وهو لا ينفك من الكذب ، والغيبة ، والغدر ، والخيانة ، والغل ..

وروى محمد بن فضيل عن الكاظم (ع) انه قال له (ع) : جعلت فداك الرجل من اخواني يبلغني عنه الشيء الذي اكرهه ، فاساله عنه ، فينكر ذلك ، وقد اخبرني عنه قوم ثقات ، فقال لي يا محمد : كذب سمعك وبصرك عن اخيك ، فان شهد عندك خمسون قسامة . فقال لك قولا . فصدقـه . وكذبهم (٢) ولا تذيعن عليه

---

(١) اي ما سفك دماً

(٢) المراد تكذيبهم عملا بمعنى عدم الاذاعة عليه كما فسره (ع) ، لكن يلزم ان يأخذ حذره عنه كما في قصـة الصادق (ع) مع ولده إسماعيل . كما انـه يجب إجراء الحدود الشرعية بالشهادة اذا إجتمعت شرائطها .

شيئاً تشينه به . وتهدم مروته . فتكون من الذين قال الله : ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب شديد .

وقد روى عن أمير المؤمنين (ع) : ان رجلا اتاه يسعى اليه برجل . فقال (ع) ياهذا نحن نسئل عمن قلت . فان كنت صادقاً مقتناك . وان كنت كاذباً عاقبناك . وان شئت ان نقيلك اقلناك قال : اقلنى ياامير المؤمنين .

ونقل : ان رجلا زار بعض الحكماء وأخبره بخبر عن غيره . فقال : قد أبطأت عنى الزيارة . وبغضت الى أخي . وشغلت قلبي الفارغ . واتهمت نفسك الامينة .

تتمة السعاية

السعاية هى النميمة . بشرط كون المحكى له من يخاف جانبه : كالسلاطين والامراء والحكماء والرؤساء وأمثالهم . فهي أشد أنواع النميمة اثماً ومعصية وهي ايضاً تكون من العداوة وحب المال وطمعه . فتكون من ردائة القوتين وخباثتها . قال رسول الله صلى الله عليه وآله : الساعي بالناس الى الناس لغير رشده . يعنى ليس ولد الحلال . وذكرت السعاية عند بعض الأكابر . فقال : ماظنك بقوم يحمد الصدق من كل طبقة إلا منهم . ويلزم عدم تصديق النمام والساع لقوله : « ان جائكم فاسق بنبأ فتبينوا »

الفساد بين الناس

وهو في الأكثر يحصل بالنميمة . وان لم يوجب كل نميمة افساداً . ولاريب في كونه من المهلكات المؤدية الى النار قال الله سبحانه : الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه . ويقطعون ما أمر الله به ان يوصل ويفسدون فى الارض اولئك هم الخاسرون . وقال رسول الله «ص» ان فساد ذات البين هي الحالقة

وصل - الاصلاح

وضده الاصلاح بين الناس ، وهو اعظم افـراد النصيحة ، ولا غاية لمثوبته عند الله قال رسول الله (ص) : افضل الصدقة اصلاح ذات البين . وقال (ص) : اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم ، فان الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة . وقال « ص » : ليس الكذاب بالذي يصلح بين الناس ، فينمي خيراً . وقال صلى الله عليه وآله : كل الكذب مكتوب . الا ان يكذب الرجل في الحرب . فان الحرب خدعة . اويكذب بين اثنين ليصلح بينهما الخ .

وقال الصادق (ع) : صدقة يحبها الله تعالى اصلاح بين الناس اذا تفاسدوا . وتقارب بينهم اذا تباعدوا . وقال (ع) : للمفضل : اذا رأيت بين اثنين من شيعتنا منازعة . فافتدها من مالي . وقال (ع) لابن عمار : ابلغ عني كذا وكذا في اشياء

امر بها . فقال له ابن عمار : فا بلغهم عنك . واقول عني ما قلت لي وغير الذي قلت ؟ قال : نعم ان المصلح ليس بكذاب . وقال عليه السلام : المصلح ليس بكاذب يعني اذا تكلم بما لا يطابق الواقع فيما يتوقف عليه الاصلاح لم يعد كلامه كذباً . وهذا يدل على وجوب الاصلاح بين الناس . لان ترك الكذب واجب . ولا يسقط الواجب الا بواجب آكد منه .

الشماتة

وهي : اظهار ما حدث بغيره من البلية والمصيبة انما هو من سوء فعله واسائته ، والغالب صدوره عن العداوة او الحسد ، والتجربة والاخبار شاهدان على ان كل من شمت بمسلم في مصيبة لم يخرج من الدنيا حتى يبتلى بمثلها ويشمت به غيره فيها : قال الصادق (ع) : لاتبدي الشماتة لاخيك فيرحمه الله ، ويحلها بك . وقال (ع) : من شمت بمصيبة نزلت باخيه لم يخرج من الدنيا حتى يفتتن .

المراء والجدال والخصومة

اعلم ان المراء طعن في كلام الغير لاظهار خلل فيه من غير غرض سوى تحقيره واهانته ، واظهار تفوقه وكياسته ، والجدال مراء يتعلق باظهار المسائل الاعتقادية وتقريرها ، والخصومة لجاج في الكلام لاستيفاء مال او حق مقصود ، وهذه تكون تارة ابتداء و تارة اعتراضاً والمراء لايكون الا اعتراضاً على كلام سبق ، فالمراء داخل

تحت الايذاء ، ويكون ناشئاً من العداوة او الحسد ، واما الجدال والخصومة فربما صدرا من احدها ايضاً ، وربما لم يصدرا منه .

« وبالجملة » المراء والجدال والخصومة سوى ما استثنى ، من ذمائم الافعال ومبادىء اكثر الشرور والفتن ، ولذا ورد بها الذم الشديد في الاخبار ، قال رسول الله (ص) : من جادل في الخصومة بغير علم لم يزل في سخط حتى ينزع . وقال (ص) : ان ابغض الرجال الى الله الا لد الخصم . وقال (ص) : ما اتاني جبرئيل قط الا وعظني ، فآخر قوله لي : اياك ومشادة الناس فانها تكشف العورة ، وتذهب بالعز . وقال امير المؤمنين عليه السلام : اياكم والمراء والخصومة ، فانهما يمرضان القلوب على الاخوان ، وينبت عليهما النفاق . وقال علي بن الحسين عليه السلام : ويل امة فاسقاً من لا يزال مماريا ، ويل امة فاجراً من لا يزال مخاصماً ، ويل امة آثما من كثر كلامه في غير ذات الله ، وقال الصادق (ع) : لا تمارين حليما ولا سفيهاً ، فان الحليم يقلبك (١) والسفيه يؤذيك . وقال : اياكم والمشادة ، فانها تورث المعرة ، وتظهر العورة . وقال (ع) : اياكم والخصومة ، فانها تشغل القلب ، وتورث النفاق وتكسب الضغائن . فمن تأمل فيما يدل على ذمها وسوء عاقبتها عقلا ونقلا مع عدم ترتيب فائدة عليها وتذكر ما ورد في مدح تركها ، وفوائد ضدها اعني : طيب الكلام يسهل عليه ان يتركها ولا يحوم حولها .

---

(١) يغلبك « خ »

وصل - طيب الكلام

ثم ان ضد الرذائل الثلاث : طيب الكلام ، وما ورد في مدحه وفي ثواب تركها اكثر من ان يحصى . قال رسول الله (ص) : ثلاث من لقي الله تعالى بهن دخل الجنة من اي باب شاء : من حسن خلقه ، وخشي الله في المغيب والمحضر ، وترك المراء وان كان محقاً . وقال (ص) : يمكنكم من الجنة طيب الكلام ، واطعام الطعام . وقال (ص) : ان في الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها ، اعدها الله لمن اطعم الطعام ، واطاب الكلام . وقال (ص) : الكلمة الطيبة صدقة . وروى : ان عيسى (ع) مر به خنزير ، فقال : مر بسلامة فقيل له : يا روح الله ، تقول هذا للخنزير ؟ فقال : اكره ان اعود لساني الشر . وقال بعض الحكماء : الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة في الجوانح .

السخرية والاستهزاء

وهو محاكاة اقوال الناس ، او افعالهم ، اوصفاتهم وخلقهم ، قولا وفعلا ، او ايماء واشارة ، على وجه يضحك منه ، وهو مذموم شرعاً وعقلا قال الله جل شأنه لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيراً منهم . وقال رسول الله (ص) : ان

المستهزئين بالناس يفتح لاحدهم باب من الجنة ، فيقال : هلم هلم ، فيجيء بكربه وغمه ، فاذا اتى اغلق دونه ، ثم يفتح له باب آخر ، فيقال : هلم هلم فيجيء بكربه وغمه ، فاذا اتى اغلق دونه ، فما يزال كذلك ، حتى يفتح له الباب ، فيقال له : هلم هلم ، فما يأتيه . وقال ابن عباس في قوله تعالى : يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها : الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمن ، والكبيرة القهقهة بذلك وفيه اشارة الى ان الضحك على الناس من الجرائم العظيمة .

المزاح

واصله مذموم منهى عنه ، وسببه اما خفة فى النفس ، فيكون من رذائل القوة الغضبية ، او ميل النفس وشهوتها اليه ، اوتطييب خاطر بعض اهل الدنيا طمعاً فىماهم فيكون من رذائل القوة الشهوية ، وسبب الذم فيه انه يسقط المهابة والوقار ، وربما ادى الى التباغض و الوحشة والضغينة ، وربما انجر الى الهزل والاستهزاء ، وادخل صاحبه فى جملة المستهزأ بهم ، وربما صار باعثاً لظهور العداوة وربما جر الى اللعب قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لا تمار اخاك ، ولا تمازحه . وقال بعض الاكابر لابنه يا بني لا تمازح الشريف ، فيحقد عليك ، ولا الدني فيجترىء عليك . وقال آخر : اياكم والممازحة ، فانها تورث الضغينة ، وتجر الى القطيعة . وقال آخر : المزاح مسلبة للبهاء ، ومقطعة للاصدقاء . وقيل : لكل شيء بذر وبذر العداوة المزاح ومن مفاسد المزاح انه سبب للضحك ، وهو منهي عنه قال الله تعالى : فليضحكوا

قليلا ، وليبكوا كثيراً . وقال رسول الله (ص) : ان الرجل ليتكلم با لكلمة ، فيضحك بها جلسائه ، يهوى بها ابعد من الثريا . وقال : لو تعلمون ما اعلم ، لبكيتم كثيراً ، ولضحكتم قليلا . وهو يدل على ان الضحك علامة الغفلة عن الآخرة .

وقال بعض : من كثر ضحكه قلت هيبته ، ومن مزح استخف به ، ومن اكثر من شيء عرف به ، ومن كثر كلامه كثر سقطه ، ومن كثر سقطه قل حياؤه ، و من قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه . و خاطب عارف نفسه . وقال : اتضحك ؟ ! ولعل اكفانك قد خرجت من عند القصار . وقال رجل لاخيه : ياخي هل اتاك انك وارد النار ؟ قال نعم . قال : فهل اتاك انك خارج منها ؟ فقال : لا قال ففيم الضحك ؟ فما رئي بعد ذلك ضاحكا حتى مات . و نظر بعضهم الى قوم يضحكون في يوم الفطر . فقال ان كان هؤلاء قد غفر لهم . فما هذا فعل الشاكرين . وان كان لم يغفر لهم . فما هذا فعل الخائفين . ثم المذموم من الضحك هو القهقهة . والتبسم الذي ينكشف فيه السن ولا يسمع الصوت ليس مذموماً بل محمود لفعل النبي « ص » .

تذنيب - المذموم من المزاح

الحق ان المذموم من المزاح هو الافراط فيه . والمداومة عليه . او ما يؤدي الى الكذب والغيبة وأمثالها . ويخرج صاحبه عن الحق . واما القليل الذي يوجب انبساط خاطر وطيبة قلب . ولا يتضمن ايذاء ولا كذبا ولا باطلا فليس مذموماً . لقول النبي « ص » اني لامزح . ولا أقول إلا حقاً . ولما

روى انهم قالوا له (ص) : يا رسول الله انك تداعبنا ، فقال : اني وان داعبتكم فلا اقول الا حقا . ولما روت العامة : انه (ص) كان كثير التبسم ، وكان افكه الناس

وورد : ان رسول الله (ص) كساذات يوم واحدة من نسائه ثوباً واسعاً ، وقال لها : البسيه واحمدي وجرى منه ذيلا كذيل العروس . وقال (ص) : لا تدخل الجنة عجوز ، فبكت عجوز ، فقال : انك لست يومئذ بعجوز . وجائت امرئة اليه وقالت : ان زوجي يدعوك ، فقال صلى الله عليه وآله : زوجـــك هو الذي بعينه بياض ، قالت : والله ما بعينه بياض ، فقال : بلى ان بعينه بياضاً ، فقالت : لا والله ، فقال : ما من احد الا بعينه بياض ، واراد به البياض المحيط بالحدقة . وجائته امراة اخرى ، وقالت : احملني يارسول الله على بعير ، فقال : بل نحملك على ابن البعير ، فقالت ما اصنع به ، انه لايحملني ، فقال صلى الله عليه وآله : هل من بعير الا وهو ابن بعير وكان صلى الله عليه وآله يدلع لسانه للحسين عليه السلام فيرى لسانه فيهش له . وقال لصهيب وبه رمد وهو ياكل التمر : اتأكل التمر وانت ارمد ؟ فقال : انما اكل بالشق الآخر ، فتبسم رسول الله (ص) حتى بدت نواجده ، وروى : ان خوات بن جبير كان جالساً الى نسوة من بني كعب بطريق مكة ، وكان ذلك قبل اسلامه ، فطلع عليه رسول الله « ص » فقال : ما لك مع النسوة ؟ قال : يفتلن ضفيراً لجمل لي شرود فمضى رسول الله لحاجته ثم عاد ، فقال : يا اباعبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد ؟ قال : فسكت ، واستحييت ، وكنت بعد ذلك استخفى منه حياء حتى اسلمت وقدمت المدينة ، فاطلع علي يوماً وانا اصلي في المسجد ، فجلس الى فطولت الصلوة ، فقال : لا تطول ، فاني انتظرك ، فلما فرغت ، قال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل

الشراد بعد ؟ قلت والذي بعثك بالحق نبياً ما شرد منذ اسلمت ، فقال الله اكبر ، الله اكبر ، اللهم اهد ابا عبد الله فحسن اسلامه . وكان نعيمان الانصاري رجلا مزاحاً فاذا دخل المدينة شيء نفيس من اللباس اوالمطاعم ، اشترى منه وجاء به الى رسول الله (ص) ، ويقول : هذا اهديته لك ، فاذا جاء صاحبه يطالبه بثمنه جاء به الى رسول « ص » وقال يا رسول الله اعطه ثمن متاعه ، فيقول له النبي صلى الله عليه وآله : اولم تهده لنا ؟ فيقول : لم يكن عندي والله ثمنه ، واحببت ان تأكل منه ، فيتبسم رسول الله ، ويأمر لصاحبه بثمنه .

الغيبة

وهي ان يذكر الغير بما يكرهه لو بلغه ، سواء كان ذلك بنقص في بدنه ، اوفي اخلاقه ، اوفي اقواله ، اوفي افعاله المتعلقة بدينه اودنياه ، بل وان كان بنقص في ثوبه ، او داره ، اودابته ، والدليل على هذا التعميم (بعد اجماع الامة على ان من ذكر غيره بما يكرهه اذا سمعه فهو مغتاب) ما روى عن رسول صلى الله عليه وآله انه قال : هل تدرون ما الغيبة ؟ قالوا الله ورسوله اعلم ، قال ذكرك اخاك بما يكره ، قيل له ارأيت ان كان في اخي ما اقول ؟ قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وان لم يكن فيه فقد بهته . وما روى انه ذكر رجل عنده فقالوا ما اعجزه ، فقال « ص » اغتبتم اخاكم ، قالوا يا رسول الله قلنا ما فيه ، قال ان قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه وما روى عن عائشة قالت دخلت علينا امرأة ، فلما ولت اومأت بيدي انها قصيرة

فقال عليه السلام اغتبتها . وما روى انها قالت اني قلت لامراة مرة ، وانا عند النبي « ص » ان هذه لطويلة الذيل . فقال لي الفظي الفظي فلفظت مضغة لحم . وقد روى ان احد الشيخين قال للاخر ان فلاناً لنؤم . ثم طلب ادما من رسول الله ليأكلا به الخبز فقال « ص » قد ائتدمتما . فقالا ما نعلمه . فقال بلى انكما اكلتما من لحم صاحبكما .

وسئل الصادق « ع » عن الغيبة فقال هو ان تقول لاخيك في دينه ما لم يفعل وتبث عليه امراً قد ستره الله عليه ، لم يقم عليه فيه حد . وقال عليه السلام : الغيبة ان تقول في اخيك ما ستره الله عليه ، واما الامر الظاهر فيه مثل الحدة والعجلة ، فلا . وقال الكاظم عليه السلام : من ذكر رجلا من خلفه بما هو فيه مما عرفه الناس لم يغتبه ، ومن ذكره من خلفه بما هو فيه مما لا يعرفه الناس ، اغتابه ، ومن ذكره بما ليس فيه بهته .

ثم المستمع للغيبة احد المغتابين ، كما ورد به الخبر ، وقد دل على ذلك ايضاً ما تقدم من حديث الشيخين ، وما روى انه صلى الله عليه وآله لما رجم ماعزاً في الزنا قال رجل لآخر : هذا اقعص كما يقعص الكلب ، فمر النبي (ص) معهما بجيفة ، فقال : انهشا من هذه الجيفة ، فقالا : يا رسول الله ننهش جيفة ؟ فقال : ما اصبتما من اخيكما انتن من هذه ، فجمع بينهما ، مع ان احدهما كان قائلا والآخر مستمعاً .

فصل - في ذم الغيبة

لما علمت حقيقة الغيبة ، فاعلم انها اعظم المهلكات ، واشد المعاصي ، وقد نص

الله سبحانه على ذمها في كتابه ، وشبه صاحبها بآكل لحم الميتة . فقال : ولاتجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً ، ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا ؟ ! فكرهتموه . وقال سبحانه : لايحب الله الجهر با لسوء من القول الا من ظلم ، وكان الله سميعاً عليما . وقال سبحانه : ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد . وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه ، والغيبة تتناول العرض ، وقال صلى الله عليه وآله : اياكم والغيبة فان الغيبة اشد من الزنا ، فان الرجل قد يزني ويتوب فيتوب الله عليه ، وان صاحب الغيبة لايغفر له ، حتى يغفر له صاحبه . وقال صلى الله عليه وآله : مررت ليلة اسرى بي على قوم يخمشون وجوههم با ظافيرهم فقلت : يا جبرئيل من هؤلاء ؟ قال : الذين يغتابون الناس ، ويقعون في اعراضهم . وخطب (ص) يوماً حتى اسمع العوائق فى بيوتها ، فقال : يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه : لاتغتابوا المسلمين ، ولاتتبعوا عوراتهم ، فان من تتبع عورة اخيه يتتبع الله عورته حتى يفضحه في جوف بيته . وخطب صلى الله عليه وآله يوماً : فذكر الربا وعظم شأنه ، فقال : ان الدرهم يصيبه الرجل من الربا اعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل ، وان اربى الربا عرض الرجل المسلم . ومر صلى الله عليه وآله على قبرين يعذب صاحبها ، فقال : انها ليعذبان فى كبيرة ، اما احدها فكان يغتاب الناس ، واما الآخر لايستبرأ من بوله ، ودعا بجريدة رطبة اوجريديتين ، فكسرها . ثم امر بكل كسرة فغرست على قبر . وقال : اما انه يهون من عذابها ماكانتا رطبتين .

وروى انه صلى الله عليه وآله امر الناس بصوم يوم . وقال : لايفطرن احد

حتى اذن له فصام الناس حتى اذا امسوا جعل الرجـل يجيء · فيقول يا رسول الله ظللت صائماً . فاذن لي لافطر . فيأذن له · والرجل · والرجل · حتى جاء رجل فقال يا رسول الله فتاتان من اهلي ظلتا صائمتين · وانهما تستحيان ان تأتياك · فاذن لهما لتفطرا · فاعرض عنه ثم عاوده فقال : انهما لم تصوما · وكيف صام من ظل هذا اليوم يأكل لحوم الناس ؟ ! اذهب فمرهما ان كانتا صائمتين ان تستقيئا · فرجع اليهما فاخبرهما فاستقائتا · فقائت كل واحدة منهما حلقة من دم · فرجع الى النبي (ص) · فاخبره فقال : والذي نفس محمد بيده · لوبقيتا فى بطنيهما لاكلتهما النار ·

واوحى الله تعالى الى موسى من مات تائباً من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصراً عليها فهو اول من يدخل النار · وقال (ص) : من مشى في غيبة اخيه وكشف عورته · كانت اول خطوة خطاهـا وضعها فى جهنم · فكشف الله عورته على رؤس الخلائق · ومن اغتاب مسلماً بطل صومه · و نقض وضوئه · فان مات وهو كذلك مات وهو مستحل لما حرم الله · وقال (ص) : الغيبة اسرع في دين الرجل المسلم من الآكلة فى جوفه ·

وقال صلى الله عليه وآله الجلوس في المسجد انتظاراً للصلوة عبادة ، ما لم يحدث ، فقيل يا رسول وما الحدث ؟ قال الاغتياب ، وقال « ص » : من اغتاب مسلماً اومسلمة لم يقبله الله صلاته ولا صيامه اربعين يومـاً وليلة ، الا ان يغفر له صاحبه . وقال صلى الله عليه وآله : من اغتاب مسلماً في شهر رمضان لم يوجر على صيامه ، وقال (ص) : من اغتاب مؤمناً بما فيه لم يجمع الله بينهما في الجنة ابداً ، ومن اغتاب مؤمناً بما ليس فيه انقطعت العصمة بينهما ، وكان المغتـاب فى النارخالداًفيها

وبئس المصير . وقال عليه السلام كذب من زعم انه ولد من حلال وهو يأكل من لحوم الناس بالغيبة : فاجتنب الغيبة فانها ادام كلاب النار ، وقال صلى الله عليه وآله ماعمر مجلس بالغيبة الاخرب بالدين ، فنزهوا اسماعكم من استماع الغيبة . فان القائل والمستمع لها شريكان في الاثم . وقال (ص) : ما النار في التبن باسرع من الغيبة في حسنة العبد

وقال الصادق (ع) : من قال في مؤمن ما راته عيناه وسمعته اذناه ، فهو من الذين قال الله عزوجل : ان الـذين يحبون ان تشيع الفاحشـة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم . وقال عليه السلام : من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروته ليسقط من اعين الناس ، اخرجه الله من ولايته الى ولاية الشيطان فلا يقبله الشيطان وقال عليه السلام : من اغتاب اخاه المؤمن من غير ترة بينهما ، فهو شرك شيطان . وقال (ع) : الغيبة حرام على كل مسلم وانها لتأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب والاخبار الواردة في ذم الغيبة ممـا لا يكاد يمكن حصرها ، وما ذكرناه كاف لايقاظ الطالبين .

فصل - مسوغات الغيبة

لما عرفت ان الغيبة ذكر الغير بما يكرهه لوسمعه ، فاعلم ان ذلك انما يحرم اذا قصد به هتك عرضه والتفكه به ، واضحاك الناس منه ، واما اذا كان ذلك لغرض صحيح لا يمكن التوصل اليه الا به فلا يحرم ، والاغراض الصحيحة المرخصة له امور (الاول) التظلم عند من له رتبة الحكم واحقاق الحقوق كالقضاة والمفتين والسلاطين فان نسبة الظلـم والسوء الى الغير عنـدهم لاستيفاء الحق جايز ، لقول النبي صلى الله

عليه وآله : لصاحب الحق مقال . وقوله (ص) : لى الواجد يحل عرضه وعقوبته وعدم انكاره صلى الله عليه وآله على قول هند بحضرته : ان ابا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني اياي وولدي ، افآخذ من غير عامه ؟ وقوله (ص) لها : خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف (الثاني) الاستعانة على رفع المنكر ورد العاصي الى الصلاح ، وإنما يستباح بها ذكر مسائته بالقصد الصحيح لا بدونه (الثالث) نصح المستشير في التزويج ، وايداع الامانة وامثالها ، وكذلك جرح الشاهد والمفتي والقاضي اذا سئل عنهم . قال رسول الله (ص) : اترعوون عن ذكر الفاجر حتى لا يعرفه الناس ؟ اذكروه بما فيه يحذره الناس (الرابع) رد من ادعى نسباً ليس له (الخامس) القدح في مقالة اودعوى باطلة فى الدين (السادس) الشهادة على فاعل المحرم حسبة (السابع) ضرورة التعريف فانه اذا كان احد معروفاً بلقب يعرب عن عيب ، وتوقف تعريفه عليه لم يكن اثم فى ذكره (الثامن) كون المقول فيه مستحقا للاستخفاف لتظاهره وتجاهره بفسق ، كالظلم والزنا وشرب الخمر وغير ذلك ، بشرط عدم التعدي عما يتظاهر به ، قال رسول الله عليه وآله : من القى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له وقال « ص » : ليس لفاسق غيبة .

تذنيب ـ كفارة الغيبة

كفارة الغيبة بعد التوبة والندم للخروج عن حق الله ان يخرج من حق من اغتابه ، وطريق الخروج من حقه ان كان ميتاً اوغائباً لم يمكن الوصول اليه ، ان يكثر له من الاستغفار والدعاء ، ليحسب ذلك يوم القيامة من حسناته ، ويقابل بها

سيئة الغيبة ، وان كان حياً يمكن الوصول اليه ولم تبلغ اليه الغيبة ، وكان في بلوغها اليه مظنة العداوة والفتنة ، فليكثر له ايضاً من الدعاء والاستغفار ، من دون ان يخبره بها وان بلغت اليه اولم تبلغه ولم يكن في بلوغها ظن الفتنة والعداوة ، فليستحله معتذراً متأسفاً مبالغاً فى الثناء عليه والتودد اليه ، وليواظب على ذلك حتى يطيب قلبه ويحله ، فان لم يطب قلبه من ذلك ولم يحله ، كان اعتذاره وتودده حسنة يقابل بها سيئة الغيبة فى القيامة و الدليل على هذا التفصيل قول الصادق (ع) : وان اغتبت فبلغ المغتاب فاستحل منه ، فان لم تبلغه لم تلحقه فاستغفر الله . (١)

تتميم - البهتان

قد ظهر مما تقدم ان البهتان ان تقول في مسلم ما يكرهه ولم يكن فيه ، قال الله سبحانه : ومن يكسب خطيئة أو اثماً ، ثم يرم به بريئاً ، فقد احتمل بهتاناً واثما مبيناً . وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : من بهت مؤمناً أو مؤمنة ، أو قال فيه ماليس فيه ، اقامه الله على تل من نار حتى يخرج مما قاله فيه ، وقال الصادق (ع) من بهت مؤمناً أو مؤمنة بما ليس فيه ، بعثه الله عز وجل في طينة خبال ، حتى يخرج مما قال ، قلت : وما طينة خبال ؟ قال : صديد يخرج من فروج المومسات .

---

(١) ماورد في باب الغيبة : من قيء اللحم ونحوه ، كان بالاعجاز . وقوله : كذب من زعم الخ يراد اشتراك الشيطان (ظ)

وصل

المدح ومواضع حسنه وقبحه

الغيبة لما كانت راجعة الى الذم فضدها : المدح ودفع الذم ، والبهتان لما كان كذباً فضده الصدق ، ولا ريب في ان مدح المؤمن في غيبته وحضوره ممدوح مندوب اليه ، لكونه ادخالا للسرور عليه ، وقد علم مدحه وثوابه ولما ورد من ان رسول الله صلى الله عليه وآله : اثنى على اصحابه ، وانه قال لجماعة لما أثنوا على بعض الموتى : وجبت لكم الجنة ، وأنتم شهداء الله في الارض . ولما ورد من ان لبني آدم جلساء من الملائكة . فاذا ذكر احد أخاه المسلم بخير ، قالت الملائكة : ولك مثله ، واذا ذكره بسوء ، قالت الملائكة : يابن آدم المستور عورته ، اربع على نفسك ، واحمد الله اذ ستر عورتك ، ولكنه ليس راجحاً مندوبا على الاطلاق ، بل اذا سلم من آفاته ، وهي ان يكون صدقا لا يفرط المادح فيه بحيث ينتهي الى الكذب ، والا يكون المادح فيه مرائيا منافقا ، بان يكون غرضه اظهار الحب مع عدم كونه محبا في الواقع ، سواء كان صادقا فيما ينسبه اليه من المدح ام لا ، والا يمدح الظالم والفاسق وان كان صادقاً فيما يقول في حقه ، لانه يفرح بمدحه وادخال الفرح على الظالم اوالفاسق غير جايز . قال رسول الله (ص) : ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق ، والا يحدث في الممدوح كبراً او اعجاباً يوجبان هلاكه ، ولا يمدحه في وجهه ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله لرجل مدح بحضرته رجلا آخر :

ويحك قطعت عنق صاحبك ، لو سمعها ما افلح . وقال « ص » : اذا مدحت اخاك في وجهه ، فكانما امررت على حلقه الموسى . وقال ايضا لمن مدح رجلا : عقرت الرجل عقرك الله . وقال « ص » : لومشى رجل الى رجل بسكين مرهف ، كان خيراً له من ان يثنى عليه في وجهه ، واذا مدح احد في وجهه يقول ما قال اميرالمؤمنين عليه السلام لما اثنى عليه : اللهم اغفر لي مالا يعلمون ، ولا تؤآخذني بما يقولون ، واجعلني خيراً مما يظنون .

فصل - في الكذب

وهو اما في القول اوفي غيره ، وهو اقبح الذنوب وافحشها ، واخبث العيوب واشنعها . قال الله سبحانه : « انما يفترى الكذب الذين لايؤمنون . وقال سبحانه : فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه ، بما اخلفوا الله ما وعدوه ، وبما كانوا يكذبون » . وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : اياكم والكذب ، فان الكذب يهدي الى الفجور ، والفجور يهدى الى النار . وقال « ص » : المؤمن اذا كذب من غير عذر ، لعنه سبعون الف ملك ، وخرج من قلبه نتن حتى يبلغ العرش ، فيلعنه حملة العرش ، وكتب الله عليه بتلك الكذبة سبعين زينة ، اهونها كمن زنى مع امه وسئل صلى الله عليه وآله : يكون المؤمن جبانا ؟ قال : نعم ، قيل : ويكون بخيلا قال : نعم ، قيل : ويكون كذاباً ؟ . قال : لا ، وقال (ص) : كبرت خيانة ان تحدث اخاك حديثاً هو لك به مصدق ، وانت له به كاذب . وقال (ص) : الكذب ينقص الرزق . وقال (ص) : ويل للذي يحدث فيكذب ، ليضحك به القوم ، ويل له ، ويل

له . وقال (ص) : رأيت كان رجلا جائني ، فقال لي : قم ، فقمت معه ، فاذا انا برجلين ، احدهما قائم ، والآخر جالس ، وبيد القائم كلوب من حديد ، يلقمه في شدق الجالس ، فيجذبه حتى يبلغ كاهله ، ثم يجذبه فيلقمه الجانب الآخر ، فيمده ، فاذا مده رجع الآخر كما كان ، فقلت للذي اقامني : ما هذا ؟ فقال : هذا رجل كذاب يعذب في قبره الى يوم القيامة . وقال صلى الله عليه وآله : الا اخبركم با كبر الكبائر ؟ الاشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقول الزور ، اي : الكذب . وقال (ص) : ان العبد ليكذب الكذبة ، فيتباعد الملك منه مسيرة ميل ، من نتن ماجاء به . وقال (ص) : ان للشيطان كحلا ، ولعوقاً ، ونشوقا ، فاما لعوقه فالكذب ، واما نشوقه فالغضب واما كحله فالنوم . وقال روح الله لاصحابه : من كثر كذبه ذهب بهائه .

وقال اميرالمؤمنين (ع) : لايجد العبد طعم الايمان حتى يترك الكذب هزله وجده . وقال (ع) : اعظم الخطايا عند الله اللسان والكذب ، وشر الندامة ندامة يوم القيامة .

وقال علي بن الحسين (ع) : اتقوا الكذب الصغير منه والكبير ، في كل جد وهزل ، فان الرجل اذا كذب في الصغير اجترأ على الكبير .

وقال ابو جعفر (ع) : ان الله عزوجل جعل للشر اقفالا ، وجعل مفاتيح تلك الاقفال الشراب ، والكذب شر من الشراب . وقال (ع) : الكذب هو خراب الايمان . وقال (ع) : ان اول من يكذب الكذاب الله عزوجل ، ثم الملكان اللذان معه ، ثم هو يعلم انه كاذب .

وقال الامام الزكي العسكري : جعلت الخبائث كلها في بيت ، وجعل مفتاحها

الكذب . والاخبار الواردة فى ذم الكذب اكثر من ان تحصى ، واشد انواع الكذب اثماً ومعصية ، الكذب على الله وعلى رسوله وعلى الائمة ، وكفاه ذماً انه يبطل الصوم ويوجب القضاء والكفارة على الاقوى .

قال الصادق (ع) : ان الكذبة لتفطر الصائم ، قال الراوي : واينا لايكون ذلك منه ؟ قال : ليس حيث ذهبت ، انما الكذب على الله تعالى ، وعلى رسوله ، وعلى الائمة عليهم السلام ، وقال (ع) : الكذب على الله وعلى رسوله وعلى الاوصياء عليهم السلام ، من الكبائر . وذكر عنده (ع) الحائك ، وكونه ملعوناً ، فقال : انما ذلك الذي يحوك الكذب على الله وعلى رسوله . وقال الباقر (ع) : لاتكذب علينا كذبة فتسلب الحنيفية .

وللكذب مسوغات ذكرت في الفقه ، واليك بعض الاخبار الواردة ، روى : ان رسول الله (ص) لم يرخص في شيء من الكذب ، الا فى ثلاث ، الرجل يقول القول يريد به الاصلاح ، والرجل يقول القول في الحرب ، والرجل يحدث امرأته والمرئة تحدث زوجها . وقال صلى الله عليه وآله : ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيراً . وقال (ص) : كل الكذب يكتب على ابن آدم ، الا رجل كذب بين رجلين يصلح بينهما . وقال (ص) : كل الكذب مكتوب كذباً لامحالة ، الا ان يكذب الرجل في الحرب ، فان الحرب خدعة او يكون بين رجلين شحناء فيصلح بينهما ، او يحدث امرأته يرضيها . وقال صلى الله عليه وآله : لا كذب على المصلح .

وقال الصادق «ع» : كل كذب مسؤل عنه صاحبه يوماً ، الا كذباً فى ثلاثة رجل كايد في حروبه ، فهو موضوع عنه ، او رجل اصلح بين اثنين ، يلقى هذا

بغير ما يلتي به ذاك ، يريد بذلك الاصلاح ما بينهما ، اورجل وعد اهله شيئاً وهو لا يريد ان يتم لهم . وقال (ع) : الكلام ثلاثة : صدق ، وكذب ، واصلاح بين الناس قيل له : وما الاصلاح بين الناس ؟ قال : تسمع في الرجل كلاماً يبلغه فيخبث نفسه فتلقاه وتقول قد سمعت من فلان فيك من الخير كذا وكذا ، خلاف ما سمعت منه ثم ان المبالغة ، والاغراق ، والتورية ، والمزاح ، خارجة عن الكذب الا بعض اقسامها روى في الاحتجاج : انه سئل الصادق عليه السلام : قال بل : فعله كبيرهم هذا ، فاسئلوهم ان كانوا ينطقون ، قال : ما فعله كبيرهم ، وما كذب ابراهيم ، قيل وكيف ذلك ؟ فقال : انما قال ابراهيم : فاسألوهم ان كانوا ينطقون ، اي : ان نطقوا فكبيرهم فعل ، وان لم ينطقوا فلم يفعل كبيرهم شيئاً ، فما نطقوا وما كذب ابراهيم عليه السلام وسئل عن قوله تعالى (في سورة يوسف) : ايتها العير انكم لسارقون ، قال : انهم سرقوا يوسف من ابيه ، الا ترى انه قال لهم حين قالوا ماذا تفقدون : قالوا نفقد صواع الملك ، ولم يقولوا : سرقتم صواع الملك ، انما سرقوا يوسف من ابيه . وسئل عن قول ابراهيم : فنظر نظرة في النجوم ، فقال اني سقيم ، قال : ما كان ابراهيم سقيما وما كذب ، انما عنى سقيماً في دينه اي مرتاداً . وروى عن النبي صلى الله عليه وآله في المزاح قوله : لاتدخل الجنة عجوز ، وفي عين زوجك بياض ، ونحملك على ولد بعير

ثم اعلم ان من الكذب الذي عظم ذنبه ويتساهل فيه : الكذب في حكاية المنام قال رسول الله (ص) : ان من اعظم الفرية ان يدعي الرجل الى غير ابيه . اويرى عينيه في المنام ما لم ير اويقول على ما لم اقل . وقال (ص) : من كذب في حلم . كلف يوم القيامة ان يعقد بين شعيرتين .

تذنيب

شهادة الزور واليمين الكاذب وخلف الوعد

من انواع الكذب شهادة الزور . واليمين الكاذب . وخلف الوعد ويدل على ذم الاول قوله تعالى في صفة المؤمنين : والذين لا يشهدون الزور . واذا مروا باللغو مروا كراماً . وقول النبي (ص) : شاهد الزور كعابد الوثن ، وعلى ذم الثاني قول النبي (ص) : التجار هم الفجار ، فقيل يارسول الله اليس الله قد احل البيع ؟ فقال : نعم ، ولكنهم يحلفون فيأثمون ، ويحدثون فيكذبون . وقوله « ص » : ثلاث نفر لايكلمهم الله يوم القيامة ، ولاينظر اليهم . ولايزكيهم : المنان بعطيته . والمنفق سلعته بالحلف الفاجر . والمسبل ازاره . وقوله « ص » : ما حلف حالف بالله . فادخل فيها مثل جناح بعوضة ؟ الا كانت نكتة فى قلبه الى يوم القيامة . وقوله «ص» ثلاث يشنأهم الله : التاجر اوالبايع الحلاف ، والفقير المختال ، والبخيل المنان ، وعلى ذم الثالث قول النبي صلى الله عليه واله : من كان يؤمن بالله وباليوم الأخر ، فليف اذا وعد . وقول الصادق عليه السلام : عدة المؤمن اخاه نذر ، لا كفارة له ، فمن اخلف فبخلف الله تعالى بدأ ، ولمقته تعرض ، وذلك قوله تعالى : ياايها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ، كبر مقتاً عند الله ان تقولوا مالا تفعلون . وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : اربع من كن فيه كان منافقاً ، ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من النفاق حتى يدعها : اذا حدث كذب ، واذا وعد اخلف ، واذا عاهد

غدر ، واذا خاصم فجر ·

وصل - الصدق ومدحه

ضد الكذب : الصدق ، وهو اشرف الصفات المرضية ، ورئيس الفضائل النفسية وما ورد في مدحه وفائدته من الآيات والاخبار مما لا يمكن احصاؤه · قال الله سبحانه رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه . وقال : اتقوا الله وكونوا مع الصادقين · وقال : الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار · وقال سبحانه انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا (الى قوله) اولئك هم الصادقون وقال عزوجل : ولكن البرمن آمن بالله واليوم الآخر (ثم قال) والصابرين في البأساء والضراء وحين الباس اولئك الذين صدقوا ·

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : تقبلوا الى بست · اتقبل لكم بالجنة : اذا حدث احدكم فلا يكذب · واذا وعد فلا يخلف . واذا ائتمن فلا يخن · وغضوا ابصاركم · وكفوا ايديكم · واحفظوا فروجكم . وعن الصادقين عليهما السلام : ان الرجل ليصدق حتى يكتبه الله صديقاً · وعن الصادق عليه السلام : قال كونوا دعاة الناس بالخير بغير السنتكم · ليروا منكم الاجتهاد . والصدق · والورع · وعنه عليه السلام : من صدق لسانه زكي عمله · ومن حسنت نيته زيد رزقه · ومن حسن بره باهل بيته مدله فى عمره · وعنه عليه السلام : قال لا تنظروا الى طول ركوع الرجل وسجوده · فان ذلك شيء اعتاده · ولو تركه لاستوحش لذلك · ولكن انظروا الى صدق حديثه · واداء امانته · وقال عليه السلام لبعض اصحابه : انظر الى مابلغ به علي

عليه السلام عند رسول الله صلى الله عليه وآله • فالزمه • فان عليا عليه السلام انما بلغ ما بلغ به عند رسول الله• بصدق الحديث•واداء الامانة• وعنه عليه السلام قال ان الله لم يبعث نبيا • الا بصدق الحديث • واداء الامانة الى البر والفاجر • وقال عليه السلام : اربع من كن فيه كمل ايمانه ، ولوكان مابين قرنه الى قدمه ذنوب لم ينقصه ذلك . قال : هي الصدق . واداء الامانة • والحياء . وحسن الخلق •

تنبيه - اللسان اضر الجوارح

اعلم ان اكثر ما تقدم من الرذائل المذكورة من الكذب والغيبة والبهتان • والشماتة والسخرية • والمزاح والتكلم بما لايعني والفضول • والخوض في الباطل من آفات اللسان • وهو اضر الجوارح بالانسان واعظمها اهلاكا له . وآفاته اكثر من آفات سائر الاعضاء • والآيات والاخبار الواردة في ذمه • وفي كثرة آفاته وفي الامر بمحافظته ، والتحذير عنه كثيرة ، وهي بعمومها تدل على ذم جميع آفاته مما مر ومما يأتي ، قال الله سبحانه : مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد • وقال : لاخير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة اومعروف اواصلاح بين الناس

وقال رسول الله (ص) : من يتكفل لي بما بين لحييه و رجليه • اتكفل له بالجنة • وقال (ص) من وقى شر قبقبه • وذبذبه • ولقلقه . فقد وقى • والقبقب البطن • والذبذب الفرج • واللقلق اللسان . وقيل له (ص) ما النجاة ؟ قال املك عليك لسانك • وقال (ص) اكبر مايدخل الناس النار الا جوفان الفم • والفرج •

والمراد بالفم اللسان . وقال (ص) : وهل يكب الناس على مناخرهم في النار الا حصائد السنتهم . وقال له رجل : ما اخوف مايخاف علي ؟ فاخذ بلسانه ، وقال هذا . وقال (ص) : لايستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ، ولايستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه . وقال « ص » : اذا اصبح ابن آدم اصبحت الاعضاء كلها تكفر اللسان ، فتقول : اتق الله فينا ، فانما نحن بك ، فان استقمت استقمنا ، وان اعوججت اعوججنا . وقال له «ص» رجل : اوصني ، فقال « ص » : اعبد الله كانك تراه ، وعد نفسك في الموتى ، وان شئت انبأتك بما هو املك لك من هذا كله ، واشار بيده الى لسانه . وقال « ص » : ان الله عند لسان كل قائل ، فليتق الله امرؤ على مايقول وقال « ص » : من لم يحسب كلامه من عمله ، كثرت خطاياه ، وحضر عذابه . وقال (ص) يعذب الله اللسان بعذاب لايعذبه شيئاً من الجوارح ، فيقول : اي رب عذبتني بعذاب لم تعذب به شيئا من الجوارح ، فيقال له : خرجت منك كلمة بلغت مشارق الارض ومغاربها ، فسفك بها الدم الحرام ، وانتهب بها المال الحرام ، وانتهك بها الفرج الحرام ، وعزتي وجلالي لاعذبنك بعذاب لا اعذب به شيئاً من جوارحك . وقال « ص » : ان كان في شيء شؤم ففي اللسان .

وقال امير المؤمنين عليه السلام لرجل يتكلم بفضول الكلام : ياهذا انك تملي على حافظيك كتاباً الى ربك ، فتكلم بما يعنيك ، ودع مالا يعنيك . وقال عليه السلام : المرء مخبوء تحت لسانه .

وقال السجاد عليه السلام ان لسان ابن آدم يشرف في كل يوم على جوارحه كل صباح ، فيقول كيف اصبحتم ، فيقولون بخير ان تركتنا ، ويقولون الله الله فينا

ويناشدونه ، ويقولون انما نثاب ونعاقب بك .

وقال الصادق عليه السلام مامن يوم الاوكل عضو من اعضاء الجسد يكفر اللسان يقول نشدتك الله ان نعذب فيك .

تتميم - الصمت

لما علمت كون اللسان شر الاعضاء وكثرة آفاته وذمه ، فاعلم انه لانجاة من خطره الا بالصمت ، وقد اشير فيما سبق ان الصمت ضد لجميع آفات اللسان ، وبالمواظبة عليه تزول كلها ، وفضيلته عظيمة وفوائده جسيمة ، فان فيه جمع الهم ودوام الوقار والفراغ للعبادة والفكر والذكر والسلامة من تبعات القول .

ولذا مدحه الشرع وحث عليه . قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من صمت نجا وقال (ص) : الصمت حكم وقليل فاعله . وقال صلى الله عليه وآله : من كف لسانه ستر الله عورته . وقال (ص) : الا اخبركم بايسر العبادة واهونها على البدن : الصمت ، وحسن الخلق . وقال (ص) : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليقل خيراً اوليسكت . وقال (ص) : رحم الله عبدا تكلم خيراً فغنم ، اوسكت عن سوء فسلم وجاء اليه (ص) اعرابي ، وقال : دلني على عمل يدخلني الجنة ، قال اطعم الجائع ، واسق الظمآن ، وامر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، فان لم تطق فكف لسانك الا من خير . وقال (ص) : اخزن لسانك الا من خير ، فانك بذلك تغلب الشيطان . وقال (ص) : اذا رايتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه ، فانه يلقن الحكمة . وقال (ص) : الناس

ثلاثة : غانم ، وسالم ، وشاحب ، فالغانم الذي يذكر الله ، والسالم الساكت ، والشاحب الذي يخوض فى الباطل . وقال (ص) : ان لسان المؤمن وراء قلبه ، فاذا اراد ان يتكلم بشيء تدبره بقلبه ، ثم امضاه بلسانه ، وان لسان المنافق امام قلبه ، فاذاهم بشيء امضاه بلسانه ، ولم يتدبره . وقال (ص) : امسك لسانك ، فانها صدقة تصدق بها على نفسك ، ثم قال ولا يعرف عبد حقيقة الايمان حتى يخزن من لسانه . وقال (ص) لرجل اتاه الا ادلك على امر يدخلك الله به الجنة ؟ قال بلى يارسول الله قال انل مما انالك الله ، قال فان كنت احوج ممن انيله ؟ قال فانصر المظلوم . قال فان كنت اضعف ممن انصره . قال فاصنع للاخرق - يعني اشر عليه - قال فان كنت اخرق ممن اصنع له . قال فاصمت لسانك الا من خير . اما يسرك ان تكون فيك خصلة من هذه الخصال . تجرك الى الجنة . وقال (ص) نجاة المؤمن حفظ لسانه

وجاء رجل اليه صلى الله عليه واله . فقال يارسول الله اوصني . قال احفظ لسانك . قال يارسول الله اوصني . قال احفظ لسانك . قال : يا رسول الله اوصني . قال : احفظ لسانك ويحك وهل يكب الناس على مناخرهم في النار الا حصائد السنتهم .

وقيل لعيسى بن مريم عليه السلام : دلنا على عمل ندخل به الجنة ، قال : لاتنطقوا ابداً ، قالوا : لانستطيع ذلك ، قال : فلا تنطقوا الا بخير ، وقال عليه السلام ايضاً العبادة عشرة اجزاء ، تسعة منها فى الصمت ، وجزء فى الفرار عن الناس . وقال لا تكثروا الكلام في غير ذكر الله ، فان الذين يكثرون الكلام في غير ذكر الله قاسية قلوبهم ، ولكن لايعلمون . وقال لقمان لابنه ان كنت زعمت ان الكلام من فضة فان السكوت من ذهب .

وقال ابوجعفر الباقر عليه السلام كان ابو ذر يقول يامبتغي العلم ان هذا اللسان مفتاح خير ، ومفتاح شر ، فاختم على لسانك ، كما تختم على ذهبك وورقك ، وقال (ع) انما شيعتنا الخرس . وقال الصادق «ع» لمولى له يقال له سالم بعد ان وضع يده على شفتيه : ياسالم احفظ لسانك تسلم ، ولا تحمل الناس على رقابنا . وقال عليه السلام : في حكمة آل داود ، على العاقل ان يكون عارفا بزمانه ، مقبلا على شانه حافظاً للسانه . وقال عليه السلام لا يزال العبد المؤمن يكتب محسناً مادام ساكتاً فاذا تكلم كتب محسناً اومسيئاً . وقال عليه السلام النوم راحة للجسد ، والنطق راحة للروح ، والسكوت راحة للعقل . وقال (ع) الصمت كنز وافر ، وزين الحليم وستر الجاهل . وقال ابوالحسن الرضا (ع) احفظ لسانك تعز ، ولا تمكن الناس من قيادك فتذل رقبتك . وقال (ع) من علامات الفقه الحلم والعلم والصمت ، ان الصمت باب من ابواب الحكمة ، ان الصمت يكسب المحبة ، انه دليل على كل خير . وقال «ع» كان الرجل من بني اسرائيل اذا اراد العبادة صمت قبل ذلك بعشر سنين .

فصل

ذم حب الجاه والشهرة

اعلم ان حب الجاه والشهرة من المهلكات العظيمة ، وطالبها طالب الافات الدنيوية والاخروية ، ومن اشتهر اسمه وانتشر صيته لايكادان تسلم دنياه وعقباه ، الا من شهره الله لنشر دينه من غير تكلف طلب للشهرة منه ، ولذا ورد في ذمها مالا يمكن

احصاؤه من الآيات والاخبار . قال الله سبحانه تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوا في الارض ولا فساداً . وقال من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لايبخسون ، اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار ، وحبط ماصنعوا فيها وباطل ماكانوا يعملون . وهذا بعمومه متناول لحب الجاه لانه اعظم لذة من لذات الحياة الدنيا واكبر زينة من زينتها . وقال رسول صلى الله عليه وآله حب الجاه والمال ينبتان النفاق فى القلب ، كما ينبت الماء البقل . وقال صلى الله عليه وآله ماذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فساداً من حب الجاه والمال فى دين الرجل المسلم . وقال « ص » حسب امرىء من الشر « الا من عصمه الله» ان يشير الناس اليه بالاصابع .

وقال اميرالمؤمنين عليه السلام تبذل ولا تشتهر ، ولا ترفع شخصك لتذكر ، وتعلم واكتم ، واصمت تسلم ، تسر الابرار وتغيظ الفجار . وقال الباقر عليه السلام لاتطلبن الرياسة ، ولاتكن ذنباً ، ولا تاكل الناس بنا فيفقرك الله ، الحديث . وقال الصادق « ع » اياكم وهؤلاء الرؤساء الذين يترأسون ، فوالله ماخفقت النعال خلف رجل الاهلك واهلك . وقال « ع » ملعون من ترأس ، ملعون من هم بها ، ملعون من حدث بها نفسه . وقال « ع » من اراد الرياسة هلك . وقال « ع » اترى لااعرف خياركم من شراركم ، بلى والله ان شراركم من احب ان يوطأ عقبه . انه لابد من كذاب اوعاجز الرأي .

فصل ـ حب الخمول

ضد حب الجاه والشهرة حب الخمول ، وهو شعبة من الزهد . كما ان حب الجاه

شعبة من حب الدنيا . فحب الدنيا والزهد ضدان .

ثم الخمول من صفات المؤمن ، وخصال الموقنين ، وقد كانت طوائف العرفاء المتوحدين ، ومن يماثلهم من سلفنا الصالحين ، محبين له طالبين اياه ، وكل من عرف الله واحبـه وانس به كان محباً للخمول ، متوحشاً من الجـاه وانتشار الصيت ، كما تنادي به كتب السير والتواريخ ، وقد وردت بمدحه اخبار كثيرة كقول رسول الله صلى الله عليـه وآله وسلم : ان اليسير من الرياء شرك ، وان الله يحب الاتقياء الاخفياء ، الذين اذا غابوا لم يفقدوا ، واذا حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ، يتحول من كل غبراء مظلمة : وقوله (ص) : رب ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره ، لو قال اللهم اسألك الجنة ، لاعطاه الجنة ، ولم يعطـه من الدنيا شيئاً . وقوله (ص) : الا ادلكم على اهل الجنـة ؟ كل ضعيف مستضعف ، لو اقسم على الله لابره . وقوله (ص) : ان اهل الجنة كل اشعث اغـبر ذي طمرين لا يؤبه له ، الذين اذا استاذنوا على الامراء لم يؤذن لهم ، واذا خطبوا النساء لم ينكحوا ، واذا قالوا لم ينصت لهم ، حوائج احدهم تتخلخل في صـدره ، لو قسم نوره يوم القيامـة على الناس لوسعهم . وقوله (ص) : ان من امتي من لو اتى احدكم يسأله ديناراً لم يعطه اياه ، او يسأله درهما لم يعطه اياه ، ولو سئل الله تعالى الجنـة ، لاعطاها اياه ، ولو سأله الدنيا لم يعطها اياه ، وما منعها اياه لهوانه عليه . وقوله (ص) : قال الله عز وجل ان من اغبط اوليائي عندي : رجلا خفيف الحال ، ذا حظ من صلاة ، احسن عبادة ربه بالغيب ، وكان غامضاً في الناس ، جعل رزقه كفافاً ، فصبر عليـه ،

عجلت منيته ، فقل تراثه ، وقل بواكيه .

وورد ان الله تعالى يقول فى مقام الامتنان على بعض عبيده : الم انعم عليك الم استرك ، الم اخمل ذكرك . ؟!

حب المدح وكراهة الذم

وهما من نتائج حب الجاه ، ومن المهلكات العظيمة ، اذ كل محب للمدح والثناء خائف من الذم ، يجعل افعاله وحركاته على ما يوافق رضى الناس رجاء للمدح ، وخوفا من الذم ، فيختار رضى المخلوق على رضى الخالق ، فيرتكب المحظورات ، ويترك الواجبات ، ويتهاون في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ويتعدى عن الانصاف والحق ، وكل ذلك من المهلكات ، وليس للمؤمن ان يحوم حولها بل المؤمن من لم يؤثر قط رضى المخلوق على رضى الخالق ولا تأخذه فى الله لومة لائم ولعظم فساد حب المدح وبغض الذم ورد في ذمها ما ورد فى الاخبار . قال رسول الله : انما هلك الناس باتباع الهوى وحب الثناء وقال (ص) : رأس التواضع ان تكره ان تذكر بالبر والتقوى . وقال (ص) : لرجل اثنى على اخر بحضرته : لو كان صاحبك حاضراً فرضى بالذي قلت فمات على ذلك دخل النار . وقال (ص) لمادح آخر : ويحك قطعت ظهره ولو سمعك ما افلح الى يوم القيمة . وقال (ص) : الا لا تمادحوا واذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب . وقال (ص) ويل للصايم وويل للقائم وويل لصاحب التصوف

الامن فقيل : يارسول الله الامن ؟ فقال : الا من تنزهت نفسه عن الدنيا وابغض المدحة واستحب المذمة . والمراد من صاحب التصوف من يلبس الصوف زهداً (م)

فصل - ذم الرياء

الرياء من الكبائر الموبقة ، والمعاصي المهلكة ، وقد تعاضدت الآيات والاخبار على ذمه قال الله سبحانه : فويل للمصلين الذينهم عن صلاتهم ساهون ، الذينهم يراؤن ويمنعون الماعون . وقال سبحانه : فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ، ولا يشرك بعبادة ربه احداً وقال سبحانه : يراؤن الناس ، ولا يذكرون الله الا قليلا . وقال : كالذي ينفق ماله رئاء الناس .

وقال رسول الله (ص) : ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر ، قالوا : وما الشرك الاصغر ؟ قال : الرياء ، يقول الله عز وجل يوم القيامة للمرائين اذا جازى العباد باعمالهم : اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن لهم فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء . وقال (ص) : استعيذوا بالله من جب الحزن ، قيل : وما هو يارسول الله ؟ قال : واد فى جهنم اعد للقراء المرائين . وقال (ص) : يقول الله تعالى من عمل لي عملا اشرك فيه غيري فهو له كله ، وانا منه بريء ، وانا اغنى الاغنياء عن الشرك . وقال «ص» لا يقبل الله تعالى عملا فيه مثقال ذرة من رياء . وقال (ص) ان ادنى الرياء شرك . وقال (ص) ان المرائي ينادي عليه يوم القيامة : يافاجر ، ياغادر ، يامرائي ، ضل عملك ، وحبط اجرك ، اذهب فخذ اجرك ممن كنت تعمل

له وكان (ص) يبكي ، فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : اني تخوفت على امتي الشرك ، اما انهم لا يعبدون صنما ولا شمساً ولا قمراً ولا حجراً ، ولكنهم يرآؤن باعمالهم وقال (ص) : سيأتي على الناس زمان تخبث فيه سرائرهم ، وتحسن فيه علانيتهم طمعاً في الدنيا ، لا يريدون به ما عند ربهم ، يكون دينهم رياء لا يخالطهم خوف ، يعمهم الله بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجيب لهم . وقال : (ص) ان الملك ليصعد بعمل العبد مبتهجاً به ، فاذا صعد بحسناته ، يقول الله عز وجل : اجعلوها في سجين ، انه ليس اياي اراد به . وقال (ص) : ان الحفظة تصعد بعمل العبد الى السماء السابعة : من صوم وصلاة ونفقة واجتهاد وورع ، لها دوي كدوي الرعد ، وضوء كضوء الشمس ، معه ثلاثة آلاف ملك ، فيجاوزون به الى السماء السابعة ، فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه ، اضربوا به جوارحه ، اقفلوا به على قلبه ، اني احجب عن ربي كل عمل لم يرد به وجه ربي ، انه اراد بعمله غير الله ، اراد رفعة عند الفقهاء ، وذكراً عند العلماء وصيتاً في المدائن ، امرني ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري ، وكل عمل لم يكن لله خالصاً فهو رياء ، ولا يقبل الله عمل المرائي . وقال (ص) : وتصعد الحفظة بعمل العبد : من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر الله تعالى ، وتشيعه ملائكة السموات ، حتى يقطع الحجب كلها الى الله فيقفون به بين يديه ، ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله قال : فيقول الله تعالى لهم : انتم الحفظة على عمل عبدي ، وانا الرقيب على نفسه ، انه لم يردني بهذا العمل ، واراد به غيري ، فعليه لعنتي فتقول الملائكة كلهم : عليه لعنتك ولعنتنا

وتقول السموات كلها : عليه لعنة الله ولعنتنا وتلعنه السموات السبع ومن فيهن
وقال امير المؤمنين (ع) : اخشوا الله خشية ليست بتعذير ، واعملوا بغير رياء ولا سمعة ، فانه من عمل لغير الله وكله الله الى عمله يوم القيامة .

وقال الباقر (ع) الابقاء على العمل اشد من العمل ، قيل : وما الابقاء على العمل ؟ قال يصل الرجل بصلة ، وينفق نفقة لله وحده لا شريك له ، فكتبت له سراً ، ثم يذكرها فتمحى فتكتب له علانية ، ثم يذكرها فتمحى فتكتب له رياء .

وقال الصادق (ع) قال الله تعالى : انا خير شريك ، فمن عمل لي ولغيري فهو لمن عمله غيري . وقال (ع) : قال الله تعالى : انا اغنى الاغنياء عن الشريك فمن اشرك معي غيري فى عمل لم اقبله ، الا ما كان لي خالصاً . وقال عليه السلام كل رياء شرك ، انه من عمل للناس كان ثوابه على الناس ، ومن عمل لله كان ثوابه على الله .

وعن ابي عبد الله (ع) في قول الله عز وجل : فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ، ولا يشرك بعبادة ربه احداً قال : الرجل يعمل شيئاً من الثواب لا يطلب به وجه الله ، انما يطلب تزكية الناس ، يشتهي ان يسمع به الناس ، فهذا الذي اشرك بعبادة ربه ، ثم قال : ما من عبد اسر خيراً ، فذهبت الايام ابداً ، حتى يظهر الله له خيراً ، وما من عبد يسر شراً ، فذهبت الايام ، حتى يظهر الله له شراً . وقال (ع) : ما يصنع احدكم ان يظهر حسناً ويسر سيئاً ، اليس يرجع الى نفسه فيعلم ان ذلك ليس كذلك ، والله عز وجل يقول : (بل الانسان على نفسه بصيرة) ان السريرة اذا صحت قويت العلانية وقال (ع)

من اراد الله عز وجل بالقليل من عمله ، اظهر الله له اكثر مما اراده به ، ومن اراد الناس بالكثير من عمله ، في تعب من بدنه وسهر من ليله ، ابى الله الا ان يقلله في عين من سمعه ، وقال (ص) لعباد البصري : ويلك ياعباد اياك والرياء فانه من عمل لغير الله وكله الله الى من عمل له . وقال عليه السلام : اجعلوا امركم هذا لله ، ولا تجعلوه للناس ، فانه ماكان لله فهو لله ، وما كان للناس فهو لا يصعد الى الله .

وقال الرضا عليه السلام لمحمد بن عرفة : ويحك يابن عرفة ، اعملوا لغير رياء ولا سمعة ، فانه من عمل لغير الله وكله الله الى ما عمل ، ويحك ما عمل احد عملا الا رداه الله به ، ان خيراً فخيراً وان شراً فشراً ، وكفى للرياء ذماً انه يوجب الاستحقار لله ، وجعله اهون من عباده الضعفاء الذين لا يقدرون نفعاً ولا ضراً ، اذ من قصد بعبادة الله عبداً من عبيده ، فلا ريب في ان ذلك لاجل ظنه بان هذا العبد اقدر على تحصيل اغراضه من الله ، وانه اولى بالتقرب اليه منه تعالى ، واي استحقار بمالك الملوك اشد من من ذلك ؟ !

تنبيه

﴿ السرور بالاطلاع على العبادة ﴾

من كان قصده اخفاء الطاعة والاخلاص لله تعالى ، فاذا اتفق اطلاع الناس على طاعته ، فلا بأس بالسرور به من حيث علمه بان الله اطلعهم عليه ، واظهر

الجميل من حاله ، فيستدل به على حسن صنع الله به ، من حيث انه ستر الطاعة والمعصية ، والله تعالى ابقى معصيته على الستر ، واظهر طاعته ، فيكون فرحه بجميل نظر الله وفضله له لا بمدح الناس وقيام المنزلة في قلوبهم وقد قال الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ويدل على عدم الباس بالسرور فيما ذكر : ما روى ان رجلا قال لرسول الله (ص) : اني اسر العمل لا احب ان يطلع عليه احد فيطلع عليه فيسرني . قال لك اجران اجر السر واجر العلانية وروي انه سئل الباقر (ع) : عن الرجل يعمل الشيء من الخير فيراه انسان فيسره ذلك قال لا باس ما من احد الا وهو يحب ان يظهر الله له في الناس الخير اذا لم يكن صنع ذلك لذلك .

فصل - مدح الاخلاص

ضد الرياء الاخلاص وهو منزل من منازل الدين ومقام من مقامات الموقنين وهو الكبريت الاحمر وتوفيق الوصول اليه من الله الاكبر ولذا ورد في فضيلته ما ورد من الآيات والاخبار قال الله تعالى (وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقال : الا لله الدين الخالص · وقال : الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم · وقال : فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه احداً) · نزل فيمن يعمل لله ويحب

ان يحمد عليه وفي الخبر القدسي : الاخلاص سر من اسراري استودعته قلب من احببت من عبادي . وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : اخلص العمل يجزك منه القليل وقال مامن عبد يخلص العمل لله تعالى اربعين يوماً الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وقال (ص) ثلاث لا يغل عليهن ، وعد منها قلب رجل مسلم اخلص العمل لله عز وجل

وقال (ع) لا تهتموا لقلة العمل واهتموا للقبول . وقال عيناه امير المؤمنين « ع » : طوبى لمن اخلص لله العبادة والدعاء ولم يشغل قلبه بما ترى ولم ينس ذكر الله بما تسمع اذناه ولم يحزن صدره بما اعطى غيره .

و قال الباقر عليه السلام : ما اخلص عبد الايمان بالله اربعين يوماً او قال ما اجمل عبد ذكر الله اربعين يوماً الا زهده الله تعالى فى الدنيا وبصره دائها ودوائها واثبت الحكمة فى قلبه وانطق بها لسانه . وقال الصادق « ع » في قول الله عز وجل (ليبلوكم ايكم احسن عملا) : ليس يعني اكثركم عملا ولكن اصوبكم عملا وانما الاصابة خشية الله والنية الصادقة ثم قال الايقاء على العمل حتى يخلص اشد من العمل والعمل الخالص الذي لا تريد ان يحمدك عليه احد الا الله عز وجل والنية افضل من العمل الا وان النية هي العمل ثم تلى قوله عز وجل : قل كل يعمل على شاكلته يعني على نيته .

النفاق

وهو مخالفة السر والعلن سواء كان في الايمان او فى الطاعات او في

المعاشرات مع الناس وسواء قصد به طلب الجاه والمال ام لا .

وبالجملة هو بجميع اقسامه مذموم محرم قال رسول الله « ص » من كان له وجهان فى الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة . وقال (ص) تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجين ، الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وقال (ص) : يجيء يوم القيامة ذو الوجهين دالعاً لسانه في قفاه ، وآخر من قدامه ، يلتهبان ناراً حتى يلتهبان خده ، ثم يقال : هذا الذي كان في الدنيا ذا وجهين وذا لسانين ، يعرف بذلك يوم القيامـة . وورد فى التوراة . بطلت الامانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين ، يهلك الله يوم القيامة كل شفتين مختلفتين . وعن علي بن اسباط عن عبد الرحمن بن حماد رفعه قال : قال الله تبارك وتعالى لعيسى : ياعيسى ليكن لسانك في السر والعلانية لساناً واحداً ، وكذلك قلبك ، اني احذرك نفسك ، وكفى بي خبيراً ، لا يصلح لسانان فى فم واحد ولا سيفان في غمد واحد ، ولا قلبان في صدر واحد ، وكذلك الاذهان . وقال الباقر (ع) : لبئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين ، يطري اخاه شاهداً ويأكله غائباً ، ان اعطى حسده وان ابتلى خذله .

الغرور

وهو سكون النفس الى ما يوافق الهوى ، ويميل اليـه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان ، فمن اعتقد انه على خير اما في العاجل او في الآجل عن

شبهة فاسدة فهو مغرور ، ولما كان اكثر الناس ظانين بانفسهم خيراً ، ومعتقدين بصحة ما هم عليه من الاعمال والافعال وخيريته ، مع انهم مخطئون فيه فهم مغرورون ، مثلا من ياخذ المال الحرام وينفقها في مصارف الخير ، كبناء المساجد والمدارس والقناطر والرباطاة وغيرها ، يظن ان هذا خير له وسعادة مع انه محض الغرور حيث خدعه الشيطان واراه ما هو شر له خيراً ، وكذا الواعظ الذي غرضه الجاه والقبول من موعظته ، يظن انه في طاعة الله مع انه في المعصية بغرور الشيطان وخدعته ، والغرور والغفلة منبع كل هلكة وام كل شقاوة ، ولذا ورد فيه الذم الشديد في الآيات والاخبار . قال الله سبحانه : فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور . وقال عز وجل : ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني ، حتى جاء امر الله وغركم بالله الغرور وقال رسول الله (ص) : حبذا نوم الاكياس وفطرهم ، كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم ، ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين افضل من ملء الارض من المغترين . وقال الصادق عليه السلام : المغرور في الدنيا مسكين ، وفي الآخرة مغبون . لانه باع الافضل بالادنى ، ولا تعجب من نفسك فربما اغتررت بمالك وصحة جسدك ان لعلك تبقى ، وربما اغتررت بطول عمرك واولادك واصحابك لعلك تنجو بهم ، وربما اغتررت بجمالك ومنيتك واصابتك مأمولك وهواك ، فظننت انك صادق ومصيب ، وربما اغتررت بما ترى من الندم على تقصيرك في العبادة ، ولعل الله يعلم من قلبك بخلاف ذلك ، وربما اقمت نفسك على العبادة متكلفاً ، والله يريد الاخلاص ، وربما افتخرت بعلمك ونسبك ، وانت

غافل عن مضمرات ما في غيب الله تعالى ، وربما توهمت انك تدعو الله وانت تدعو سواه ، وربما حسبت انك ناصح للخلق ، وانت تريدهم لنفسك ان يميلوا اليك ، وربما ذممت نفسك وانت تمدحها على الحقيقة .

وصل ضد الغرور

﴿ الفطانة والعلم والزهد ﴾

فمن كان فطناً كيسا عارفا بربه ونفسه وبالآخرة والدنيا ، وعالما بكيفية سلوك الطريق الى الله ، وبما يقربه اليه ، وبما يبعده عنه ، وعالماً بآفات الطريق وعقباته وغوائله ، لاجتنب عن الغرور ، ولم يغره الشيطان في شيء من الامور قال الصادق عليه السلام : واعلم انك لن تخرج من ظلمات الغرور والتمني ، إلا بصدق الانابة الى الله والاخبات له ، ومعرفة عيوب احوالك من حيث لا يوافق العقل والعلم ، ولا يحتمله الدين والشريعة ، وسنن القدوة وائمة الهدى وان كنت راضيا بما انت فيه فما احد اشقى بعملك منك ، واضيع عمراً فاورثت حسرة يوم القيامة .

طول الامل

وهو ان يقدر ويعتقد بقائه الى مدة متمادية ، مع رغبته فى جميع توابع

البقاء من المال والاهل والدار وغير ذلك ، ومنشأه الجهل وحب الدنيا ، وهو من الصفات المهلكة ، وقد وردت روايات كثيرة في ذمه كقوله صلى الله عليه وآله : ان اشد ما اخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى ، وطول الامل ، فاما اتباع الهوى فانه يصد عن الحق ، واما طول الامل ، فانه الحب للدنيا ، ثم قال : ان الله يعطى الدنيا من يحب ويبغض ، واذا احب عبداً اعطاه الايمان الا ان للدين ابناء ، وللدنيا ابناء ، فكونوا من ابناء الدين ، ولا تكونوا من ابناء الدنيا ، الا ان الدنيا قد ارتحلت مولية ، الا ان الآخرة قد اتت مقبلة ألا وانكم في يوم عمل ليس فيه حساب ، ألا وانكم يوشك ان تكونوا في يوم حساب ليس فيه عمل . وقوله (ص) نجا اول هذه الامة باليقين والزهد ويهلك آخر هذه الامة بالبخل والامل .

وقول امير المؤمنين عليه السلام : ما اطال عبد الامل إلا اساء الامل (١) وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء ، واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح ، وخذ من دنياك لآخرتك ، ومن حياتك لموتك ، ومن صحتك لسقمك ، فانك لا تدري ما اسمك غداً . وقال (ص) : بعد ما سمع ان اسامة اشترى وليدة بمائة دينار الى شهر : ان اسامة لطويل الامل ، والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي ، الا ظننت ان شفري لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي ، ولا رفعت طرفي فظننت اني واضعه حتى اقبض ، ولا لقمت لقمة الا ظننت اني لا اسيغها حتى اغص بها من الموت ، ثم قال

(١) العمل «ظ»

يابني آدم ان كنتم تعقلون فعدوا انفسكم من الموتى ، والذي نفسي بيده ان ما توعدون لآت وما انتم بمعجزين وروى انه (ص) قد اطلع ذات عشية الى الناس ، فقال : ايها الناس اما تستحيون من الله تعالى ، قالوا : وما ذاك يارسول الله قال تجمعون ما لا تاكلون ، وتاملون ما لا تدركون ، وتبنون ما لا تسكنون وقال (ص) : اكلكم يحب ان يدخل الجنة ؟ قالوا : نعم يارسول الله ، قال قصروا من الامل ، واجعلوا آجالكم بين ابصاركم ، واستحيوا من الله حق الحياء . وكان (ص) يقول اللهم اني اعوذ بك من دنيا تمنع خير الاخرة ، واعوذ بك من حياة تمنع خير المات ، واعوذ بك من امل يمنع خير العمل . وكان (ص) يتيمم مع القدرة على الماء قبل مضي ساعة ، ويقول لعلي لا ابلغه وقال عيسى عليه السلام : لا تهتموا برزق غد فان لم يكن غداً من آجالكم فستأتي ارزاقكم مع آجالكم ، وان لم يكن غد من آجالكم فلا تهتموا لارزاق غيركم .

فصل

﴿ ذكر الموت مقصر للامل ﴾

ذكر الموت يقصر الامل ، ويدفع طوله ، ويوجب التجافى عن دار الغرور والاستعداد لدار الخلود ، ولذا ورد في فضيلته والترغيب فيه اخبار كثيرة .

قال رسول الله (ص) : اكثروا ذكر هادم اللذات ، قيل : وما هو يارسول الله ؟

قال : الموت ، فما ذكره عبد على الحقيقة فى منعة ، الا ضاقت عليه الدنيا ، ولا في شدة الا اتسعت عليه . وقال (ص) تحفة المؤمن الموت ، وقال (ص) : الموت كفارة لكل مسلم . وقيل له (ص) : هل يحشر مع الشهداء احد ؟ قال : نعم ، من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة . وقال (ص) : اكثروا من ذكر الموت ، فانه يمحص الذنوب ، ويزهد في الدنيا . وقال (ص) : كفى بالموت واعظاً وقال (ص) : الموت الموت الا ولابد من الموت ، جاء الموت بما فيه ، جاء بالروح والراحة ، والكرة المباركة الى جنة عالية ، لاهل دار الخلود ، الذين كان لها سعيهم وفيها رغبتهم . وقال (ص) اذا استحقت ولاية الله والسعادة جاء الاجل بين العينين ، وذهب الامل وراء الظهر ، واذا استحقت ولاية الشيطان والشقاوة ، جاء الامل بين العينين وذهب الاجل وراء الظهر ، وذكر عنده صلى الله عليه وآله رجل ، فاحسنوا الثناء عليه ، فقال (ص) : كيف ذكر صاحبكم للموت ؟ قالوا : ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت ، قال : فان صاحبكم ليس هنالك .

وسئل اي المؤمنين اكيس واكرم ؟ فقال : اكثرهم ذكراً للموت ، واشدهم استعداداً له ، اولئك هم الاكياس ، ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة .

وقال الباقر (ع) : اكثروا ذكر الموت ، فانه لم يكثر ذكره انسان الا زهد في الدنيا .

وقال الصادق (ع) : اذا انت حملت جنازة فكن كأنك انت المحمول ، وكأنك سألت ربك الرجوع الى الدنيا ففعل ، فانظر ماذا تستأنف ، ثم قال عليه السلام : عجبا لقوم حبس اولهم عن آخرهم ، ثم نودي فيهم بالرحيل ، وهم

يلعبون . وقال عليه السلام لابي بصير بعد ما شكى اليه الوسواس : اذكر يااباً محمد تقطع اوصالك في قبرك ، ورجوع احبائك عنك اذا دفنوك في حفرتك وخروج بنات الماء من منخريك ، واكل الدود لحمك ، فان ذلك يسلي عليك ما انت فيه ، قال ابو بصير : فوالله ما ذكرته إلا سلى عني ما انا فيه من هم الدنيا . وقال (ع) من كان كفنه معه في بيته ، لم يكتب من الغافلين ، وكان مأجوراً كلما نظر اليه . وقال (ع) : ذكر الموت يميت الشهوات في النفس ، ويقلع منابت الغفلة ، ويقوي القلب بمواعد الله ، ويرق الطبع ، ويكسر اعلام الهوى ، ويطفي نار الحرص ، ويحقر الدنيا ، وهو معنى ما قال النبي (ص) : فكر ساعة خير من عبادة سنة ، وذلك عند ما يحل اطناب خيام الدنيا ويشدها في الآخرة ، ولا ينكر نزول الرحمة عند ذكر الموت بهذه الصفة ، ومن لا يعتبر بالموت وقلة حيلته ، وكثرة عجزه وطول مقامه في القبر ، وتحيره في القيامة فلا خير فيه . وقال النبي (ص) : اكثروا ذكر هادم اللذات ، ثم ذكر تمام الحديث كما مر ثم قال (ع) والموت اول منزل من منازل الآخرة ، وآخر منزل من منازل الدنيا ، فطوبى لمن اكرم عند النزول باولها ، وطوبى لمن احسن مشايعته في آخرها ، والموت اقرب الاشياء من بني آدم ، وهو بعده ابعد ، فما اجرأ الانسان على نفسه ، وما اضعفه من خلق ، وفي الموت نجاة المخلصين ، وهلاك المجرمين ولذلك اشتاق من اشتاق الى الموت وكره من كره قال النبي (ص) : من احب لقاء الله احب الله لقائه ومن كره لقاء الله كره الله لقائه .

فصل

﴿ العجب ممن ينسى الموت ﴾

عجبا لقوم نسوا الموت ، وغفلوا عنه ، وهو اظهر اليقينات والقطعيات في العالم ، واسرع الاشياء الى بني آدم ، قال الله سبحانه وتعالى : اينما تكونوا يدرككم الموت ، ولو كنتم في بروج مشيدة . وقال سبحانه كل نفس ذائقة الموت ، وانما توفون اجوركم يوم القيامة ، فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور . وقال الصادق (ع) ما خلق الله يقيناً لا شك فيه ، اشبه بشك لا يقين فيه ، من الموت . وقال امير المؤمنين عليه السلام ما انزل الموت حق منزلته من عد غداً من اجله . وقال عليه السلام : لو رأى العبد اجله وسرعته اليه لابغض العمل من الدنيا . وقال الصادق (ع) ما من اهل بيت شعر ولا وبر الا وملك الموت يتصفحه كل يوم خمس مرات وقد تقدمت اخبار اخر في هذا المعنى .

الوقاحة

وهو عدم مبالات النفس ، وعدم انفعالها من ارتكاب المحرمات الشرعية والعقلية او العرفية ، وكونها من ردائة قوتي الغضب والشهوة ظاهر ، وضدها

الحياء : وهو انحصار النفس وانفعالها من ارتكاب المحرمات ، وهو من شرائف الصفات النفسية ، ولذا ورد في فضله ما ورد قال الصادق (ع) : الحياء من الايمان ، والايمان في الجنة . وقال (ع) : الحياء والعفاف والعي (اعني عي اللسان ، لا عي القلب) من الايمان وقال (ع) الحياء والايمان مقرونان في قرن فاذا ذهب احدهما تبعه صاحبه . وقال (ع) لا ايمان لمن لا حياء له .

المعصية والاصرار عليها

﴿ وقبحها معلوم بالشرع والعقل ﴾

والاخبار الواردة في ذم خصوص افراد المعاصي ربما يظفر بجملة منها في هذا الكتاب عند ذكر كل معصية ، واما الاخبار الواردة في ذم مطلق الذنب والمعصية فكثيرة جداً كقول النبي (ص) : ما من يوم طلع فجره ولا ليلة غاب شفقها الا وملكان يناديان باربعة اصوات : يقول احدهما ياليت هذا الخلق لم يخلقوا ، ويقول الآخر : ياليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا ، فيقول الآخر : فياليتهم اذ لم يعلموا لماذا خلقوا عملوا بما علموا . ويقول الآخر : فياليتهم اذ لم يعملوا بما علموا تابوا مما عملوا ، واعلموا ان العبد ليحبس على ذنب من ذنوبه مائة عام ، وانه لينظر الى ازواجه في الجنة يتنعمن .

وقال امير المؤمنين عليه السلام لا تبدين عن واضحة ، وقد عملت الاعمال الفاضحة ، ولا تأمن البيات ، وقد عملت السيئات .

وقال الباقر عليه السلام : ان الله قضى قضاء حتما الا ينعم على العبد بنعمة فيسلبها اياه ، حتى يحدث العبد ذنبا يستحق بذلك النقمة . وقال عليه السلام : ما من شيء افسد للقلب من خطيئته ، ان القلب ليواقع الخطيئة ، فما يزال به حتى يغلب عليه ، فيصير اعلاه اسفله . وقال (ع) : ان العبد ليذنب الذنب ، فيزوى عنه الرزق .

وقال الصادق (ع) : يقول الله تعالى : ان ادنى ما اصنع بالعبد اذا آثر شهوته على طاعتي ، ان احرمه لذيذ مناجاتي . وقال (ص) من هم بسيئة فلا يعملها ، فانه ربما عمل العبد السيئة فيراه الرب تعالى ، فيقول وعزتي وجلالي لا اغفر لك بعد ذلك ابداً . وقال اما انه ليس من عرق يضرب ، ولا نكبة ، ولا صداع ، ولا مرض الا بذنب ، وذلك قول الله عز وجل في كتابه : وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير ، قال (ع) وما يعفو الله اكثر مما يؤاخذ به وقال (ع) : ان الرجل يذنب الذنب فيحرم صلاة الليل ، وان العمل السيء اسرع في صاحبه من السكين في اللحم . وقال الكاظم عليه السلام حق على الله ان لا يعصى في دار الا اضحاها للشمس حتى يطهرها .

فصل

اعلم ان ضد المعصية التوبة ، وهي اول مقامات الدين ، ورأس مال السالكين

ومفتاح استقامة السائلين ، ومطلع التقرب الى رب العالمين ، ومدحها عظيم ، وفضلها جسيم . قال الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله التائب حبيب الله ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له . وقال الباقر (ع) ان الله تعالى اشد فرحا بتوبة عبده ، من رجل اضل راحلته وزاده في ليلة ظلماء ، فوجدها ، فالله اشد فرحا بتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته حين وجدها . وقال (ع) التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، والمقيم على الذنب وهو مستغفر منه كالمستهزء . وقال الصادق (ع) ان الله يحب من عباده المفتن التواب يعني كثير الذنب ، كثير التوبة . وقال (ع) اذا تاب العبد توبة نصوحا احبه الله ، فستر عليه ، فقلت وكيف يستر عليه ؟ قال ينسى ملكيه ما كانا يكتبان عليه ، ويوحى الى جوارحه والى بقاع الارض ان اكتمى عليه ذنوبه ، فيلقى الله عز وجل حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب . وقال الصادق عليه السلام ان الله عز وجل اعطى التائبين ثلاث خصال لو اعطى خصلة منها جميع اهل السموات والارض لنجوا بها . قوله عز وجل ان الله يحب التوابين (الى آخره) ، وقوله الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ، ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً ، فاغفر للذين تابوا (الى قوله) وذلك هو الفوز العظيم وقوله والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر ، ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق اثاماً ، يضاعف له العذاب يوم

القيامة ، ويخلد فيه مهانا ، إلا من تاب وآمن (الى قوله) وكان الله غفوراً رحيما وقال ابو الحسن عليه السلام احب العباد الى الله المنيبون التوابون .

فصل - قبول التوبة

التوبة المستجمعة لشرائطها مقبولة بالاجماع ، ويدل عليه قوله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده . وقوله تعالى ومن يعمل سوء او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما . وقول النبي صلى الله عليه وآله ان الله تعالى يبسط يده بالتوبة لمسيء الليل الى النهار ، ولمسيء النهار الى الليل ، حتى تطلع الشمس من مغربها . وبسط اليد كناية عن طلب التوبة وطالب التوبة يقبلها البتة . وقوله صلى الله عليه وآله ان الحسنات يذهبن السيئات ، كما يذهب الماء الوسخ . وقوله (ص) لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ، ثم ندمتم لتاب الله عليكم . وقوله « ص » : ان العبد ليذنب الذنب فيدخل في الجنة ، قيل : كيف ذلك يارسول الله ؟ قال يكون نصب عينيه ، تائباً منه ، فاراً حتى يدخل الجنة . وقوله « ص » كفارة الذنب الندامة . وقوله « ص » : من تاب قبل موته بسنة قبل الله توبته ، ثم قال : ان السنة لكثير من تاب قبل موته بشهر قبل الله توبته ، ثم قال : ان الشهر لكثير ، من تاب قبل موته بجمعة قبل الله توبته . ثم قال : ان الجمعة لكثير من تاب قبل موته بيوم قبل الله توبته ، ثم قال : ان يوماً لكثير ، من تاب قبل ان يعاين ملك الموت قبل الله توبته .

وقال الباقر عليه السلام لمحمد بن مسلم : ذنوب المؤمن اذا تاب منها مغفورة له ، فليعمل المؤمن لما يستأنف بعد التوبة والمغفرة ، اما والله انها ليست الا لاهل الايمان ، فقال له : فان عاد بعد التوبة والاستغفار من الذنوب وعاد في التوبة ، قال : يامحمد بن مسلم ، اترى العبد المؤمن يندم على ذنبه ويستغفر منه ويتوب ثم لا يقبل الله توبته ؟ قال فانه فعل ذلك مراراً يذنب ثم يتوب ويستغفر ، فقال : كلما عاد المؤمن بالاستغفار والتوبة عاد الله عليه بالمغفرة ، وان الله غفور رحيم ، يقبل التوبة ، ويعفو عن السيئات ، فاياك ان تقنط المؤمن من رحمة الله . وقوله عليه السلام : اذا بلغت النفس هذه (واهوى بيده الى حلقه) لم تكن للعالم توبة ، وكانت للجاهل توبة .

وقوله (ع) : ان آدم صلى الله عليه ، قال : يارب سلطت علي الشيطان ، واجريته مني مجرى الدم ، فاجعل لي شيئاً ، فقال : ياآدم جعلت لك ان من هم من ذريتك بسيئة لم تكتب عليه ، فان عملها كتبت عليه سيئة ، ومن هم منهم حسنة ، فان لم يعملها كتبت له حسنة ، فان هو عملها كتبت له عشراً قال : يارب زدني ، قال : جعلت لك ان من عمل منهم سيئة ثم استغفر غفرت له ، قال : يارب زدني ، قال : جعلت لهم التوبة ، وبسطت لهم التوبة حتى تبلغ النفس هذه ، قال : يارب حسبي ، وقول الصادق (ع) : ان الرجل ليذنب الذنب فيدخله الله به الجنة ، قيل : يدخله الله بالذنب الجنة ؟ قال : نعم ، انه ليذنب فلا يزال منه خائفاً ماقتا لنفسه ، فيرحمه الله فيدخله الجنة . وقوله (ع) العبد المؤمن اذا اذنب اجله الله سبع ساعات ، فان استغفر الله لم يكتب عليه شيء

وان مضت الساعات ولم يستغفر ، كتبت عليه سيئة ، وان المؤمن ليذكر ذنبه بعد عشرين سنة ، حتى يستغفر ربه فيغفر له ، وان الكافر لينسا من ساعته . وقوله (ع) : ما من مؤمن يقارف في يومه وليلته اربعين كبيرة فيقول وهو نادم : استغفر الله الذي لا آله الا هو الحي القيوم بديع السموات والارض ذا الجلال والاكرام واسأله ان يصلي على محمد وآل محمد وان يتوب علي ؛ إلا غفرها الله له ، ولا خير فيمن يقارف في يومه اكثر من اربعين كبيرة .

ثم ان كيفية تعلق التوبة بالافعال ، وكيفية الخروج عنها ينقسم الى اقسام ثلاثة : (احدها) ترك الطاعات الواجبة من الصلاة والصوم والزكاة والخمس والكفارة وغيرها ، وطريق التوبة عنها ان يجتهد في قضائها بقدر الامكان ، و (ثانيها) المحرمات التي بين العبد وبين الله اعني المنهيات التي هي حقوق الله كشرب الخمر وضرب المزامير والكذب والزنا بغير ذات بعل ، وطريق التوبة عنها ان يندم عليها ، ويوطن قلبه على ترك العود الى مثلها ابداً و (ثالثها) الذنوب التي بينه وبين العباد ، وهي المعبر عنها بحقوق الناس ، والامر فيها اصعب واشكل وهي اما في المال او في النفس او في العرض او في الحرمة او الدين ويلزم الخروج من الكل بالطرق المذكورة في الكتب الفقهية .

فصل

﴿ يلزم على الانسان محاسبة نفسه ومراقبتها ﴾

قال الله سبحانه : ولتنظر نفس ما قدمت لغد ، والمراد بهذا النظر المحاسبة

على الاعمال . وقال رسول الله (ص) حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا ، وزنوها قبل ان توزنوا . وقال الصادق (ع) : اذا اراد احدكم ان لا يسأل ربه شيئاً إلا اعطاه ، فلييأس من الناس كلهم ، ولا يكون له رجاء إلا من عند الله تعالى ، فاذا علم الله تعالى ذلك من قلبه ، لم يسأله شيئاً إلا اعطاه ، فحاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا عليها ، فان للقيامة خمسين موقفاً ، كل موقف مقام الف سنة ، ثم تلا : في يوم كان مقداره خمسين الف سنة .

الغفلة

وهي فتور النفس عن الالتفات والتوجه الى ما فيه غرضها ومطلبها ، اما عاجلا او آجلا ، وهي مذمومة . قال سبحانه : اولئك هم الغافلون ، وضدها النية وترادفها الارادة والقصد : وهي انبعاث النفس وميلها وتوجهها الى ما فيه غرضها ومطلبها حالا او مآلا .

فصل

﴿ النية روح الاعمال والجزاء بحسبها ﴾

النية روح الاعمال وحقيقتها والجزاء يكون حقيقة عليها ، فان كانت خالصة لوجه الله تعالى كانت ممدوحة ، وكان جزائها خيراً وثوابا وان كانت مشوبة بالاغراض الدنيوية كانت مذمومة ، وكان جزائها شراً وعقابا قال الله

سبحانه : ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ، والمراد بالارادة النية لترادفهما كما تقدم ، واوحى الله الى داود : ياداود لا تطاول على المريدين ، ولو علم اهل محبتي منزلة المريدين عندي ، لكانوا لهم ارضا يمشون عليها ، ياداود لئن تخرج مريداً من كربة هو فيها تستمده كتبتك عندي حميداً ومن كتبته حميـداً لا يكون عليـه وحشة ولا فاقة الى المخلوقين : وقال رسول الله (ص) : انما الاعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبهـا او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه . وانما قال : ذلك حين قيل له : ان بعض المهاجرين الى الجهاد ليست نية من تلك الهجرة إلا اخذ الغنائم من الاموال والسبايا ، اونيل الصيت عند الاستيلاء . وقال (ص) : ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم ، وانما ينظر الى القلوب لانها مظنة النية . وقال (ص) ان العبد ليعمل اعمالا حسنة فتصعد بها الملائكة في مختتمة ، فتلقى بين يدي الله تعالى فيقول : القوا هـذه الصحيفة فانه لم يرد بما فيها وجهي ، ثم ينادي الملائكة اكتبوا له كذا وكذا ، اكتبوا له كذا وكذا ، فيقولون : ياربنا انه لم يعمل شيئاً من ذلك ، فيقول الله تعالى : انه نواه ، وقال (ص) الناس اربعة : رجل آتاه الله عز وجل علماً ومالا فهو يعمل بعلمه في ماله ، فيقول ، رجل : لو آتاني الله تعالى مثل ما آتاه لعملت كما يعمل ، فهما فى الاجر سواء ، ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علماً ، فهو يتخبط بجهـله فى ماله ، فيقول رجـل : لو آتاني الله مثل ما آتاه لعملت كما يعمل ، فهما في الوزر سواء . الا ترى كيف شاركه بالنية

في محاسن عماله ومساويه « ١ » ولما خرج صلى الله عليه وآله الى غزوة تبوك قال : ان بالمدينة اقواماً ، ما قطعنا واديا ولا وطأنا موطئاً يغيظ الكفار ، ولا انفقنا نفقة ولا اصابتنا مخمصة ، الا شاركونا في ذلك ، وهم في المدينة ، قالوا وكيف ذلك يارسول الله وليسوا معنا ؟ فقال : حبسهم العذر فشاركونا بحسن النية .

وفي الخبر ان رجلا من المسلمين قتل في سبيل الله بايدي بعض الكفار وكان يدعى بين المسلمين : قتيل الحمار ، لأنه قاتل رجلا من الكافرين نية ان ياخذ حماره وسلبه ، فقتل على ذلك فاضيف الى نيته وهاجر رجل الى الجهاد مع اصحاب النبي (ص) ، وكانت نيته من المهاجرة ان ياخذ امرأة كانت في عساكر الكفار ويتزوجها وتسمى ام قيس ، فاشتهر هذا الرجل عند اصحاب النبي بمهاجر ام قيس . وفى اخبار كثيرة : من هم بحسنة ولم يعملها كتب له حسنة ـ كما تقدم ـ وقد ورد انه اذا التقى المسلمان بسيفهما ، فالقاتل فى النار وكذا المقتول ، لانه اراد قتل صاحبه . وقال (ص) : اذا التقى الصفان نزلت الملائكة تكتب الخلق على مراتبهم : فلان يقاتل للدنيا ، فلان يقاتل حمية ، فلان يقاتل عصبية ، الا فلا تقولوا : قتل فلان في سبيل الله ، الا لمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا . وقال (ص) : من تزوج امرأة على صداق وهو لا ينوي ادائه فهو زان ، ومن استدان دينا وهو لا ينوي قضائه فهو سارق ، ومن تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه اطيب من المسك ، ومن تطيب لغير الله

« ١ » يحتمل ان يكون محمولا على الرضا بالوزر .

جاء يوم القيامة وريحه انتن من الجيفة (١) وكل ذلك مجازاة على حسب النية.

وقال الصادق (ع) ان العبد المؤمن الفقـير ليقول: يارب ارزقني حتى افعل كذا وكذا من البر ووجوه الخير، فاذا علم الله عز وجل ذلك منه بصدق النية، كتب له من الاجر مثل ما يكتب له لو عمله، ان الله واسع كريم. وسئل عليه السلام: عن حد العبادة التي اذا فعلها فاعلها كان موديا؟ فقـال؟ حسن النية بالطاعة، وقال (ع) وانما خلد اهل النار فى النار، لأن نياتهم كانت فى الدنيا ان لو خلدوا فيها ان يعصوا الله تعالى ابداً، وانما خلد اهل الجنة في الجنة لأن نياتهم كانت فى الدنيا ان لو بقوا فيها ان يطيعوا الله ابداً، فالنيات خلد هؤلاء وهؤلاء، ثم تلى قوله تعالى: قل كل يعمل على شاكلته قال على نيته

وقال الباقر (ع) نيـة المؤمن خير من عمـاله، وذلك لانه ينوي الخير ما لا يدركه، ونية الكافر شر من عمله، وذلك لأن الكافر ينوي الشر ويأمل من الشر ما لا يدركه. وقيل للصادق (ع): سمعتك تقول: نية المؤمن خير من عمله، فكيف تكون النية خيراً من العمـل؟ قال (ع): لأن العمـل كان رياء للمخلوقين، والنية خالصة لرب العالمين فيعطي عز وجل على النية ما لا يعطي على العمل. ثم قال: ان العبد لينوى من نهاره ان يصلي بالليل، فتغلبه عينه فينام فيثبت الله له صلاته، ويكتب نفسه تسبيحاً، ويجعل نومه صدقة.

«١» كالتطيب المنهي عنه شرعا كالمرأة للاجانب، اما التطيب للمسلمين لاجل امره تعالى بذلك فهو من التطيب لله تعالى.

فصل - محبة الله

من الصفات الممدوحة محبة الله ورسوله ، ومن امر بحبه والشوق الى لقاء الله .

وما ورد فى الآيات والاخبار والآثار من الامر به والمدح عليه واتصاف الانبياء والاولياء به ، وحكايات المحبين ، قد بلغت من الكثرة والصراحة حداً لا يقبل الكذب والتأويل ، فمن شواهد القرآن قوله تعالى : يحبهم ويحبونه . وقوله : والذين آمنوا اشد حبا لله . وقوله تعالى : قل ان كان آباؤكم وآبنائكم واخوانكم وعشيرتكم (الى قوله) احب اليكم من الله ورسوله (الى آخر الآية)

واما الاخبار الواردة ، والآثار ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا يؤمن احدكم حتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما . وقال (ص) : الحب من شروط الايمان . وقال (ص) : احبوا الله لما يغدوكم به من نعمة ، واحبوني لحب الله . وقد نظر (ص) الى احد اصحابه مقبلا ، وعليه اهاب كبش فقال « ص » انظروا الى هذا الرجل الذي قد نور الله قلبه ، لقد رأيته بين ابويه يغذوانه باطيب الطعام والشراب . فدعاه حب الله وحب رسوله الى ما ترون . وقال « ص » فى دعائه : اللهم ارزقني حبك . وحب من يحبك ، وحب من يقربني الى حبك ، واجعل حبك احب الى من الماء البارد وفى الخبر المشهور : ان ابراهيم « ع » قال الملك الموت اذ جاءه لقبض روحه : هل رأيت

خليلا يميت خليله ؟ فاوحى الله تعالى اليه : هل رأيت محبا يكره لقاء حبيبه فقال ياملك الموت الآن فاقبض .

واوحى الله تعالى الى موسى « ع » : يابن عمران كذب من زعم انه يحبني ، فاذا جنه الليل نام عني ، اليس كل محب يحب خلوة حبيبه ، ها انا ذا يابن عمران مطلع على احبائي ، اذا جنهم الليل حولت ابصارهم الى قلوبهم ومثلت عقوبتي بين اعينهم ، يخاطبوني عن المشاهدة ، ويكلموني عن الحضور ، يابن عمران هب لي من قلبك الخشوع ، ومن بدنك الخضوع ، ومن عينك الدموع في ظلم الليل ، فانك تجدني قريباً .

وروي ان عيسى « ع » مر بثلاثة نفر ، قد نحلت ابدانهم ، وتغيرت الوانهم ، فقال لهم : ما الذي بلغ بكم ما ارى ؟ فقالوا : الخوف من النار ، فقال : حق على الله ان يؤمن الخائف ، ثم جاوزهم الى ثلاثة اخرى ، فاذا هم اشد نحولا وتغيراً فقال لهم ما الذي بلغ بكم ما ارى ؟ فقالوا : الشوق الى الجنة ، فقال حق على الله ان يعطيكم ما ترجون ، ثم جاوزهم الى ثلاثة اخرى ، فاذا هم اشد نحولا وتغيراً ، كأن على وجوههم المرايا من النور فقال : ما الذي بلغ بكم ما ارى ؟ قالوا : حب الله عز وجل ، فقال : انتم المقربون .

وفي بعض الروايات انه عليه السلام قال للطائفتين الاوليين : مخلوقا خفتم ومخلوقا رجوتم ، وقال للطائفة الثالثة : انتم اولياء الله حقاً ، معكم امرت ان اقيم . وقال رسول الله (ص) : ان شعيبا (ع) بكى من حب الله عز وجل حتى عمى ، فرد الله عليه بصره ، ثم بكى حتى عمى فرد الله عليه بصره ، فلما كانت

الرابعة اوحى الله اليه : ياشعيب الى متى يكون هـذا ابداً منك ، ان يكن هذا خوفا من النار فقد اجرتك ، وان يكن شوقا الى الجنة فقد ابحتك ، فقال : آلهي وسيدي انت تعلم اني ما بكيت خوفا من نارك ، ولا شوقا الى جنتك ، ولكن عقد حبك على قلبي فلست اصبر او اراك (١) فاوحى الله : اما اذا كان هذا هكذا سأخدمك كليمي موسى بن عمران .

وروى : انه جاء اعرابي الى النبي (ص) فقال : يارسول الله متى الساعة ؟ فقال (ص) : ما اعددت لها ؟ قال ما اعددت لها كثير صلاة ولا صيام الا اني احب الله ورسوله ، فقال له النبي (ص) : المرء مع من احب وفي اخبار داود ، قل لعبادي المتوجهين الى محبتي : ما ضركم اذا احتجبتم عن خلقي ، اذ رفعت الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا الي بعيون قلوبكم وما ضركم ما زويت عنكم من الدنيا ، اذ بسطت ديني لكم ، وما ضركم مسخطة الخلق اذا التمستم رضاي . وفيها ايضاً ياداود انك تزعم انك تحبني ، فان كنت تحبني فاخرج حب الدنيا عن قلبك ، فان حبي وحبها لا يجتمعان في قلب .

وقال امير المؤمنين (ع) في دعاء كميل : فهبني ياالهي وسيدي ومولاي وربي صبرت على عذابك فكيف اصبر على فراقك ؟ ! . وقال سيد الشهداء (ع) في دعاء عرفة : انت الذي ازلت الاغيار عن قلوب احبائك ، حتى لم يحبوا سواك ولم يلجأوا الى غيرك . وقال عليه السلام : يامن اذاق احبائه حلاوة المؤانسة ، فقاموا بين يديه متملقين . وفي المناجات الانجيلية المنسوبة الى سيد الساجدين عليه السلام

« ١ » كناية عن الموت ولقاء ثواب الله تعالى .

وعزتك لقد احببتك محبة استقرت في قلبي حلاوتها ، وآنست نفسي ببشارتها ومحال في عدل اقضيتك ان يسد اسباب رحمتك عن معتقدي محبتك .

تذنيب

﴿ الحب في الله والبغض في الله ﴾

اعلم ان الاخبار متظاهرة في مدح الحب في الله والبغض في الله وعظم فضيلته وثوابه . ومعناه لا يخلو عن ابهام فلابد ان نشير الى بعض هذه الاخبار ، ثم نبين حقيقته ونكشف عن معناه ، اما الاخبار فهي كقول النبي (ص) ود المؤمن للمؤمن في الله اعظم شعب الايمان ، الا ومن احب في الله وابغض في الله ، واعطى في الله ومنع في الله ، فهو من اصفياء الله . وقال (ص) لاصحابه اي عرى الايمان اوثق ؟ فقالوا : الله ورسوله اعلم ، فقال بعضهم : الصلاة وقال بعضهم : الزكاة ، وقال بعضهم : الصيام ، وقال بعضهم : الحج والعمرة ، وقال بعضهم الجهاد ، فقال رسول الله (ص) : لكل ما قلتم فضل وليس به ، ولكن اوثق عرى الايمان : الحب في الله والبغض في الله ، وتوالي اولياء الله والتبري من اعداء الله . وقال (ص) : المتحابون في الله يوم القيامة على ارض زبرجدة خضراء في ظل عرشه عن يمينه ـ وكلتا يديه يمين ـ (١) وجوههم اشد بياضا واضوء من

« ١ » معنى كونهم عن يمينه انه لو فرض على العرش احد كانوا هؤلاء عن يمين ذاك ، ولما كان هذا الكلام لعله لا يفهم المراد منه بعض اضرب « ص » بقوله : (وكلتا يديه يمين) اشارة الى عدم كونه سبحانه جسما ونحوه .

الشمس الطالعة ، يغبطهم بمنزلتهم كل ملك مقرب ، وكل نبي مرسل ، يقول الناس من هؤلاء ؟ فيقال : هؤلاء المتحابون فى الله .

وقال سيد الساجدين (ع) : اذا جمع الله الاولين والاخرين ، قام مناد فنادي يسمع الناس ، فيقول : اين المتحابون في الله ؟ قال : فيقوم عنق من الناس فيقال لهم : اذهبوا الى الجنة بغير حساب ، قال فتلقاهم الملائكة ، فيقولون : الى اين ؟ فيقولون : الى الجنة بغير حساب ، فيقولون : اي حزب انتم من الناس ؟ فيقولون نحن المتحابون في الله ، قال : فيقولون : واي شيء كانت اعمالكم ؟ قالوا : كنا نحب في الله ونبغض فى الله ، قال : فيقولون : نعم اجر العاملين .

وقال الباقر عليه السلام : اذا اردت تعلم ان فيك خيراً ، فانظر الى قلبك فان كان يحب اهل طاعة الله ، ويبغض اهل معصيته ، ففيك خير والله يحبك ، واذا كان يبغض اهل طاعة الله ، ويحب اهل معصيته ، فليس فيك خير والله يبغضك ، والمرء مع من احبه . وقال عليه السلام : لو ان رجلا احب رجلا لله اثابه الله على حبه اياه ، وان كان المحبوب في علم الله من اهل النار ، ولو ان رجلا ابغض رجلا لله لاثابه الله على بغضه اياه ، وان كان المبغض في علم الله من اهل الجنة .

وقال الصادق (ع) من احب لله وابغض لله ، واعطى لله ، فهو ممن كمل ايمانه وقال (ع) : ان المتحابين في الله يوم القيامة على منابر من نور ، قد اضاء نور وجوههم ونور اجسادهم ونور منابرهم كل شيء حتى يعرفوا به ، فيقال : هؤلاء المتحابون في الله ، وقال (ص) وهل الايمان الا الحب في الله والبغض

في الله ؟! ثم تلا هذه الآية : حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم ، وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان ، اولئك هم الراشدون . وقال (ع) ما التقى المؤمنان قط ، الا كان افضلها اشدهما حبا لاخيه . وقال (ص) : من لم يحب على الدين ، ولم يبغض على الدين ، فلا دين له والاخبار بهذه المضامين كثيرة .

ترغيب العزلة

اعلم ان من بلغ مقام الانس غلب على قلبه حب الخلوة والعزلة عن الناس لأن المخالطة مع الناس تشغل القلب عن التوجه التام الى الله ، فلابد لنا من بيان ان الافضل من العزلة والمخالطة ، ايها ، فان العلماء في ذلك مختلفون ، والاخبار ايضاً فى ذلك مختلفة ، ولكل واحد منهما ايضاً فوائد ومفاسد ، فنقول : اما ماورد فى مدح العزلة فكثير كقول النبي (ص) ان الله يحب العبد التقى الخفي . وقوله (ص) : افضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله ، ثم رجل معتزل في شعب من الشعاب . وقوله (ص) لمن سأله عن طريق النجاة ؟ ليسعك بيتك ، وامسك عليك دينك ، وابك على خطيئتك . وقول الصادق (ع) فسد الزمان وتغير الاخوان ، وصار الانفراد اسكن للفؤاد . وقوله (ع) اقلل معارفك ، وانكر من تعرف منهم . وقوله (ع) : صاحب العزلة متحصن بحصن الله تعالى ، ومتحرس بحراسته ، فياطوبى لمن تفرد به سراً وعلانية .

واما ما ورد في ذمها فكثير ايضاً كقول النبي (ص) المؤمن الف مألوف

ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وقوله (ص) من فارق الجماعة مات ميتة الجاهلية وكالاخبار الواردة في ذم الهجرة عن الاخوان ، وقوله (ص) اياكم والشعاب وعليكم بالعامة والجماعة والمساجد .

فالصحيح ان يقال ان الافضلية فيها تختلف بالنظر الى الاشخاص والاحوال والازمان والامكنة ، فينبغي ان ينظر الى كل شخص وحاله ، والى خليطه ، والى باعث مخالطته ، والى ما يحصل بمخالطته من فوائد المخالطة ، وما يفوت لاجلها من فوائد العزلة ، ويوازن بين ذلك حتى يظهر الافضل والارجح ولاختلاف ذلك في حق الاشخاص بملاحظة الاحوال والفوائد والآفات ربما يظهر بعد التأمل ان الافضل لبعض الخلق العزلة التامة ، ولبعضهم المخالطة ، ولبعضهم الاعتدال في العزلة والمخالطة .

السخط

السخط ـ فيما يخالف هواه ـ من الواردات الالهية و التقديرات الربانية ، ويرادفه الانكار والاعتراض ، من شعب الكراهة لافعال الله ، وهو ينافي الايمان والتوحيد ، وما للعبد العاجز الذليل المهين الجاهل بمواقع القضاء والقدر والغافل عن موارد الحكم والمصالح ، والاعتراض والانكار والسخط لافعال الخالق الحكيم العليم الخبير ، وانى للعبد الا يرضى بما يرضى به ربه ، ولعمري ان من يعترض على فعل الله فهو اشد الجهلاء ، ومن لم يرض بالقضاء فليس لحمقه دواء ، وقد

ورد في الخبر القدسي : خلقت الخير والشر ، فطوبى لمن خلقته للخير ، واجريت الخير على يديه ، وويل لمن خلقته للشر (١) واجريت الشر على يديه ، وويل ثم ويل لمن قال : لم ، وكيف ، وفي خبر قدسي آخر : انا الله لا اله إلا انا من لم يصبر على بلائي ، ولم يشكر على نعمائي ولم يرض بقضائي ، فليتخذ ربا سواي وفي مناجات موسى (ع) : اي رب اي خلقك احب اليك ؟ قال : من اذا اخذت منه المحبوب سالمني ، قال : فاي خلقك انت عليه ساخط ؟ قال : من يستخيرني في الامر ، فاذا قضيت له سخط قضائي .

وفي الخبر القدسي : قدرت المقادير ، ودبرت التدبير ، واحكمت الصنع ، فمن رضى فله الرضا مني حين يلقاني . وقال الباقر (ع) : ومن سخط القضاء مضى عليه القضاء واحبط الله اجره . وقال الصادق (ع) : كيف يكون المؤمن مؤمناً ، وهو يسخط قسمته ، ويحقر منزلته ، والحاكم عليه الله ، وانا الضامن لمن لم يهجس في قلبه الا الرضا ، ان يدعوا لله فيستجاب له وفي بعض الاخبار ان نبيا من الانبياء شكى الى الله عز وجل الجوع والفقر والعرى عشر سنين فما اجيب اليه ، ثم اوحى الله تعالى اليه كم تشكو ؟ (٢) وهكذا كان بدوك عندي في ام الكتاب ، قبل ان اخلق السموات والارض ، وهكذا سبق لك مني ، وهكذا قضيت عليك قبل ان اخلق الدنيا ، افتريد ان اعيد خلق الدنيا من اجلك ؟ ام تريد ان ابدل ما قدرته عليك ؟ فيكون ما تحب فوق ما احب

(١) اللام للعاقبة ، كقوله تعالى : ليكون لهم عدواً وحزنا .

(٢) يحتمل ان تكون الشكاية يراد بها الدعاء وكان الالحاح في ذلك خلاف الاولى

ويكون ما تريد فوق ما اريد ، وعزتي وجلالي لئن تلجلج هذا في صدرك مرة اخرى ، لامحونك من ديوان النبوة . وروى : انه اوحى الله تعالى الى داود (ع) تريد واريد ، وانما يكون ما اريد ، فان اسلمت لما اريد ، كفيتك ما تريد ، وان لم تسلم لما اريد ، اتعبتك فيما تريد ، ثم لا يكون إلا ما اريد .

فصل - ضد السخط الرضا

وهو ترك الاعتراض والسخط باطناً وظاهراً قولا وفعلا ، و هو من ثمرات المحبة ولوازمها ، وهو افضل مقامات الدين ، واشرف منازل المقربين ، و هو باب الله الاعظم ومن دخله دخل الجنة . قال الله سبحانه : رضى الله عنهم ورضوا عنه . وعن النبي (ص) انه سئل طائفة من اصحابه ما انتم ؟ فقالوا : مؤمنون ، فقال : ما علامة ايمانكم ؟ فقالوا : نصبر على البلاء ، ونشكر عند الرخاء ، ونرضى بمواقع القضاء فقال : مؤمنون ورب الكعبة .

وفي خبر آخر قال : حكماء علماء كادوا من فقههم ان يكونوا انبياء .

وقال (ص) : اذا احب الله عبداً ابتلاه ، فان صبر اجتباه ، فان رضى اصطفاه وقال (ص) اعطوا الله الرضا من قلوبكم ، تظفروا بثواب فقركم . وقال « ص » اذا كان يوم القيامة ، انبت الله تعالى لطائفة من امتي اجنحة ، فيطيرون من قبورهم الى الجنان ، يسرحون فيها ويتنعمون فيها كيف شاؤا فتقول لهم الملائكة : هل رأيتم الحساب ؟ فيقولون : ما رأينا حسابا ، فتقول لهم : هل جزتم الصراط ؟

فيقولون : ما رأينا صراطاً ، فتقول لهم هل رأيتم جهنم ؟ فيقولون : ما رأينا شيئاً ، فتقول الملائكة : من امة من انتم ؟ فيقولون : من امة محمد صلى الله عليه وآله فتقول : ناشدناكم الله حدثونا ما كانت اعمالكم في الدنيا ؟ فيقولون : خصلتان كانتا فينا ، فبلغنا الله هذه المنزلة بفضل رحمته فيقولون : وما هما ؟ فيقولون : كنا اذا خلونا ، نستحي ان نعصيه ، ونرضى باليسير مما قسم لنا ، فتقول الملائكة يحق لكم هذا .

وقال الصادق (ع) : ان الله بعدله وحكمته وعلمه ، جعل الروح والفرح في اليقين والرضا عن الله تعالى ، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط .

وروي ان موسى عليه السلام قال : يارب دلني على امر فيه رضاك ، فقال تعالى : ان رضاي في رضاك بقضائي . وروي : ان بني اسرائيل قالوا له (ع) سل لنا ربك امراً اذا نحن فعلناه يرضى عنا ، فقال موسى (ع) : الهي قد سمعت ما قالوا ، فقال : ياموسى ، قل لهم : يرضون عني حتى ارضى عنهم .

وقال سيد الساجدين (ع) : الصبر والرضا رأس طاعة الله ، ومن صبر ، ورضى عن الله فيما قضى عليه فيما احب او كره ، لم يقض الله عز وجل له فيما احب اوكره إلا ما هو خير له . وقال صلوات الله عليه الزهد عشرة اجزاء ، اعلى درجة الزهد ادنى درجة الورع ، واعلى درجة الورع ادنى درجة اليقين ، واعلى درجة اليقين ادنى درجة الرضا .

وقال الباقر (ع) : احق خلق الله ان يسلم لما قضى الله عز وجل من عرف الله عز وجل ، ومن رضى بالقضاء اتى عليه القضاء وعظم الله اجره

وقال الصادق (ع): اعلم الناس بالله، ارضاهم بقضاء الله، وقال عليه السلام قال الله عز وجل: عبدي المؤمن لا اصرفه في شيء إلا جعلته خيراً له فليرض بقضائي، وليصبر على بلائي، وليشكر على نعمائي، اكتبه يا محمد من الصديقين عندي. وقال عليه السلام: عجبت للمرء المسلم لا يقضي الله عز وجل له قضاء إلا كان خيراً له، ان قرض بالمقاريض كان خيراً له، وان ملك مشارق الارض ومغاربها كان خيراً له. وقال (ع): ان فيما اوحى الله عز وجل الى موسى بن عمران: (ع) ياموسى بن عمران ما خلقت خلقا احب الي من عبدي المؤمن واني انما ابتليه لما هو خير له، واعافيه لما هو خير له، وازوى عنه لما هو خير له وانا اعلم بما يصلح عليه عبدي، فليصبر على بلائي، وليشكر نعمائي، وليرض بقضائي، اكتبه فى الصديقين عندي اذا عمل برضاي واطاع امري، وقيل له(ع) باي شيء يعلم المؤمن انه مؤمن؟ قال: بالتسليم لله، والرضا فيما ورد عليه من سرور او سخط. وقال الكاظم «ع»: ينبغي لمن عقل عن الله الا يستبطئه فى رزقه، ولا يتهمه في قضائه.

فصل ـ طريق تحصيل الرضا

الطريق الى تحصيل الرضا ان يعلم ان ما قضى الله سبحانه له هو الاصلح بحاله وان لم يبلغ فهمه الى سره، مع ان السخط والكراهة لا يفيد شيئاً ولا يتبدل به القضاء، فان ما قدر يكون، وما لم يقدر لم يكن وحسرة

الماضي وتدبير الآتي يذهبان الوقت بلا فائدة ، وتبقى تبعته السخط عليه فينبغي ان يدهشه الحب لخالقه عن الاحساس بالالم ، وان يهون عليه العلم بعظم الثواب التعب والعناء كما للمريض والتاجر المتحملين شدة الحجامة والسفر ، فيفوض امره الى الله ان الله بصير بالعباد .

الحزن

وهو التحسر والتألم لفقد محبوب او فوت مطلوب ، وهو ايضا كالاعتراض والانكار مترتب على الكراهة للمقدرات الالهية ، قال تعالى : الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وفى اخبار داود «ع» ياداود ما لاوليائي والهم بالدنيا ، ان الهم يذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم ، ان محبي من اوليائي ان يكونوا روحانيين لا يغتمون .

عدم الاعتماد

اوضعفه في اموره على الله ، والوثوق بالوسائط والنظر اليها من رذائل ، وسببه اما ضعف اليقين ، او ضعف القلب ، او كلاهما ، فهو من رذائل قوتي العاقلة والغضب ولا ريب في انه من المهلكات العظيمة ، وينافي الايمان بل هو من شعب الشرك ولذا ورد في ذمه من الآيات والاخبار ما ورد قال الله سبحانه : ان الذين

تدعون من دون الله عباد امثالكم وقال · ان الذين تعبـدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه . وقال : ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون، وفى اخبار داود «ع» ما اعتصم عبد من عبادي باحد من خلقي عرفت ذلك من نيتـه ، الا قطعت اسباب السماوات من يديه ، واسخطت الارض من تحته ، ولم ابال باي واد هلك . قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من اغتر بالعبيد اذله الله . وقيل مكتوب في توراة : ملعون من ثقته بانسان مثله ، فينبغي للمؤمن ان يتخلى عنه باكتساب ضده اعني التوكل كما يأتي :

فصل - فضيلة التوكل

التوكل منزل من منازل السالكين ، ومقام من مقامات الوحدين ، بل هو افضل درجات الموقنين ، ولذا ورد في مدحه وفضله وفي الترغيب فيه ما ورد من الكتاب والسنة .

قال الله تعـالى : وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين . وقال : وعلى الله فليتوكل المؤمنون . وقال : ان الله يحب المتوكلين وقال : ومن يتوكل على الله فهو حسبه . وقال : ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم : اي عزيز لا يذل من استجار به ، فلا يضع من لاذ بجنابه ، وحكيم لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنة ، ورزقه من حيث لا يحتسب ، ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها .

و قال صلى الله عليه وآله : من سره ان يكون اغنى الناس ، فليكن بما عند الله اوثق منه بما في يده . وقال صلى الله عليه وآله : لو انكم تتوكلون على الله حق توكله ، لرزقتم كما ترزق الطيور ، تغدو خماصاً وتروح بطانا (١)

وعن علي بن الحسين عليهما السلام : قال خرجت حتى انتهيت الى هذا الحائط ، فاتكأت عليه فاذا رجل عليه ثوبان ابيضان ينظر في تجاه وجهي ، ثم قال : ياعلي بن الحسين مالي اراك كئيباً حزيناً ؟ اعلى الدنيا فرزق الله حاضر للبر والفاجر ، قلت : ما على هذا احزن ، وانه لكما تقول ، قال : فعلى الآخرة ؟ فوعد صادق يحكم فيه ملك قاهر قادر قلت : ما على هذا احزن ، وانه لكما تقول فقال : مم حزنك ؟ قلت : مما نتخوف من فتنة ابن الزبير ، وما فيه الناس ، قال فضحك ، ثم قال : ياعلي بن الحسين هل رأيت احداً دعا الله فلم يجبه ؟ قلت لا ، قال فهل رأيت احداً توكل على الله فلم يكفه ؟ قلت : لا قال : فهل رأيت احداً سئل الله فلم يعطه ؟ قلت لا : ثم غاب عني ولعل الرجل كان هو الخضر على نبينا وآله وعليه السلام . (٢)

---

(١) لكن يفهم من هذه لابدية الغدو و الرواح بمعنى الخروج من المنزل في الطلب كما هو فى الطيور كذلك .

(٢) او كان ملكا وكان هذا لتعليم غيره (ع) فانهم (ع) كثيراً ما كانوا لا يتمكنون من اظهار علومهم بلا اسناد .

وقال الصادق عليه السلام : اوحى الله الى داود : ما اعتصم بي عبد من عبادي دون احد من خلقي ، عرفت ذلك من نيته ، ثم تكيده السماوات والارض ومن فيهن ، الا جعلت له المخرج من بينهن . وقال عليه السلام : ان الغنى والعز يجولان ، فاذا ظفرا بموضع التوكل اوطنا . وقال عليه السلام : من اعطى ثلاثاً لم يمنع ثلاثا : من اعطى الدعاء اعطى الاجابة ، ومن اعطى الشكر اعطى الزيادة ومن اعطى التوكل اعطى الكفاية ، ثم قال : اتلوت كتاب الله عز وجل ؟ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، وقال : لئن شكرتم لازيدنكم ، وقال ادعوني استجب لكم . وقال (ع) ايما عبد اقبل قبل ما يحب الله تعالى ، اقبل الله قبل ما يحب ، ومن اعتصم بالله عصمه الله ، ومن اقبل الله قبله وعصمه ، لم يبال لو سقطت السماء على الارض ، او كانت نازلة نزلت على اهل الارض ، فتشملهم بلية كان في حزب الله بالتقوى من كل بلية ، اليس الله تعالى يقول ؟ ان المتقين في مقام امين ، وقال عليه السلام : ان الله تعالى يقول وعزتي وجلالي و مجدي وارتفاعي على عرشي ، لاقطعن امل كل مؤمل من الناس في غيري باليأس ، ولا كسونه ثوب المذلة عند الناس ، ولا نحينه من قربي ، ولا بعدنه من وصلي ، او يؤمل غيري في الشدائد ؟ ! والشدائد بيدي ، ويرجو غيري ، ويقرع بالفكر باب غيري ، وبيدي مفاتيح الابواب ، وهي مغلقة ، وبابي مفتوح لمن دعاني ، فمن ذا الذي اماني لنوائبه فقطعته دونها ؟ ، ومن ذا الذي رجاني لعظيمة فقطعت رجاءه مني جعلت آمال عبادي عندي محفوظة ، فلم يرضوا بحفظي ، وملئت سماواتي ممن

لا يمل من تسبيحي ، وامرتهم الا يغلقوا الابواب بيني وبين عبادي ، فلم يثقوا بقولي ، الم يعلم من طرقته نائبة من نوائبي انه لا يملك كشفها احد غيري إلا من اذني ؟ فما لي اراه لاهياً عني ، اعطيته بجودي ما لم يسئلني ، ثم انتزعته عنه فلم يسئلني رده ، وسئل غيري ، افتراني ابدأ بالعطاء قبل المسألة ثم اسئل فلا اجيب سائلي ؟ ! ابخيل انا فيبخلني عبدي ؟ ! او ليس الجود والكرم لي ؟ ! ؛ او ليس العفو والرحمة بيدي ؟ ! او لست انا محل الآمال فمن يقطعها دوني ؟ ! افلا يخشى المؤملون ان يؤملوا غيري ؟ ! فلو ان اهل سماواتي واهل ارضي املوا جميعاً ، ثم اعطيت كل واحد منهم مثلما امل الجميع ما انتقص من ملكي مثل عضو ذرة ، وكيف ينقص ملك انا قيمه ، فيا بؤساً للقانطين من رحمتي ، ويابؤسا لمن عصاني ولم يراقبني .

فصل ـ اعقل وتوكل

اعلم ان التوكل لا يبطل بالاسباب المقطوعة والمظنونة ، مع ان الله قادر على اعطاء المطلوب بدون ذلك ، لأن الله سبحانه ربط المسببات بالاسباب ، وابى ان يجري الاشياء الا بالاسباب ، ولذا لما اهمل الاعرابي بعيره ، وقال : توكلت على الله ، قال له النبي (ص) : اعقلها وتوكل . وقال الصادق (ع) : اوجب الله لعباده ان يطلبوا منه مقاصدهم بالاسباب التي سببها لذلك ، وامرهم بذلك ، وقال الله تعالى : خذوا حذركم ، وقال في كيفية صلاة الخوف : فليأخذوا حذرهم

واسلحتهم ، وقال : واعـدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل . وقال لموسى فاسر بعبادي ليلا ، والتحصن بالليل اختفاء عن اعين الاعداء دفعاً للضرر وفي الاسرائيليات : ان موسى بن عمران عليه السلام اعتل بعلة ، فدخل عليـه بنو اسرائيل ، فعرفوا علته ، فقـالوا له : لو تداويت بكذا لبرئت ، فقال : لا اتداوى حتى يعافيني الله من غير دواء فطالت علته ، فاوحى الله اليه وعزتي وجلالي لا ابرؤك حتى تتداوى بما ذكروه لك ، فقال لهم داووني بما ذكرتم ، فداووه فبرىء ، فاوجس في نفسه من ذلك ، فاوحى الله تعالى اليه اردت ان تبطل حكمتي بتوكلك علي ، فمن اودع العقاقير منافع الاشياء غيري .

الكفران - وضده الشكر

وبعد ما تعرف حقيقة الشكر ، وكونه متعلقاً باي القوى ، تعرف بالمقايسة حقيقة الكفران ، وكونه من رذائل اي القوى ، فنقول الشكر هو عرفان النعمة من المنعم والفرح به ، والعمل بموجب الفرح باضمار الخير والتحميد للمنعم ، واستعمال النعمة في طاعته (والحاصل) انه يتعلق بالقلب واللسان والجوارح ، اما المتعلق بالقلب فقصده الخير واضماره لكافـة الخلق ، واما المتعلق باللسان فاظهار الشكر لله بالتحميدات الدالة عليه ، واما المتعلق بالجوارح فاستعمال نعم الله في طاعته ، والتوقي من الاستعانة بها على معصيته ، حتى ان من جملة شكر العينين ان يستر كل عيب يراه من مسلم ، ومن جمـلة شكر الاذنين ان يستر كل عيب يسمعه

من مسلم ، فيدخل هذا وامثاله في جملة شكر نعمة هذه الاعضاء .

ثم بما ذكرناه وان ظهر ان حقيقة الشكر ملتئمة من الامور الثلاثة إلا انه قد يطلق الشكر على كل واحد ايضاً ، كما قال الصادق (ع) شكر كل نعمة وان عظمت ان تحمد الله ، وقال عليه السلام شكر النعم اجتناب المحارم ، وتمام الشكر قول الرجل الحمد لله رب العالمين وسئل عنه (ع) هل للشكر حد اذا فعله العبد كان شاكراً ؟ قال نعم قيل ما هو ؟ قال يحمد الله على كل نعمة عليه في اهل ومال ، وان كان فيما انعم عليه في ماله حق اداه . ومنه قوله عز وجل : سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ، ومنه قوله تعالى : رب انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين . وقوله : رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً . وقال (ع) كان رسول الله (ص) اذا ورد عليه امر يسره قال الحمد لله على هذه النعمة واذا ورد عليه امر يغتم به . قال الحمد لله على كل حال . وقال عليه السلام اذا اصبحت وامسيت فقل عشر مرات اللهم ما اصبحت بي من نعمة او عافية في دين او دنيا فمنك وحدك لا شريك لك ، لك الحمد ولك الشكر بها علي يارب حتى ترضى وبعد الرضا ، فانك اذا قلت ذلك كنت قد اديت شكر ما انعم الله به عليك في ذلك اليوم ، وفي تلك الليلة . وفي رواية كان نوح عليه السلام يقول ذلك اذا اصبح فسمى بذلك عبداً شكوراً . وقال (ع) : اذا ذكر احدكم نعمة الله ، فليضع خده على التراب ، شكراً لله ، فان كان راكباً فلينزل

وليضع خده على التراب ، وان لم يكن يقدر على النزول للشهرة ، فليضع خده على قربوسه ، وان لم يقدر فليضع خده على كفه ، ثم ليحمد الله على ما انعم الله عليه . وروى ان الصادق (ع) قد ضاعت دابته ، فقال : لئن ردها الله علي لاشكرن الله حق شكره قال الراوي : فما لبث ان اتى بها ، فقال : الحمد لله ، فقال قائل له : جعلت فداك ، أليس قلت لاشكرن الله حق شكره ؟ فقال ابو عبد الله عليه السلام : الم تسمعني قلت : الحمد لله ؟ !

ثم الشكر باللسان لاظهار الرضا من الله ، ولذا امر به ، وقد كان السلف يتسائلون بينهم ، ونيتهم استخراج الشكر لله ، ليوجر كل واحد من الشاكر والسائل . وقد روى : ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال لرجل : كيف اصبحت ؟ فقال : بخير فاعاد عليه السلام فاعاد عليه الجواب ، فاعاد السؤال فقال بخير احمد الله واشكره ، فقال (ص) : هذا الذي اردت منك .

فصل

﴿ فضيلة الشكر ﴾

الشكر افضل منازل الابرار ، وعمدة زاد المسافرين الى عالم النور ، وهو موجب لدفع البلاء ، وازدياد النعماء .

وقد ورد به الترغيب الشديد وجعله الله سببا للمزيد . قال الله سبحانه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم . وقال : ولئن شكرتم لازيدنكم . وقال :

فاذكروني اذكركم واشكروا الى ولا تكفرون . وقال : وسنجزي الشاكرين ، ولكونه غاية الفضائل والمقامات ليس لكل سالك ان يصل اليه ، بل ليس الوصول اليه إلا لاوحدى من كمل السالكين . ولذا قال رب العالمين : وقليل من عبادي الشكور ، وكفى به شرفا وفضلا ، انه خلق من اخلاق الربوبية ، كما قال سبحانه والله شكور حليم ، وهو فاتحة كلام اهل الجنة وخاتمته ، كما قال الله تعالى : وقالوا الحمد الله الذي صدقنا وعده . وقال : وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : الطاعم الشاكر له من الاجر كاجر الصائم المحتسب ، و المعافى الشاكر له من الاجر كاجر المبتلى الصابر ، و المعطى الشاكر له من الاجر كاجر المحروم القانع . وقال (ص) : ان للنعم اوابد كاوابد الوحش ، فقيدوها بالشكر . وقال (ص) : ينادي مناد يوم القيامة : ليقوم الحمادون فيقوم زمرة ، فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة ، فقيل : من الحمادون ؟ فقال : الذين يشكرون الله على كل حال .

وقال السجاد عليه السلام : ان الله سبحانه يحب كل عبد حزين ، ويحب كل عبد شكور .

وقال الباقر (ع) كان رسول الله (ص) عند عائشة ليلتها ، فقالت : يارسول الله لم تتعب نفسك ؟ وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال : ياعائشة الا اكون عبداً شكوراً قال : وكان يقوم على اطراف اصابع رجليه ، فأنزل الله تعالى : طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى .

وقال الصادق (ع) : ما انعم الله على عبد من نعمة فعرفها بقلبه وحمد

الله ظاهراً بلسانه ، فتم كلامه حتى يؤمر له بالمزيد . وقال (ع) : ثلاث لا يضر معهن شيء : الدعاء عند الكرب ، والاستغفار عند الذنب ، والشكر عند النعمة وقال (ع) : في كل نفس من انفاسك شكر لازم لك ، بل الف او اكثر ، وادنى الشكر رؤية النعمة من الله تعالى من غير علة يتعلق بها دون الله عز وجل ، او الرضا بما اعطى ، والا تعصيه بنعمته وتخالفه بشيء من امره ونهيه بسبب نعمته ، فكن لله عبداً شاكراً على كل حال ، تجد الله ربا كريما على كل حال .

ثم كما ان الشكر من المنجيات الموصلة الى سعادة الابد ، وزيادة النعمة في الدنيا ، فضده اعني الكفران من المهلكات المؤدية الى شقاوة السرمد ، وعقوبة الدنيا وسلب النعم . قال الله سبحانه : فكفرت بانعم الله ، فاذاقها الله لباس الجوع والخوف . وقال تعالى : ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم . وقال الصادق (ع) اشكر من انعم عليك ، وانعم على من شكرك فانه لا زوال للنعماء اذا شكرت ، ولا بقاء لها اذا كفرت ، الشكر زيادة في النعم ، وامان من الغير اي من التغيير .

فصل

﴿ الشكر نعمة يجب شكرها ﴾

لما كانت حقيقة الشكر عبارة عن عرفان ان كل النعم من الله مع صرفها

في جهة محبة الله ، فالشكر على كل نعمة ان تعرف كونها من الله ، وتصرفها في جهة محبته ، ولا ريب في ان هذه المعرفة والصرف ايضاً نعمـة من الله ، ويشهد بذلك ما روى : ان الله عز وجل اوحى الى موسى (ع) ياموسى اشكرني حق شكري ، فقال : يارب كيف اشكرك حق شكرك ، وليس من شكر اشكرك به الا وانت انعمت به علي ، قال : ياموسى الآن شكرتني ، حيث علمت ان ذلك مني ، وكذلك اوحى ذلك الى داود ، فقال : يارب كيف اشكرك وانا لا استطيع ان اشكرك إلا بنعمة ثانية من نعمك ، وفي لفظ آخر ، وشكري لك نعمة اخرى منك ، يوجب على الشكر لك ، فقال : اذا عرفت هذا فقـد شكرتني ، وفي خبر آخر اذا عرفت ان النعم مني ، رضيت عنك بذلك شكراً .

الجزع

وهو اطـلاق دواعي الهوى ، من الاسترسال في رفع الصوت ، وضرب الخدود ، وشق الجيوب ، او ضيق الصدر والتبرم والتضجر ، ثم الجزع في المصائب من المهلكات ، لأنه في الحقيقة انكار لقضاء الله ، واكراه لحكمـته ، وسخط على فعله ، ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله : الجزع عند البلاء تمام المحنة وقال (ص) : ان عظم الجزاء مع عظم البـلاء ، وان الله احب قوماً ابتلاهم ، فمن رضى فله الرضا ، ومن سخط فله السخط ، وفي الخبر القدسي : من لم يرض بقضائي ، ولم يشكر على نعمائي ، ولم يصبر على بلائي ، فليطلب ربا سواي. وروى :

ان زكريا لما هرب من الكفار واختفى في الشجرة ، وعرفوا ذلك جاؤا بالمنشار فنشرت الشجرة حتى بلغ المنشار رأس زكريا ، فان انة فاوحى الله اليه ، يازكريا لئن صعدت منك انة ثانية، لامحونك من ديوان النبوة ، فعض زكريا (ع) على اصبعه حتى قطع شطرين .

فصل - ضد الجزع الصبر

وهو ثبات النفس ، وعدم اضطرابها في الشدائد والمصائب ، بان تقاوم معها بحيث لا تخرجها عن سعة الصدر ، وما كانت عليه قبل ذلك من السرور والطمانينة ، فيحبس لسانه عن الشكوى واعضائه عن الحركات غير المتعارفة ، وهذا هو الصبر على المكروه ، وضده الجزع ، وله اقسام اخر ، لها اسماء خاصة ، تعد فضائل اخر ، كالصبر في الحروب ، وهو من انواع الشجاعة وضده الجبن ، والصبر في كظم الغيظ وهو الحلم وضده الغضب ، والصبر على المشاق كالعبادة وضده الفسق اي : الخروج عن العبادات الشرعية ، والصبر على شهوة البطن والفرج من قبائح اللذات وهي العفة ، واليه اشير في قوله سبحانه : واما من خاف مقام ربه ونهى النفس الهوى فان الجنة هي المأوى) وضده الشره ، والصبر عن فضول العيش وهو الزهد وضده الحرص ، والصبر في كتمان السر وضده الاذاعة ، ويظهر من ذلك ان اكثر اخلاق الايمان داخل في الصبر ، ولذلك لما سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن الايمان ؟ قال : هو الصبر لانه اكثر اعماله واشرفها كما قال

فصل - فضيلة الصبر

الصبر منزل من منازل السالكين ، ومقام من مقامات الموحدين ، وبه ينسلك العبد في سلك المقربين ، ويصل الى جوار رب العالمين ، وقد اضاف الله اكثر الدرجات والخيرات اليه ، وذكره في نيف وسبعين موضعاً من القرآن ووصف الله الصابرين باوصاف ، فقال عز من قائل : وجعلنا منهم أئمة يهدون بامرنا لما صبروا . وقال : وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا . وقال : ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون . وقال اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ، فما من فضيلة الا واجرها بتقدير وحساب الا الصبر ولذا قال : انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب ، ووعد الصابرين بانه معهم فقال : واصبروا ان الله مع الصابرين ، وعلق النصرة على الصبر فقال : بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين . وجمع للصابرين الصلوات والرحمة والهدى فقال اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون .

والآيات الواردة في مقام الصبر كثيرة والاخبار المادحة له اكثر من ان تحصى قال رسول الله (ص) الصبر نصف الايمان وقال (ص) من اقل ما اوتيتم اليقين و عزيمة الصبر ومن اعطى حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار ولئن تصبروا على مثل ما انتم عليه احب الي من ان يوافيني

كل امرء منكم بمثل عمل جميعكم ولكنني اخاف ان تمتح عليكم الدنيا بعدي فينكر بعضكم بعضاً وينكركم اهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه ثم قرأ قوله تعالى : ما عندكم ينفد وما عند الله باق .

وقال صلى الله عليه وآله : الصبر كنز من كنوز الجنة . وقال (ص) : افضل الاعمال ما اكرهت عليه النفوس ، ولاريب في ان الصبر مما تكره النفوس . ولذا قيل الصبر صبر . وقال (ص) : في الصبر على تكره«١» خير كثير . وقال صلى الله عليه وآله الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا جسد لمن لا راس له ، ولا ايمان لمن لا صبر له . وسئل (ص) : عن الايمان ؟ فقال : الصبر ، والسماحة . وقال (ص) ماتجرع عبد قط جرعتين احب الى الله من جرعة غيظ ردها بحلم ، وجرعة مصيبة يصبر الرجل لها ، ولا قطرت بقطرة احب الى الله تعالى من قطرة دم اهريقت في سبيل الله ، وقطرة دمع في سواد الليل وهو ساجد ولا يراه الا الله ، وما خطا عبد خطوتين احب الى الله تعالى من خطوة الى الصلوة الفريضة ، وخطوة الى صلة الرحم . وروى انه تعالى اوحى الى داود تخلق باخلاقي ، وان من اخلاقي اني انا الصبور .

وروى ان المسيح « ع » قال للحواريين انكم لا تدركون ماتحبون الا بصبركم على ما تكرهون . وقال (ص) مامن عبد مؤمن اصيب بمصيبة ، فقال كما امره الله انا لله وانا اليه راجعون ، اللهم اجرني في مصيبتي واعقبني خيراً منها ، الا وفعل الله ذلك . وقال (ص) قال الله عزوجل اذا وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه اوماله اوولده ، ثم استقبل ذلك بصبر جميل ، استحييت منه ان انصب له ميزاناً وانشر

«١» الظاهر « ماتكره »

له ديوانا . وقال (ص) الصبر ثلاثة صبر عند المصيبة وصبر على الطاعة، وصبر عن المعصية ، فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلاث مائة درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين السماء الى الارض ، ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين تخوم الارض الى العرش ، ومن صبر على المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين تخوم الارض الى منتهى العرش . وقال (ص) : سيأتي على الناس زمان لا ينال الملك فيه إلا بالقتل والتجبر ولا الغنى إلا بالغصب والبخل ، ولا المحبة إلا باستخراج الدين واتباع الهوى فمن ادرك ذلك الزمان فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى ، وصبر على البغضة وهو يقدر على المحبة ، وصبر على الذل وهو يقدر على العز آتاه الله ثواب خمسين صديقاً ، ممن صدق بي . وقال (ص) : ان الله تعالى قال لجبرئيل : ما جزاء من سلبت كريمته ؟ فقال : سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، قال : جزاءه الخلود في داري ، والنظر الى وجهي . وقال صلى الله عليه وآله لرجل (قال له : ذهب مالي وسقم جسمي) لا خير في عبد لا يذهب ماله ، ولا يسقم جسمه ، ان الله اذا احب عبداً ابتلاه ، واذا ابتلاه صبره . وقال (ص) ان الرجل ليكون له الدرجة عند الله تعالى لا يبلغها بعمل ، حتى يبتلى ببلاء في جسمه فيبلغها بذلك

وعن ابي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : قال الله عز وجل : اني جعلت الدنيا بين عبادي قرضاً فمن اقرضني منها قرضاً اعطيته بكل واحدة منهن عشراً الى سبعمائة ضعف وما شئت من ذلك ومن لم يقرضني منها قرضا فاخذت منه شيئا قسراً اعطيته ثلاث خصال لو اعطيت واحدة منهن

ملائكتي لرضوا بها مني قال : ثم تلى ابو عبدالله (ص) قوله عز وجل : الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون ، اولئك عليهم صلوات من ربهم فهذه واحدة من ثلاث خصال ، ورحمة ، اثنان ، واولئك هم المهتدون ثلاث ثم قال ابو عبد الله (ع) : هذا لمن اخذ الله منه شيئاً قسراً .

وقال امير المؤمنين (ع) : بنى الايمان على اربع دعائم اليقين ، والصبر والجهاد والعدل وقال (ع) : الصبر صبران : صبر عند المصيبة حسن جميـل واحسن من ذلك الصبر عند ما حرم الله عز وجل عليك . وقال «ع» الصبر ، وحسن الخلق والبر ، والحلم من اخلاق الانبياء وقال «ع» : ايما رجل حبسه السلطان ظالماً فمات فهو شهيد ، وان ضربه فمات فهو شهيد ، وقال «ع» من اجلال الله ومعرفة حقه الا تشكو وجعك ، ولا تذكر مصيبتك . وقال (ع) الا اخبركم بارجى آية في كتاب الله ؟ قالوا : بلى ، فقرا عليهم : وما اصابكم من مصيبـة فبما كسبت ايديكم ، ويعفو عن كثير . فالمصائب في الدنيا بكسب الاوزار ، فاذا عافاه الله في الدنيا ، فالله اكرم من ان يعذبه ثانياً ، وان عفى عنه في الدنيا فالله اكرم من ان يعذبه يوم القيامة .

وقال الباقر عليه السلام : الجنة محفوفة بالمكاره والصبر ، فمن صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنة ، وجهنم محفوفة باللذات والشهوات ، فمن اعطى نفسه لذتها وشهوتها دخل النار . وقال (ع) مروة الصبر في حال الفاقة والحاجة والتعفف والغنى اكثر من مروة الاعطاء . وقال (ع) : لمـا حضرت ابي علي بن الحسين عليهما السلام الوفاة ضمني الى صدره ، ثم قال : يابني اوصيك بما اوصاني به ابي حين

حضرته الوفاة، وفيما ذكر ان اباه اوصاه به، قال: يابني اصبر على الحق وان كان مراً.

وقال الصادق عليه السلام: اذا دخل المؤمن قبره كانت الصلاة عن يمينه والزكاة عن يساره، والبر مطل عليه، ويتنحى الصبر ناحيته، فاذا دخل عليه الملكان اللذان يليان مسائلته، قال الصبر للصلوة والزكاة والبر: دونكم صاحبكم، فان عجزتم عنه فانا دونه. وقال (ع): اذا كان يوم القيامة يقوم عنق من الناس فيأتون باب الجنة فيضربونه، فيقال لهم: من انتم؟ فيقولون: نحن اهل الصبر فيقال لهم: على ما صبرتم؟ فيقولون: كنا نصبر على طاعة الله، ونصبر عن معاصي الله، فيقول الله تعالى: صدقوا، ادخلوه الجنة، وهو قول الله تعالى: انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب. وقال (ع): من ابتلي من المؤمنين ببلاء فصبر عليه، كان له مثل اجر الف شهيد. وقال (ع): ان الله عز وجل انعم على قوم، فلم يشكروا فصارت عليهم وبالا، وابتلى قوما بالمصائب، فصبروا فصارت عليهم نعمة. وقال (ع): من لا يعد الصبر لنوائب الدهر يعجز. وقال (ع): ان من صبر صبر قليلا، وان من جزع، جزع قليلا، ثم قال: عليك بالصبر في جميع امورك، فان الله عز وجل بعث محمداً صلى الله عليه وآله فامره بالصبر والرفق، فقال: واصبر على ما يقولون، واهجرهم هجراً جميلا. وقال ابو الحسن عليه السلام لبعض اصحابه: ان تصبر تغتبط، والا تصبر يقدر الله مقاديره راضياً كنت ام كارهاً ولنصرف الكلام الى جهة باقية في الشكر وهي:

ان لازم الشكر شكر الوسائط، لقوله (ص) من لم يشكر الناس

لم يشكر الله وقال السجاد (ع) : اشكركم لله اشكركم للناس. وقال (ع) يقول الله تعالى لعبد من عبيده يوم القيامـة : اشكرت فلاناً ؟ فيقول : بل شكرتك يارب ، فيقول : لم تشكرني اذ لم تشكره. وقال الصادق (ع) : اشكر من انعم عليك وانعم على من شكرك.

الفسق

وهو الخروج عن طاعة المبدأ الحقيقي وعبادته ، وضده الطاعة وهي تمجيد المبدأ والتخضع له باداء ضروب العبادات المقررة في الشريعة ، وعمدة العبادات الموظفة في الشريعة هي : الطهارة ، والصـلاة ، والذكر ، والدعاء ، وتلاوة القرآن والصوم ، والحج ، وزيارة النبي صلى الله عليه وآله والائمة عليهم السلام ، والجهاد في سبيل الله ، واداء المعروف الشامل للزكاة ، والخمس ، والصدقة المندوبة وغيرها ففي المقام مقاصد :

المقصد الاول ـ في الطهارة

قال الله تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم . وقال رسول الله (ص) : بني الدين على النظافـة . وقال (ص) : الطهور نصف الايمان. وقال (ص) : مفتاح الصلاة الطهور. وقال (ص) : بئس العبد القاذورة وقال (ص) من اتخذ ثوبا فلينظفه. وقال امير المؤمنين (ع) التنظيف من الثياب

يذهب الهم والحزن ، وهو طهور للصلوة . ثم للطهارة اربع مراتب الاولى تطهير الظاهر من الاحداث والاخباث والفضلات ، الثانية تطهير الجوارح من الجرائم والآثام والتبعات ، الثالثة تطهير القلب من مساوي الاخلاق ورذائلها ، الرابعة تطهير السر عما سوى الله تعالى وهي تطهير الانبياء والصديقين : قال الصادق (ع) : انما سمي المستراح مستراحاً ، لاستراحة النفس من اثقال النجاسات واستفراغ الاقذار والكثافات فيها ، والمؤمن يعتبر عندها ، ان الخالص من حطام الدنيا كذلك تصير عاقبته ، فيستريح بالعدول عنها وتركها ، ويفرغ نفسه وقلبه عن شغلها ، ويستنكف عن جمعها واخذها استنكافه عن النجاسة والغائط والقذر ، ويتفكر في نفسه المكرمة فى حال ، كيف تصير ذليلة في حال ، ويعلم ان التمسك بالقناعة والتقوى يورث له راحة الدارين ، فان الراحة فى هوان الدنيا ، والفراغ من التمتع بها ، وفي ازالة النجاسة من الحرام والشبهة ، فيغلق عن نفسه باب الكبر بعد معرفته اياها ، ويفر من الذنوب ، ويفتح باب التواضع والندم والحياء ، ويجتهد فى اداء اوامره واجتناب نواهيه ، طلبا لحسن المآب وطيب الزلفى ، ويسجن نفسه في سجن الخوف والصبر والكف عن الشهوات الى ان يتصل بامان الله تعالى فى دار القرار ، ويذوق طعم رضاه ، فان المعول على ذلك ، وما عداه فلا شيء .

وينبغي ان يتأمل في ان ما دفع عنه من الغائط والقذر ، هو ما كان يشتهيه ويحترص في طلبه من لذائذ الاطعمة ، وكلما كانت الذ كانت عقوبته اشد ، فما كانت عاقبة ذلك فليحذر من ان يأخذه من غير حله ، فيعذب ابد الآباد لاجله ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : مثل المؤمن الخالص ، كمثل

الماء ، ولتكن صفوتك مع الله تعالى في جميع طاعتك كصفوة الماء حين انزله من السماء وسماه طهوراً وطهر قلبك بالتقوى واليقين عند طهارة جوارحك بالماء .

ومن الاسرار الواردة فى الطهارة وتخصيص بعض الاعضاء بالتطهير في الوضوء ، ما اشار اليه مولانا الرضا (ع) بقوله : انما امر بالوضوء ليكون العبد طاهراً اذا قام بين يدي الجبار ، عند مناجاته اياه مطيعاً له فيما امره نقياً من الادناس والنجاسة ، مع ما فيه من ذهاب الكسل وطرد النعاس ، وتزكية الفؤاد للقيام بين يدي الجبار ، وانما وجب ذلك على الوجه واليدين والرأس والرجلين لأن العبد اذا قام بين يدي الجبار ، فانما ينكشف من جوارحه ، ويظهر ما يجب فيه الوضوء ، وذلك انه بوجهه يسجد ويخضع ، وبيده يسأل ويرغب ويرهب ويتبتل ، وبرأسه يستقبل في ركوعه وسجوده ، وبرجليه يقوم ويقعد وامر بالغسل من الجنابة دون الخلاء لأن الجنابة من نفس الانسان ، وهو شيء يخرج من جميع بدنه ، والخلاء ليس هو من نفس الانسان انما هو غذاء يدخل من باب ويخرج من باب .

المقصد الثانى - فى الصلوة

فاعلم : ان صلاتك قربة وتحفة تتقرب بها الى حضرة ملك الملوك كهدية يهديها طالب القرب والجاه من السلاطين اليهم ، وهذه التحفة تعرض على الله ثم ترد اليك ، فى يوم العرض الاكبر ، فاليك الخيرة فى تحسين صورتها

او تقبيحها ، فمن اداها على النحو المأمور به باعمالها الواجبة والمندوبة وشرائطها الظاهرة والباطنة مع الاخلاص وحضور القلب ، كان كمن اهدى عبداً صحيحاً سويا شابا جميلا عاقلا كاملا الى ملك من الملوك ، ومن اقتصر على اعمالها الظاهرة وغفل من الحضور و التوجه والقربة والاخلاص ، كان كمن اهدى عبـداً ميتاً بلا روح الى ملك من الملوك ، ومن ترك عمـداً شيئاً من واجباته كان كمن اهدى عبداً مقتولا اليه ، ومن اقتصر على اقل ما يجزى كان كمن اهدى اليه عبداً حياً اعمى او اصم او ابكم او مقطوع الاطراف اوهرما او قبيح المنظر او مجروح الاعضاء او امثال ذلك ، ولا بحث لنا عما يتعلق بظاهرها من الاجزاء والشرائط والاحكام ، اذ بيانها على عهدة الفقه فلنشر الى المعاني الباطنة التي بها تتم حياتها ، فنقول المعاني الباطنة التي هي روح الصلاة وحقيقتها سبعة :

(الاول) الاخلاص والقربة ، وخلوها عن شوائب الرياء وقد تقدم تفصيل القول في ذلك .

(الثاني) حضور القلب وهو ان يفرغ القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به حتى يكون العلم مقروناً بما فعله وما يقوله ، من غير جريان الفكر فى غيرها ، فمهما انصرف عن غير ما هو فيه وكان في قلبه ذكر لما هو فيه من غير غفلة عنه فقد حصل حضور القلب (ثم) حضور القلب قد يعبر عنه بالاقبال على الصلاة والتوجه ، وقد يعبر عنه بالخشوع بالقلب فان الخشوع في الصلاة خشوعان : خشوع بالقلب وهو ان يتفرغ لجمع الهمة لها والاعراض عما سواها ، بحيث لا يكون في قلبه غير المعبود ، وخشوع بالجوارح وهو ان

يغض بصره ولا يلتفت ولا يعبث ولا يتثاءب ولا يتمطى ولا يفرقع اصابعه (وبالجملة) لا يتحرك لغير الصلوة ولا يفعل شيئا من المكروهات، وربما عبر عن ذلك بالخضوع.

(الثالث) التفهم لمعنى الكلام وهو امر وراء حضور القلب، فربما يكون القلب حاضراً مع اللفظ ولا يكون حاضراً مع معناه، فالمراد بالتفهم هو اشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ، وهذا مقام يتفاوت فيه الناس اذ ليس يشترك الناس فى تفهم معاني القرآن والتسبيحات، فكم من معاني لطيفة يفهمها بعض المصلين في اثناء الصلاة، ولم يكن قد خطر بقلبه قبل ذلك ولا يفهمها غيره، ومن هذا الوجه كانت الصلوة ناهية عن الفحشاء والمنكر، فانها تفهم اموراً تمنع تلك الامور عن الفحشاء والمنكر لا محالة.

(الرابع) التعظيم وهو امر وراء حضور القلب والتفهم، اذ الرجل ربما يخاطب غيره وهو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه، ولا يكون معظما له.

(الخامس) الهيبة وهي زائدة على التعظيم، لانها عبارة عن خوف، منشأه التعظيم، لأن من لا يخاف لا يسمى هائباً، ثم كل خوف لا يسمى مهابة، بل الهيبة خوف مصدره الاجلال.

(السادس) الرجاء ولا ريب في كونه زائداً عما ذكر وكم من رجل يعظم ملكا من الملوك ويهابه ويخاف سطوته، ولا يرجو بره واحسانه والعبد ينبغي ان يكون راجياً بصلاته ثواب الله كما انه خائف بتقصيره عقابه.

(السابع) الحياء ومستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب، وهو زائد على

التعظيم والخوف والرجاء ، لتصورها من غير حياء حيث لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب ، قال الله سبحانه : الذين هم في صلاتهم خاشعون وقال : اقم الصلاة لذكري . والغفلة تضاد الذكر فمن كان غافلا في صلاته لا يكون مقيما للصلاة لذكره . وقال : ولا تكن من الغافلين وقال : فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ، ذمهم على الغفلة عنها مع كونهم مصلين لا لانهم سهوا عنها وتركوها وقال : لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون قيل : المراد سكارى من كثرة الهم وقيل من حب الدنيا (١) ولو حمل على ظاهره ففيه تنبيه على سكر الدنيا اذ بين فيه العلة وقال حتى تعلموا ما تقولون وكم من مصل لا يشرب الخمر وهو لا يعلم ما يقول في صلاته . وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه . وقال « ص » : اذا صليت صلاة فريضه فصل لوقتها صلاة مودع يخاف ان لا يعود فيها . وقال (ص) لا ينظر الله الى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه . وقال (ص) انما فرضت الصلوة وامر بالحج والطواف واشعرت المناسك لاقامة ذكر الله فاذا لم يكن في قلبك للمذكور الذي هو المقصود والمبتغى عظمة ولا هيبة فما قيمة ذكرك .؟!

وعن ابي عبد الله عليه السلام قال : قال الله تعالى : انما اقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي ، ويكف نفسه عن الشهوات من اجلي ويقطع نهاره بذكري ، ولا يتعاظم على خلقي ، ويطعم الجائع ، ويكسو العاري ، ويرحم المصاب ويؤوي

(١) وفى بعض الروايات غير ذلك .

الغريب فذلك يشرق نوره مثل الشمس اجعل له في الظلمات نوراً وفي الجهالة علماً اكلأه بعزتي واستحفظه بملائكتي يدعوني فالبيه ويسألني فاعطيه ، فمثل ذلك عندي كمثل جنات الفردوس لا تيبس ثمارها ولا تتغير عن حالها . وفي اخبار موسى : ياموسى اذا ذكرتني فاذكرني وانت تنفض اعضائك وكن عند ذكري خاشعاً مطمئنا ، واذا ذكرتني فاجعل لسانك من وراء قلبك ، واذا قمت بين يدي فقم قيام العبد الذليل ، وناجني بقلب وجل ولسان صادق واوحى اليه عليه السلام : قل لعصاة امتك لا تذكروني فاني آليت على نفسي ان من ذكرني ذكرته واذا ذكروني ذكرتهم باللعنة

وفي بعض الاحاديث القدسية : ليس كل مصل اتقبل صلاته ، انما اقبل صلاة من تواضع لعظمتي ، ولم يتكبر على عبادي ، واطعم الفقير الجائع لوجهي . وقال اميرالمؤمنين (ع) : طوبى لمن اخلص لله العبادة والدعاء ، ولم يشغل قلبه بما تراه عيناه ولم ينس ذكر الله بما تسمع اذناه ، ولم يحزن صدره بما اعطى غيره . وقال الصادق عليه السلام : لاتجتمع الرغبة والرهبة في قلب الا وجبت له الجنة ، فاذا صليت فاقبل بقلبك على الله عزوجل فانه ليس من عبد مؤمن يقبل بقلبه على الله عزوجل في صلاته ودعائه الا اقبل الله عليه بقلوب المؤمنين وايده مع مودتهم اياه بالجنة . وقال الباقر عليه السلام ان العبد ليرفع له من صلاته نصفها ، وثلثها ، وربعها ، وخمسها ، فما يرفع له الا ما اقبل عليه بقلبه ، وانما امروا بالنوافل ، ليتم لهم ما نقصوا من الفريضة .

وروى : ان ابراهيم الخليل كان يسمع تاوهه على حد ميل ، وكان يسمع له في صلاته ازيز كازيز المرجل ، وكذلك كان يسمع من صدر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله مثل ذلك ، وقالت : بعض ازواجه كان النبي (ص) يحدثنا ونحدثه ،

فاذا حضرت الصلوة ، فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه .

وكان اميرالمؤمنين عليه السلام : اذا اخذ في الوضوء يتغير وجهه من خيفة الله وكان عليه السلام اذا حضرت وقت الصلاة يتزلزل ، فقيل له : مالك يااميرالمؤمنين ؟ فيقول : جاء وقت امانة عرضها الله على السماوات والارض والجبال ، فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان .

وروى : انه وقع نصل في رجله (ع) ، فلم يمكن احداً من اخراجه ، فقالت فاطمة (ع) : اخرجوه في حال صلاته ، فانه لايحس حينئذ بما يجرى عليه ، فاخرج وهو في صلاته ، فلم يحس به اصلا ، وكانت الصديقة فاطمة عليها السلام تنهج (١) في الصلاة من خيفة الله ، وكان الحسن بن علي عليهما السلام اذا فرغ من وضوئه تغير لونه ، فقيل له في ذلك ؟ فقال : حق على من اراد ان يدخل على ذي العرش ان يتغير لونه ، وكان الامام علي بن الحسين (ع) اذا توضأ اصفر لونه ، فيقال له ما هذا الذي يعتريك عند الوضوء ؟ فيقول : اني اريد الوقوف بين يدي ملك عظيم وقال ابو حمزة الثمالي : رأيته يصلي فسقط ردائه عن منكبه ، فتركه حتى فرغ من صلاته ، فسئلته عن ذلك ، فقال : ويحك اتدري بين يدي من كنت ؟ شغلني والله ذلك عن هذا ، اتعلم انه لايقبل من صلاة العبد الا ما اقبل عليه ؟ ! فقلت له : يابن رسول الله هلكنا اذا ، قال : كلا ان الله يتم ذلك بالنوافل ، وروى انه عليه السلام اذا قام الى الصلوة تغير لونه واذا سجد لم يرفع رأسه حتى يرفض عرقاً ، وروى انه « ع » كان اذا قام الى الصلاة كانه ساق شجرة لايتحرك منه الاما حركت الريح منه.

وسئل مولانا الصادق « ع » عن حالة لحقته في الصلوة حتى خر مغشياً عليه

---

(١) النهج : بالتحريك تتابع النفس .

فقال مازلت اكرر آيات القرآن حتى بلغت الى حال كاني سمعتها مشافهة ممن انزلها قيل وكان لسان الامام عليه السلام في تلك الحال كشجرة طور حين قالت اني انا الله

المقصد الثالث فى الذكر

اعلم انه ينبغي لكل مؤمن ان يكثر من الذكر والدعاء لاسيما عقيب الصلوة المفروضة ، وقد ورد في فضل الذكر من الآيات والاخبار مالا يمكن احصاؤه ، وكذلك الدعاء فهو مخ العبادة ، ولذا ورد في فضله ما ورد من الآيات والاخبار ولا حاجة الى ذكرها لاشتهارها ، والادعية المأثورة كثيرة مذكورة في كتب الدعوات ولا يتصور مطلب من مطالب الدنيا والآخرة الا وقد وردت به ادعية فمن اراد شيئاً منها فليأخذ من مواضعها .

ومما ينبغي لكل داع ان يراعي شرائط وآدابا في الدعاء حتى يستجاب له ويصل الى فائدته ، وتحصل لنفسه نورانية ، وهي ان يترصد لدعائه الاوقات الشريفة ، والاحوال الشريفة ، والاماكن المتبركة المشرفة ، وان يدعو متطهراً مستقبل القبلة ، رافعاً يديه بحيث يرى باطن ابطيه ، وان يخفض صوته بين الجهر والاخفات ، ولا يتكلف السجع في الدعاء ، ويكون فى غاية التضرع والخشوع والرهبة ، وان يجزم ويتيقن اجابة دعائه ، ويصدق رجائه فيه وان يلح في الدعاء ويكرره ثلاثاً ، ويفتتح الدعاء بذكر الله وتمجيده ، ولا يبتدىء بالسؤال ، وان يتوب ويرد مظالم العباد ، ويقبل على الله بكنه الهمة ، وهو السبب القريب للاجابة

وان يكون مطعمه وملبسه من الحلال ، وهو ايضاً من عمدة الشرائط ، وان يسمى حاجته ، ويعم في الدعاء ، ويبكي عنده ، وهو ايضاً سيد الآداب ، وان يتقدم فى الدعاء قبل الحاجة اليه ، والا يعتمد فى حوائجه على غير الله تعالى

قال الصادق عليه السلام : احفظ ادب الدعاء ، وانظر من تدعو ، وكيف تدعو ، ولماذا تدعو ، وحقق عظمة الله وكبريائه ، وعاين بقلبك علمه بما في ضميرك واطلاعه على سرك ، وما تكن فيه من الحق والباطل ، واعرف طرق نجاتك وهلاكك ، كيلا تدعو الله بشيء عسى فيه هلاكك وانت تظن ان فيه نجاتك قال الله تعالى : ويدعو الانسان بالشر دعائه بالخير ، وكان الانسان عجولا . وتفكر ماذا تسئل ، ولماذا تسأل والدعاء استجابة الكل منك للحق ، وتذويب المهجة في مشاهدة الرب ، وترك الاختيار جميعا ، وتسليم الامور كلها ظاهرها وباطنها الى الله تعالى ، فان لم تأت بشرط الدعاء فلا تنتظر الاجابة ، فانه يعلم السر واخفى فلعلك تدعوه بشيء قد علم من سرك خلاف ذلك ، واعلم انه لو لم يكن الله امرنا بالدعاء لكننا اذا اخلصنا الدعاء تفضل علينا بالاجابة ، فكيف وقد ضمن ذلك لمن اتى بشرائط الدعاء ، وسئل رسول الله (ص) : عن اسم الله الاعظم ؟ فقال : كل اسم من اسماء الله اعظم ، ففرغ قلبك عن كل ما سواه ، وادعه باي اسم شئت ، فليس في الحقيقة لله اسم دون ، بل هو الله الواحد القهار .

وقال النبي صلى الله عليه وآله : ان الله لا يستجيب الدعاء من قلب لاه فاذا اتيت بما ذكرت لك من شرائط الدعاء واخلصت سرك لوجهه فابشر باحدى ثلاث : اما ان يعجل لك بما سئلت ، واما ان يدخر لك بما هو افضل

منه ، واما ان يصرف عنك من البلاء ما لو ارسله عليك لهلكت ، وسئل من الصادق عليه السلام : مالنا ندعو ولا يستجيب لنا ؟ فقال : لانكم تدعون من لا تعرفونه ، وتسئلون من لا تفهمونه ، فالاضطرار عين الدين ، وكثرة الدعاء ، مع العمى عن الله من علامة الخذلان ، لأن من لم يعرف ذلة نفسه وقلبه وسره تحت قدرة الله ، حكم على الله بالسؤال وظن ان سؤاله دعاء والحكم على الله من الجرئة على الله تعالى ! !.

المقصد الرابع - في تلاوة القرآن

اعلم انه لا حد لثواب تلاوة القرآن ، والاخبار الواردة في عظم اجره ووفور ثوابه لا تحصى كثرة ، وكيف لا يعظم اجره وهو كلام الله ، حامله روح الامين الى سيد المرسلين ، وللقرآن آداب ظاهرة وباطنة ، اما الآداب الظاهرة ، فالوضوء ، والوقوف على هيئة الادب والطمأنينة ، اما قائماً او جالساً ، مستقبل القبلة ، مطرقا رأسه غير متربع ولا متكي ، والترتيل والبكاء ، والجهر المتوسط لو امن من الرياء ، والا فالسر افضل ، وتحسين القرائة وتنزيهها ومراعاة حق الآيات ، فاذا مر بآية السجود سجد ، واذا مر باية العذاب استعاذ منه بالله ، واذا مر بآية الرحمة ونعيم الجنة سئل الله تعالى ان يرزقه ، واذا مر بآية تسبيح او تكبير ، سبح وكبر ، واذا مر بآية دعاء او استغفار دعا واستغفر ، وافتتاح القرائة بقوله : اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، وان

يقول عند الفراغ من كل سورة : صدق الله العلي العظيم وبلغ رسوله الكريم اللهم انفعنا به ، وبارك لنا فيه والحمد لله رب العالمين .

واما الاداب والاعمال الباطنة (فمنها) فهم عظمة الكلام وعلوه ومنها تعظيم المتكلم فينبغي للقارىء عند الابتداء بالقراءة ان يحضر في قلبه عظمة المتكلم ويعلم انه ليس من كلام البشر بل هو كلام خالق الشمس والقمر (ومنها) الخضوع والرقة . قال الصادق (ع) : من قرأ القرآن ولم يخضع ولم يرق قلبه ولا ينشىء حزنا ووجلا في سره ، فقد استهان بعظيم شأن الله تعالى وخسر خسراناً مبيناً (ومنها)التدبر وهو زائد على حضور القلب اذ التالي ربما لم يتفكر في غير القرآن ولكنه اقتصر على سماعه من نفسه من دون تدبر فيه والمقصود من تلاوة القرآن التدبر فيه في الباطن قال الله سبحانه : افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها . وقال امير المؤمنين (ع) : لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها (ومنها) التفهم وهو ان يستوضح من كل آية ما يليق بها اذ القرآن يشتمل على ذكر صفاته تعالى ، وذكر افعاله وذكر الجنة والنار واحوال النشأة الآخرة وذكر احوال انبيائه واحوال المكذبين وانهم كيف هلكوا وذكر احكامه واوامره ونواهيه وغير ذلك فان مر بايات صفاته تعالى كقوله : ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، وكقوله تعالى : الملك القدوس السلام (الى اخر الآية) وغير ذلك فليتأمل في معاني هذه الاسماء والصفات ، لتنكشف له اسرارها المكنونة تحتها ، ولا تنكشف هذه الاسرار الا للمؤيدين في فهم كتاب الله . قال امير المؤمنين عليه السلام : ما اسر الى رسول الله صلى

الله عليه وآله شيئا كتمه عن الناس ، الا ان يؤتى الله عز وجل عبداً فهما في كتابه (ومنها) التخلي عن موانع الفهم ، وهي التقليد والتعصب لمذهب ، (ومنها) التخصيص وهو ان يقدر انه المقصود بكل خطاب في القرآن من الامر والنهي والوعد والوعيد ، حتى انه لو سمع قصص الاولين يجزم بان المقصود الاعتبار دون مجرد الحكاية والتشمر ، فما من قصة في القرآن الا وسياقها الفائدة في حق النبي وامته (ومنها) التأثر وهو ان يتأثر قلبه بآثار مختلفة ، بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال من الخوف والحزن والوجل والوجد ، والفرح و الارتياح والرجاء والقبض والانبساط ، فاذا سمع الوعيد فليضطرب قلبه ، ويتضائل من الخوف كأنه يموت ، وان سمع وسعة الرحمة ووعد المغفرة ، فليفرح ويستبشر كانه يطير من الابتهاج ، وهكذا .

المقصد الخامس ـ في الصوم

اعلم ان الصوم اجره عظيم وثوابه جسيم ، وما يدل على فضله من الآيات والاخبار اكثر من ان يحصى ، وهي معروفة مشهورة ، فلا حاجة الى ذكرها ، ولنشر الى درجات الصوم ، فنقول : للصوم ثلاث درجات (الاولى) صوم العموم وهو : كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة ، وهذا لا يفيد ازيد من سقوط القضاء ، والاستخلاص من العذاب (الثانية) صوم الخصوص وهو : الكف المذكور

مع كف البصر والسمع واللسان واليد والرجل ، وسائر الجوارح عن المعاصي وعلى هذا الصوم تترتب المثوبات الموعودة من صاحب الشرع (الثالثة) صوم خصوص الخصوص ، وهو : الكفان المذكوران مع صوم القلب عن الهمم الدنية والاخلاق الردية ، والافكار الدنيوية ، وكفه عما سواه بالكلية ، ويحصل الفطر في هذا الصوم بالفكر في ما سوى الله واليوم الآخر ، وحاصل هذا الصوم ، اقبال بكنه الهمة على الله ، وانصراف عن غير الله ، وتلبس بمعنى قوله تعالى : قل الله ثم ذرهم ، وهذا درجة الانبياء والصديقين والمقربين ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : قال الله تعالى : الصوم لي وانا اجزى به .

المقصد السادس - فى الحج

اعلم ان الحج اعظم اركان الدين ، وعمدة ما يقرب العبد الى رب العالمين وهو اهم التكاليف الالهية واثقلها ، واصعب العبادات البدنية وافضلها ، واعظم بعبادة ينعدم بفقدها الدين ، ويساوي بتركها اليهود والنصارى في الخسران المبين والاخبار التي وردت في فضيلته وفي ذم تاركه كثيرة مذكورة في كتب الاخبار والاحكام والشرائط الظاهرة له على عهدة الفقهاء ، ولنكتف هاهنا بما قد ورد عن مولانا الصادق عليه السلام فى خبر يتضمن عمدة اسرار الحج ودقائقه فلنذكره تيمنا بكلماته الشريفة ، قال : عليه السلام اذا اردت الحج فجرد قلبك

لله عز وجل من قبل عزمك ، من كل شغل شاغل ، وحجب كل حاجب ، وفوض امورك كلها الى خالقك ، وتوكل عليه في جميع ما يظهر من حركاتك وسكناتك وسلم لقضائه وحكمه وقدره ، وودع الدنيا والراحة والخلق ، واخرج من حقوق تلزمك من جهة المخلوقين ، ولا تعتمد على زادك وراحلتك واصحابك وقوتك وشبابك ومالك ، مخافة ان يصير ذلك عدواً ووبالا ، فان من ادعى رضا الله واعتمد على شيء ما سواه ، صيره عليه عدواً ووبالا ، ليعلم انه ليس له قوة ولا حيلة ولا لاحد الا بعصمة الله تعالى وتوفيقه ، واستعد استعداداً من لا يرجو الرجوع ، واحسن الصحبة ، وراع اوقات فرائض الله تعالى وسنن نبيه (ص) وما يجب عليك من الادب ، والاحتمال والصبر والشكر والشفقة والسخاوة وايثار الزاد على دوام الاوقات ، ثم اغسل بماء التوبة الخالصة ذنوبك والبس كسوة الصدق والصفاء والخضوع والخشوع واحرم من كل شيء يمنعك عن ذكر الله عز وجل ، ويحجبك عن طاعته ، ولب بمعنى اجابة صافية خالصة زاكية لله عز وجل ، في دعوتك له متمسكا بالعروة الوثقى ، وطف بقلبك مع الملائكة حول العرش ، كطوافك مع المسلمين بنفسك حول البيت ، وهرول هرولة فراً من هواك وتبرأ من جميع حولك وقوتك ، واخرج من غفلتك وزلاتك بخروجك الى منى ، ولا تتمن ما لا يحل لك ولا تستحقه ، واعترف بالخطأ بالعرفات ، وجدد عهدك عند الله تعالى بوحدانيته ، وتقرب اليه واتقه بمزدلفة واصعد بروحك الى الملأ الاعلى بصعودك على الجبل ، واذبح حنجرة الهوى والطمع عند الذبيحة ، وارم الشهوات والخساسة والدنائة والافعال الذميمة عند

رمي الجمرات ، واحلق العيوب الظاهرة والباطنة بحلق شعرك ، وادخل في امان الله وكنفه وستره وكلائته عن متابعة مرادك بدخول الحرم ، وزر البيت متحققا لتعظيم صاحبه ومعرفته وجلاله ، واستلم الحجر رضى بقسمته وخضوعا لعظمته ودع ما سواه بطواف الوداع ، وصف روحك وسرك للقاء الله تعالى يوم تلقاه بوقوفك على الصفا ، وكن ذا مرة من الله بفناء اوصافك عند المروة واستقم على شروط حجتك ووفاء عهدك الذي عاهدت ربك واوجبت له يوم القيامة .

واعلم بان الله لم يفترض الحج ولم يخصه من جميع الطاعات بالاضافة الى نفسه بقوله تعالى : ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، ولا شرع نبيه صلى الله عليه وآله سنة فى خلال المناسك على ترتيب ما شرعه الا للاستعداد والاشارة الى الموت والقبر والبعث والقيامة ، وفضل بيان السبق من دخول الجنة اهلها ودخول النار اهلها ، بمشاهدة مناسك الحج من اولها الى آخرها لاولي الالباب واولي النهى .

خاتمة فى زيارة المشاهد

في الاشارة الى بعض الامور الباطنة المتعلقة بزيارة المشاهد ، اعلم ان النفوس القوية القدسية ، لاسيما نفوس الانبياء والائمة عليهم السلام ، اذا نفضوا ابدانهم الشريفة ، وتجردوا عنها ، وصعدوا الى عالم البقاء ، وكانوا في غاية الاحاطة

والاستيلاء على هذا العالم ، فامور هذا العالم عندهم ظاهرة منكشفة ، ولهم القوة والتمكن على التأثير والتصرف في مواد هـذا العالم ، فكل من يحضر مقابرهم لزيارتهم يطلعون عليه ، لا سيما ومقابرهم مشاهد ارواحهم المقدسة العلية ومحال حضور اشباحهم البرزخية النورية ، فانهم هناك يشهدون (بل احياء عند ربهم يرزقون) وبما آتاهم الله من فضله فرحون ، فلهم تمام العلم والاطلاع بزائري قبورهم وحاضري مراقدهم ، وما يصدر عنهم من السؤال والتوسل والاستشفاع والتضرع ، فتهب عليهم نسمات الطافهم ، وتفيض عليهم من رشحات انوارهم ، ويشفعون الى الله في قضاء حوائجهم وانجاح مقاصدهم ، وغفران ذنوبهم وكشف كروبهم ، فهذا هو السر في تاكد استحباب زيارة النبي والائمة عليهم السلام مع ما فيه من صلتهم وبرهم واجابتهم وادخال السرور عليهم ، وتجديد عهـد ولايتهم واحياء امرهم واعلاء كلمتهم . وتبكيت اعدائهم وكل واحد من هذه الامور مما لا يخفى عظيم اجره وجزيل ثوابه ، وكيف لا تكون زيارتهم اقرب القربات واشرف الطاعات ، مع ان زيارة المؤمن من جهة كونه مؤمنا فحسب ، عظيم الاجر جزيل الثواب .

وقد ورد به الحث والتوكيد والترغيب الشديد من الشريعـة الطاهرة ، ولذلك كثر تردد الاحياء الى قبور امواتهم للزيارة ، وتعارف ذلك بينهم حتى صارت لهم سنة طبيعية ، وايضاً قد ثبت وتقرر جلالة قدر المؤمن عند الله ، وثواب صلته وبره وادخال السرور عليه ، واذا كان الحال فى المؤمن من حيث انه مؤمن كذلك فما ظنك بمن عصمه الله من الخطأ وطهره من الرجس وبعثه الى الخـلائق اجمعين ، وجعله حجـة على العالمين ، وارتضاه اماما للمؤمنين

وقدوة للمسلمين ، ولاجله خلق السماوات والارضين ، وجعله صراطه وسبيله وعينه ودليله وبابه الذي يؤتى منه ، ونوره الذي يستضاء به ، وامينه على بلاده وحبله المتصل بينه وبين عباده ، من رسل وانبياء وائمة واولياء .

ثم الاخبار الواردة في فضيلة زيارة النبي والائمة عليهم السلام مما لا تحصى كثرة . قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من زار قبري بعد موتي ، كان كمن هاجر الي في حياتي ، فان لم تستطيعوا ، فابعثوا الي بالسلام ، فانه يبلغني ·

قال صلى الله عليه وآله لامير المؤمنين عليه السلام : ياابا الحسن ، ان الله تعالى جعل قبرك وقبر ولدك بقاعا من بقاع الجنة ، وعرصة من عرصاتها ، وان الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوة من عباده ، تحن اليكم ، وتحتمل المذلة والاذى فيكم فيعمرون قبوركم ، ويكثرون زيارتها تقربا منهم الى الله ومودة منهم لرسوله اولئك (ياعلي) المخصوصون بشفاعتي ، والواردون حوضي ، وهم زواري وجيراني غداً في الجنة ، (ياعلي) من عمر قبورهم ، وتعاهدها فكانما اعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس ، ومن زار قبوركم عدل ذلك سبعين حجة بعد حجة الاسلام ، وخرج من ذنوبه حتى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته امه ، فابشر وبشر اوليائك ومحبيك من النعيم ، وقرة العين بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ولكن حثالة من الناس يعيرون زوار قبوركم كما تعير الزانية بزناها · اولئك شرار امتي لا تنالهم شفاعتي ، ولا يردون حوضي . وقال الصادق عليه السلام : لو ان احدكم حج دهره ، ثم لم يزر الحسين بن علي عليه السلام ، لكان تاركا حقاً من حقوق رسول الله صلى

الله عليه وآله ، لان حق الحسين عليه السلام فريضة من الله ، واجبة على كل مسلم . وقال الرضا عليه السلام : ان لكل امام عهداً في عنق اوليائه وشيعته وان من تمام الوفاء بالعهد وحسن الاداء زيارة قبورهم ، فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه ، كان أئمته شفعائه يوم القيامة .

والاخبار في فضل زيارة النبي والأئمة المعصومين ، لاسيما زيارة سيد الشهداء وابي الحسن الرضا عليهم افضل التحية والثناء ، وفضل زيارتها على الحج والعمرة والجهاد اكثر من ان يحصى وهي مذكورة في كتب المزار لاصحابنا فلا حاجة الى ايرادها هنا .(والمراد من الحج والعمرة والجهاد المستحب منها كما لا يخفى ـ م ـ)

* * *

هذا آخر كتاب « الفضائل والاضداد » تم بيد الفقير الى الله الغني محمد بن المهدي الحسيني الشيرازي ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

فهرست كتاب « الفضائل والاضداد »

ص	س	التصويب
٢	٣	مهات
٦	٩	القيام
٧	٧	كقوله
٧	٢٠	ويأكل
٨	١٦	نقموا
١٤	٤	النفسانية
٢٠	٦-٧	يستقل
٢٠	٩	من الجوف
٢٨	٢	بالله الظن
٢٩	١	ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك
٣٠	١	ويدخله
٣٣	٧	لا يغار
٣٣	١٠	وضده
٣٣	١٥	يأتي
٣٤	٨	مبادىء
»	٩	فيحفظن (زائد)
٣٥	٨	تجسس
»	٩	تقيمه
»	١١	وهي غيرة
»	١٢	فترمى
»	١٥	وبالجملة

ص	س	التصويب
٣٦	٤	نهيه
٣٧	٢	مرتبته
»	١٥	فر
٤٠	١	الحي - يبغض
»	٣	السفيه، وبقية الخط زائدة
»	٤	في الناس
»	١٣	وقع
»	١٧	انتبه
٤٣	٥	وتعفو
»	٨	مناد اين
٤٧	٢	عاقبته
»	١٦-١٧	يصحبني
٤٨	٢	شرافته
٥١	٢	اما الضرب فالاخبار
٥٦	١٩	فتب الى الله ، مرتبته
٥٧	١٣	بالناس
٦٢	١٠	التواضع
٦٦	٣	ومعلوم
٦٩	٤	لم تكتمون
»	٩	الاقتار
٧٣	١٤	العبادة

ص	س	التصويب	ص	س	التصويب
٧٣	١٦	تركها	١٠٦	٥	واما معه فلا ريب
»	١٧	اكلة	١٠٧	٢	وتشب
٧٧	١٠	فالدنيا المذمومة	١٠٨	٤	اجملوا
٨١	٩	عمران لو نزل	١١٥	٢	قال (ص)
٨٢	٢٠	يدي الملك	١١٨	١٠	له صدقة
٨٣	١٢	الآن الزاهدين في الدنيا اتخذوا	»	١٣	استكثروا
٨٤	٨	ثم الحسد (والفصل خطأ)	»	١٩	ينضح
٨٤	١٦	ولم يأمنوا	١٢٠	١٢	بذل
٨٦	٦	ماجمعوا ولم يبق من جمعواله	١٢٦	٢ـ٣ـ٤	اصله
»	١٢	ما فاتك	١٣١	١٣	عمران وقال
٨٧	٦	ولا اولادكم	١٣٢	٧	شيء
٨٨	١٤	اعطيته واغنيته	١٣٤	٦	واقرءوا
»	١٥	اعطاهم	١٣٧	٢ ـ ٥	ميسرة ـ اجره
٨٩	٥	للرجل	١٤٤	٦	البخس
٩٩	١	وتكالبوا	١٤٨	٣ ـ ٩	يخشى ـ فضل
»	١١	بالجنة	١٥١	٣	ان من لم
»	١٨	ذلك مثل سفينتين	١٦٠	٥	الى الخصماء اكرمه الله كرامة سبعين شهيداً فان درهما يرده العبد الى الخصماء خير
١٠٣	١	عقوبة			
١٠٥	١٠	ناولنيها			
»	١٢	قال ومنى ، وقال	١٦٣	٢	ليس هذا لك ـ هذا لك